الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

٤٧٢٨

البلاغة عند التفتازاني في كتابه المطول

عميد كلية الدراسات العليا

رسالة ماجستير

مقدمة من

ثناء نجاتي محمود عياش

اشراف

الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة
الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية
الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

١٩٩٣م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكتبة الجامعة الاردنية
٦ كانون الثاني ١٩٩٣
رقم التسلسل ٤١٦٣٧٧
رقم التصنيف
ايداع من الجامعة
قسم المجموعات الايداعية والخاصة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لجنة المناقشة :

الاستاذ الدكتور : محمد بركات أبو علي ..... مشرفا

الاستاذ الدكتور : نصرت عبدالرحمن ..... عضوا

الدكتور : عبدالكريم الحياري ..... عضوا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

درج الباحثون على تقسيم المدارس التي تولت البحث في البلاغة إلى : المدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية . ومن أبرز أعلام المدرسة الأدبية عبدالقاهر الجرجاني الذي كان كتاباه "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" من أهم المصادر التي اعتمد عليها أصحاب المدرسة الكلامية ؛ فقد قام الرازي بتلخيص كتابي عبدالقادر في كتاب عرف ب " نهاية الايجاز في دراية الاعجاز " مع عناية بالترتيب والتقسيم والتبويب الذي كان ينقص كتابي عبدالقاهر ، وعندما جاء السكاكي تمم ما بدأه الرازي من تقرير للقواعد التي جعلت من البلاغة علما ثابت الأصول .

وأثار القسم الثالث من " مفتاح العلوم " حركة بلاغية واسعة حيث شغل الدارسين خمسة قرون متوالية ما بين شارح للمفتاح أو ملخص له .

ومن أبرز الذين درسوا القسم الثالث من " المفتاح " القزويني الذي قام بتلخيصه في كتاب سماه " تلخيص المفتاح " وكل من قرأ التلخيص وجده مختصرا وأنه بحاجة الى مزيد من التوضيح ، وهذا ما أحس به القزويني نفسه حيث قام بوضع شرح له سماه " الإيضاح " .

والتفتازاني - موضوع هذه الدراسة - أحد شراح التلخيص حيث شرحه في كتاب عرف ب " المطول على التلخيص أو الشرح الكبير " ثم قام باختصاره في كتاب عرف ب " مختصر المعاني أو الشرح الصغير " .

وقد اخترنا " المطول " ليكون موضوع هذه الدراسة ، لإظهار الدور الذي قام به التفتازاني في مسار البلاغة العربية ، وللكشف عن جهوده في هذا المجال وتوضيح منهجه ومن ثم محاولة إنصافه، لأن كثيرا من الباحثين الذين تولوا هذه الفترة بالدراسة والتحليل لم يعطوه حقه من الاهتمام والدراسة . ومن أهم الذين تعرضوا له : الدكتور شوقي ضيف في كتابه " البلاغة تطور وتاريخ " في الفصل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي سماه " التعقيد والجمود " وتحدث فيه عن التلخيص وشروحه. والدكتور أحمد مطلوب في كتابه " القزويني وشروح التلخيص " في الفصل الذي تحدث فيه عن شراح التلخيص ، ولكن حديثهما عن التفتازاني كان حديثا جانبيا ومحدودا ؛ لأنه لم يكن من صميم دراساتهما ، فمرا عليه مرورا سريعا باعتباره واحدا من شراح التلخيص ، فلم يحظ بدراسة متخصصة؛ ولهذا كانت دراسة " المطول " دراسة تفصيلية أمرا ضروريا ، لتكوين فكرة أكثر وضوحا ودقة عن منهج التفتازاني وآرائه في البلاغة .

ولإتمام الصورة كان لا بد من التعرض لـ " مختصر المعاني " بالدراسة والتحليل .

وقد أصدر بعض الباحثين أحكاما عامة على التفتازاني قبل دراسته دراسة وافية ، ولم يقفوا عند آثاره وقفة متأنية ، مكتفين بتكرار ماشاع بين الباحثين بأن المدرسة الكلامية هي التي أدت الى جمود البلاغة ، والتفتازاني واحد من أتباع هذه المدرسة ينطبق عليه الحكم نفسه،وإزاء ذلك كان من المفيد دراسة مؤلفات أتباع هذه المدرسة واشباعها بحثا؛ لأنه كما تقول الدكتورة سهير القلماوي : " فإذا كان بعث الدراسات البلاغية كلها واجبا فإن بعث هذه المرحلة التي توقف عندها الخلق والابتكار أولى وأهم ، لأنها المرحلة التي منها نمسك الخيط القديم لنسير به نحو الجديد " (١).

وبدأنا هذه الدراسة بتمهيد تم فيه التعريف بالتفتازاني و"المطول" ، وبيان سبب تأليفه لكتابه . ثم ايراد آراء قيلت في الكتاب وشارحه، وإشارة الى منهجه وطريقته في التأليف ، وتطرقت الدراسة الى أسلوب القصر ؛ ليكون نموذجا ممثلا لأسلوبه ؛ لما فيه من مناقشات وتوجيهات لما قاله السكاكي والقزويني ،وتوظيف لما

---

(١) مقدمة القزويني وشروح التلخيص للدكتور أحمد مطلوب ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٦٧ م ، ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخذه التفتازاني من المفسرين والنحويين والبلاغيين الذين سبقوه.

تلا ذلك الفصل الأول الذي تم فيه الحديث عن الروافد البلاغية للمطول ، التي اتضح أنها كانت تسير في اتجاهين اثنين تمثل الأول في توظيف التفتازاني لأصول الشريعة والنحو والفلسفة والمنطق في عرض قضاياه البلاغية .

وتمثل الاتجاه الثاني في تأثره بالبلاغيين الذين سبقوه ؛ لأنه لا يوجد جديد إلا على أساس أصيل من قديم موروث يؤخذ خير ما فيه أساسا له (١) .

فقد وجدنا في " المطول " أثرا لكل من الجاحظ وابن سنان الخفاجي والرازي وعبدالقاهر والزمخشري .

وهذا أسلم الى الفصل الثاني الذي كان عبارة عن موازنات بين التفتازاني وكل من عبدالقاهر الجرجاني والزمخشري والسكاكي والقزويني الذين تمثل التفتازاني آراءهم في توجيهاته ومناقشاته وردوده ومقابلته بين آرائهم ليختار ما يراه مناسبا .

أما الفصل الثالث فقد تم فيه الحديث عن الجهود البلاغية الخاصة بالتفتازاني عن طريق ذكر الآراء التي تبناها التفتازاني ، وما حققه من قضايا بلاغية ، وذكر الاضافات التي أضافها على ما ورد عند السكاكي والقزويني ، ومنها تم الانطلاق للحديث عن أثره في ثلاثة من البلاغيين الذين جاءوا بعده وهم : جلال الدين السيوطي في كتابه " شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان " وعصام الدين أحمد بن مصطفى الشهير بطاشكبري زادة شارح " الفوائد الغياثية من علمي المعاني والبيان " وابن يعقوب المغربي صاحب "مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح" .

وختمنا هذه الدراسة بمناقشة لمجموعة من الاتهامات التي

---

(١) الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي ، للدكتور محمد بركات أبو علي ، مكتبة الرسالة - عمان - ١٩٧٩ م ، ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجههاالباحثون لأتباع المدرسة الكلامية ومن ضمنهم التفتازاني ، وذكر مجموعة من المآخذ التي أخذها الباحثون على أتباع المدرسة الكلامية ، تلا ذلك عرض لنتائج هذه الدراسة .

وتطلبت هذه الدراسة ارجاع الأقوال والآراء التي اعتمد عليها التفتازاني الى أصولها في غير " المطول " . وهذا أدى الى الاتصال بأمهات كتب البلاغة العربية . ومن أهم المصادر التي تم الاعتماد عليها في هذه الدراسة " دلائل الإعجاز " لعبدالقاهر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر و "أسرار البلاغة" تحقيق هـ. ريتر و "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" لجارالله الزمخشري ضبط مصطفى حسين أحمد . و " مفتاح العلوم " للسكاكي تحقيق نعيم زرزور . و " تلخيص المفتاح " لجلال الدين القزويني شرح عبدالرحمن البرقوقي . و " الإيضاح " لجلال الدين القزويني تحقيق الدكتور عبدالمنعم خفاجي .

ومن المراجع المهمة التي اعتمدت عليها هذه الدراسة ، مؤلفات الدكتور أحمد مطلوب الذي قام بدراسة كتب أتباع المدرسة الكلامية دراسة تفصيلية ومتعمقة وبخاصة كتابيه " البلاغة عند السكاكي " و" القزويني وشروح التلخيص " بالإضافة الى دواوين الشعراء الذين استعان التفتازاني بأبياتهم الشعرية لعرض قضاياه البلاغية ، وكتاب " شرح شواهد التلخيص " المعروف بمعاهد التنصيص لعبدالرحيم ابن عبدالرحمن العباسي للشعراء الذين لا توجد لهم دواوين شعرية مطبوعة .

وكان لتوجيهات الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي ، خير معين وميسر لكثير من العقبات التي واجهت هذه الدراسة ، حيث وقفت عند عدة أسئلة حائرة ، لم يتم العثور على إجابة لها فيما تم مراجعته من مصادر ومراجع تحدثت عن التفتازاني ، فكان يلح الأستاذ المشرف على هذه الدراسة بضرورة العودة الى نص التفتازاني وقراءته أكثر من مرة ؛ لتفتح مغاليق هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

تعريف بالتفتازاني وكتابه :

هو مسعود بن عمر بن عبدالله ، المشهور بسعد الدين التفتازاني، ولد عام (٧١٢ هـ) في تفتازان - من بلاد خراسان - وتوفي في سمرقند (٧٩٢ هـ)، ودفن في سرخس .

كان إماما عالما بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والمنطق(١) ، وتقدم في الفنون واشتهر ذكره ، وانتفع الناس بتأليفه (٢) .

ومن أبرز تلاميذه : جلال الدين يوسف الأوبهي، الذي قال عنه من ترجم له : " كان وحيد دهره في علم العربية ، لا سيما في حل (الكشاف)و(المفتاح)، وكان يضرب به المثل في الذكاء وقوة العزيمة"وقد أجازه التفتازاني من بين تلاميذه بتغيير مصنفاته(٣) .

ومن حسن الحظ أن التفتازاني قد حدثنا في مقدمة " المطول " عن أبرز محطات حياته ، وعن الظروف النفسية التي أحاطت به عندما ألف " المطول " وهذه المعلومات لم نجدها في المصادر التي تولت الترجمة لحياته .

من ذلك حديثه عن رحلته لطلب العلم ، والشكوى المريرة من عصره الذي كسدت فيه بضاعة العلم ، ثم تحدث عن الفتن والاضطرابات التي عمت خراسان وما حل بأهله من مصائب ، والأثر العميق الذي تركته

---

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لأحمد بن مصطفى الشهير بطاشكبري زادة، دار الكتب الحديثة- القاهرة ٢٠٥/١ .

(٢) أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ لابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م ، ٢٧٧/١١ .

(٣) مفتاح السعادة ، ١٩٠/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في نفسه حتى أنه ترك ما كان قد جمعه من مسودات لتأليف " المطول " وأخذ ينتقل من مكان إلى آخر حتى استقر به المقام في محروسة هراة، التي تميزت بجمالها الفائق ، وحسن استقبال أهلها للضيوف ، ووجد الاحترام والتقدير من قبل سلطانها أبي الحسين محمد كرت الذي قال عنه التفتازاني : " السلطان الغازي المجاهد في سبيل الله ، معز الحق والدنيا والدين ، غياث الإسلام ومغيث المسلمين ، باسط مهاد العدل والانصاف "(١) وبعد أن طاب المقام للتفتازاني في هراة عاد إلى ما كان قد جمعه من مسودات " المطول " ثم أعاد ترتيبها وتنقيحها، وأضاف إليها ما رآه مناسبا حتى اكتمل تأليف " المطول " وظفرنا من خلال قراءتنا لمقدمة"المطول" بالعديد من الأبيات الشعرية التي عبر فيها التفتازاني عن مشاعره ، وعن الأحداث التي مرت به(٢) .

قال في مدح السلطان أبي الحسين :

خليفة ملك الآفاق سطوتـــــــه

والحق كان مداه أية سلكـــــا

يحوم حول ذراه العالمون كما

ترى الحجيج ببيت الله معتركا

قال في وصف هراة :

لقد جمعت فيها المحاسن كلها

وأحسنها الايمان واليمن والأمن

قال في الحنين إلى خراسان :

ديار بها حل الشباب تميمتي

وأول أرض مس جلـــــدي ترابـــــها

---

(١) المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازاني، مطبعة أحمد كامل - سلطان بايزيد ١٣٣٠هـ ، ٥ .

(٢) السابق ، ٤ ، ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال عن المصائب التي حلت به :

رماني الدهر بالارزاء حتى
فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام
تكسرت النصال على النصال

مؤلفاته :

ترك التفتازاني العديد من الكتب في علوم البلاغة والفقه والنحو والمنطق والحديث منها " شرح العقائد في أصول الدين " و"المقاصد في أصول الدين " و " شرح الشمسية في المنطق " ، و "منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل " و " الإرشاد في النحو " و " شرح الأربعين النووية "* . ويلحظ تنوع الموضوعات التي ألف فيها ، وهذا يدل على سعة ثقافته وعلمه واطلاعه ، وهذا ما كان له انعكاس في كتابه " المطول " .

---

* ولمزيد من التفاصيل ينظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ، ٣٠٣/٢ - ٣٠٥ .
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ، دار الكتب الحديثة - القاهرة ، ١٢٠/٥ .
هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لاسماعيل باشا البغدادي ، مكتبة المثنى - بغداد ، ١٩٥٥م ، ٤٢٩/٢ .
الأعلام لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤م ، ٢١٩/٧ .
دائرة المعارف الإسلامية لفنسنك وآخرين ، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرين ، طبعة القاهرة ، ١٩٣٣م ، ٣٣٩/٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطول :

هو شرح " تلخيص المفتاح " للقزويني ، ويتكون الكتاب من مقدمة تحدث فيها التفتازاني عن سبب تأليفه لكتابه ، وعن المشاكل التي واجهته أثناء تأليفه . ورتب كتابه كما رتب القزويني " التلخيص " أي من مقدمة تم فيها الحديث عن معنى الفصاحة والبلاغة والشروط التي ينبغي تجنبها حتى يعد الكلام فصيحا .

وثلاثة فنون هي البيان والمعاني والبديع حيث عرف كل فن وذكر أقسامه ممثلا بالشواهد والأمثلة المناسبة والدالة . وخاتمة تحدث فيها عن السرقات الشعرية وما يتصل بها من اقتباس وتضمين وعقد وحل وتلميح، والقول في الابتداء والتخلص والانتهاء .

سبب التأليف :

لما اطلع التفتازاني على " التلخيص " وجده جامعا لغرر أصول هذا الفن وقواعده ، حاويا لنكت مسائله ، محتويا على حقائق هي لباب آراء المتقدمين ، منطويا على دقائق هي نتائج أفكار المتأخرين (١) ، لكنه كان مختصرا وبحاجة الى مزيد من التفصيل والتوضيح فراودته فكرة شرحه، والذي شجعه على شرحه ما رآه من توفر رغبات المحصلين على تعلم هذا الكتاب وتحصيله وأكثرهم قد حرموا توفيق الاهتداء الى ما فيه من مطويات الرموز والأسرار اذ لم يقع له شرح يكشف عن وجوه جرائده الأستار (٢) ، بالإضافه الى أنه وجد بعض من تولى شرح هذا الكتاب أو تلخيصه ، وجدهم لم يفهموا حقيقته ولم يغوصوا حتى يسبروا أغواره، فاكتفوا بما فهموه من ظاهر المقال، لذا كان فهمهم له فهما سطحيا (٣) ، ولم يقتصر في شرحه على ما ورد في "التلخيص" بل أضاف إليه ما وجده مفيدا وضروريا مما

---

(١) المطول ، ٣ .

(٢) السابق ، ٣ .

(٣) السابق ، ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عشر عليه في كتب القدماء وما توصل اليه نتيجة مراجعته الفضلاء المتخصصين في هذا الميدان . ولم يكتف بذلك بل أضاف إليه مما اهتدى إليه بثاقب فكره من غرائب نكت، واجتهادات وتفسيرات، وتعليلات واستنباطات يسرت على دارسي هذا الكتاب فهم كثير من المسائل البلاغية (١) .

ومن الأسباب الأخرى التي دفعته إلى تأليف "المطول" الارتقاء بشأن البلاغة التي كانت تعاني من عدة مشاكل من أبرزها: وقوع هذا العلم في يد جماعة أسرى للتقليد ، ونتج عن ذلك جمود القرائح والقضاء على روح الابتكار وتعصبهم لآرائهم ، وكثرة الجدال الذي قد يصل إلى العناد، وهذا حال دون التفاتهم إلى ما في هذا الفن من لفتات بلاغية (٢). ونتيجة لما سبق ذكره فقد أضر هؤلاء بالبلاغة من حيث لا يدرون .

واستغرق تأليف " المطول " ستة أعوام كما يقول التفتازاني نفسه ، لأنه بدأ في تأليفه في يوم الاثنين الثاني من رمضان في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة بجرجانية خوارزم ، وانتهى من تأليفه في يوم الأربعاء الحادي عشر من صفر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بمحروسة هراة (٣) .

وأما تأليفه " للمختصر " فكان تلبية لحاجة ملحة وهي رغبة الجمع الكثير من الفضلاء ، والجم الغفير من الأذكياء الذين كانوا يسألونه صرف الهمة نحو اختصار " المطول " والاقتصار على بيان معانيه وكشف أستاره ، والذي شجعه على ذلك رؤيته أن المحصلين لم يستطيعوا ادراك ما في كتابه (المطول) من أسرار وأن المنتحلين

---

(١) المطول ، ٤ .

(٢) السابق ، ٣ .

(٣) السابق ، ٤٨٢ - ٤٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد أساءوا الأخذ والانتهاب من كتابه (١).

مصادر المطول :

تتمثل مصادر التفتازاني كما تحدث عن ذلك في مقدمته فيما يلي:

مراجعة الشيوخ الذين حازوا قصب السبق في مضمار الفصاحة والبلاغة .

مراجعة الباحثين الحذاق الذين غاصوا على غرر الفرائد في بحار البلاغة .

قراءة الكتب المصنفة في علم البيان (٢) .

قام بذلك ليتلافى الأخطاء التي وقع فيها البلاغيون الذين سبقوه ، وليكون خير معين له في مهمته التي هي امتداد لجهود البلاغيين السابقين له وقد عبر عن ذلك بقوله : " وأودعته (المطول) فرائد نفيسة وشحت بها كتب القدماء" (٣) .

أراء في التفتازاني والمطول :

حظي التفتازاني بعبارات التقدير والاحترام من قبل الباحثين الذين تحدثوا عنه ، من أمثلة ذلك قول ابن حجر العسقلاني : " وقد انتهت إليه معرفة علوم البلاغة والمعقول بالمشرق بل بسائر الأمصار ، لم يكن له نظير في معرفة هذه العلوم ، ولم يخلف بعده مثله" (٤).

وقال عنه طاشكبري زادة : " إمام الدنيا الذي أشرقت الأرض بنور علومه وتصنيفاته وتأليفاته ، سعد الحق والملة والشريعة

---

(١) مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة، ط١ ، ١٣٤٧ هـ ، ٢/٩-١٠ .

(٢) المطول ، ٣ .

(٣) السابق ، ٤ .

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ٥/١٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والدين التفتازاني" (١).

وقال حاجي خليفة : " المطول والمختصر " أشهر شروح التلخيص وأكثرها تداولا لما فيها من حسن السبك ولطف التعبير فإنهما تحرير تحرير أي تحرير (٢) .

وقال الدكتور أحمد مطلوب : (المطول والمختصر) من خيرة الكتب التي تمثّل الاتجاه الكلامي في البلاغة ، وبقي الكتابان عمدة الدرس حتى العصر الحديث ، ويعتبرهما الدكتور أحمد مطلوب من أهم كتب المدرسة الكلامية وأشهرها (٣).

وقال عنه الدكتور علي عشري : "ولقد كان التفتازاني أشهر شراح التلخيص وقد أصبح شرحه (المطول) من الأصول الأساسية التي تذكر الى جانب " المفتاح " و " التلخيص " ولقد كان في شرحه امتدادا لمدرسة السكاكي والقزويني ، وإن حاول أن ينتقد هذا أو يعترض على ذاك في رأي أو آخر من أرائهما (٤)" .

ولكن كتابيه لم يسلما من النقد الذي كان يوجه إلى أتباع المدرسة الكلامية بشكل عام . فقد قال أمين الخولي : ولعلنا لو جردنا ما في مختصر شرح التفتازاني من قضايا فلسفية ومنطقية ، لخرجنا بموجز في الفلسفة له قيمته ، ونراه يستغرق في هذه

---

(١) مفتاح السعادة ، ١/١٩١ .

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة تصحيح محمد شرف الدين بالتقايا ، وكالة المعارف- استنابول ، ١٩٤١م ، ١/٤٧٤ .

(٣) القزويني وشروح التلخيص ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ١٧٥وينظر البلاغة عندالسكاكي ، مكتبة النهضة - بغداد ، ط١ ، ١٩٦٤م ، ١٠٦ .

(٤) البلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها ، مكتبة الشباب ، ١٩٧٧م ، ١٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفلسفة ويعز عليه أن يدعها ، فيحيلك قبل ذلك إلى حيث تجد الكفاية قائلا وفي المقام مباحث أخرى شريفة أوردناها في الشرح أو وشحنا بها الشرح . وقال أيضا : واستبعد الأزهريون كتب التفتازاني التي كانت مهلكة للروح الفنية ، ومفسدة للذوق الأدبي (١).

وقال الدكتور أحمد مطلوب : وكتب السكاكي والقزويني والتفتازاني وأضرابهم لاتعلم دارسها أدبا ، ولا تخلق فيه موهبة فنية وذوقا أدبيا ، وإنما تعلمه مصطلحات البلاغة وأقسامها وأبوابها . ولم يستطع أن ينجو من سيطرة النزعة العقلية والفلسفية فهو كثيرا ما يفسح المجال لها ، لتفسد البلاغة وتجور عليها (٢) .

وقال أيضا : وأسلوبه في كتابيه تشوبه العجمة ، وتفقده الطلاوة المصطلحات الفلسفية والنظرات المنطقية والعبارات الكلامية (٣) .

وبعد أن تم عرض مجموعة من الآراء التي قيلت في كتابه ، لنر ماذا يقول هو نفسه عن كتابه ؟ قال عنه : "جاء بحمد الله كنزا مدفونا من جواهر الفوائد وبحرا مشحونا بنفائس الفرائد ، ويرجو أن ينتفع بكتابه المحصلين الذين هم للحق طالبون . وعن طريق العناد ناكبون ، وغرضهم تحصيل المبين وليس تصوير الباطل في صورة اليقين" (٤) .

ومما لا شك فيه أن الآراء السابقة بحاجة إلى نظر ، ولا تقبل كما هي وهذا ما ستبنيه هذه الدراسة .

---

(١) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب لأمين الخولي، دار المعرفة ، ط١ ١٩٦١م ، ١٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٢) البلاغة عند السكاكي ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ .

(٣) مناهج بلاغية ، وكالة المطبوعات - الكويت ، ط١ ، ١٩٧٣م ، ٣٠٠ .

(٤) المطول ، ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهجـــــــه :

ذكر التفتازاني في مقدمته أنه سيكون موضوعيا في توجيهاته ومناقشاته قدر استطاعته فلم يكن يتعصب لرأي دون آخر ، ولم يكن يذم رأيا دون مناقشته ، بل كان يبين ما فيه من أخطاء أوعثرات ثم يذكر وجه الصواب بأسلوب رقيق مهذب ، وهذا ينسجم مع قوله في مقدمته : " وتمسكت في دفع اعتراضات القزويني على السكاكي ، بذيل العدل والانصاف ، وتجنبت في رد ما أورد عليه مذهب البغي والاعتساف " (١) .

ومما هو جدير بالذكر أنّ التفتازاني لم يكن ينقل كلام غيره نقلا حرفيا ، أو يبقيه كما هو بل كان يختصر وأحيانا يضيف ما يراه مناسبا مع محافظته على المعنى الذي أراده صاحب النص الأصلي (٢).

٤١٦٣٧٧

وكان منهجه توفيقيا ، فهو يحاول قدر استطاعته التوفيق بين الآراء المختلفة ، وإذا شعر أنه لا مجال للتوفيق بينها فلا يتكلف ولا يحمل النص أكثر مما يحتمل (٣) . فيذكر الرأيين دون انتقاص لقيمة أحدهما ، وكأنه بذلك يترك للقارىء أن يختار ما يراه مقنعا.

ومما يحمد له أنه كان لا يبحث الموضوعات التي لا يرى في بحثها فائدة بلاغية ، ومن عباراته الدالة على ذلك قوله : وههنا وجوه متعسفة ، لا فائدة في ايرادها . أو ها هنا أبحاث لا يحتملها المقام ، أو وجوه خارجة عن المقصود (٤) .

وكان ينادي بتقليل التقسيم كلما أمكن ذلك ، ومن ذلك قوله : أدخل القزويني الخياليات والوهميات والوجدانيات - وهي غير مدركة

---

(١) المطول ، ٤ .

(٢) السابق ، ٥٣ ، ٨٥ ، ١٠٧ ، ١٤٠ .

(٣) السابق ، ١١٥ ، ١١٦ ، ٤١٠ .

(٤) السابق ، ٥٠ ، ٥١ ، ١٤٠ ، ٢٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالحواس الظاهرة - في الحسي والعقلي تقليلا للأقسام ، وتسهيلا للأمر على الطلاب ، لأنه إذا قلت الأقسام كان الأمر أسهل ضبطا(١). وتنبع أهمية هذه الدعوة أنها جاءت من أحد أتباع المدرسة الكلامية ، التي من أبرز مزاياها كثرة التقسيمات ، ولكن مما يؤخذ عليه أنه نفسه بحث هذه التقسيمات كما هي .

وإذا شعر أنه أطال في عرض قضية بلاغية ، كان يعتذر عن الاطالة ومن عباراته الدالة على ذلك :" ولعمري إن التعرض لأمثال هذه المباحث مما لا ينبغي أن يشتغل به لكنا نخاف على القاصرين أن يقعوا فيها من غير تأمل " (٢). وقوله في نهاية مناقشته لرأي الزمخشري والسكاكي حول ما ورد في قوله تعالى : " رب إني وهن العظم مني (٣)" ."وإنما أطنبنا الكلام في هذا المقام ؛ لأنه من مسارح الأنظار ومطارح الأفكار وكم زلت فيه للأفاضل أقدامهم وكلت دون الوصول الى الحق أفهامهم (٤)".

وتميزه ثقته بنفسه وعلمه(٥) ولكن ذلك لم يصل إلى حد الغرور إذا ما قورن بغيره من البلاغيين ، كابن مالك مثلا الذي قال في نهاية كتابه : " واعلم أني قد مهدت لك فيه قواعد متى بنيت عليها أعجب كل شاهد بناؤها ، ونهجت لك مناهج متى سلكتها اعترف لك بكمال الحذق والبلاغة أبناؤها وحشدت لك من الأمثلة ما ليست عند أحد بمحشودة فمن لم يستضيء بهذا المصباح فليس ينفعه نور الصباح (٦)".

---

(١) المطول ، ٢١٢ ، ٤٠٢ .

(٢) السابق ، ٢٢٠ .

(٣) مريم ، الآية ٤ .

(٤) المطول ، ٨٧ .

(٥) السابق ، ٦٤ ، ٧٦ ، ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٩٢ .

(٦) المصباح في علم المعاني والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك، المطبعة الخيرية محمد عمر الخشاب ، ط١ ، ١٣٤١هـ ، ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانعكست ثقافته الفلسفية والمنطقية في أسلوبه الذي امتاز بالتحليل والتعليل والاعتماد على الحجة العقلية ، والبرهان المنطقي ، والاهتمام بإبراز العلاقات الخفية بين الموضوعات المختلفة ، من ذلك تعليله تقديم بحث أحوال الإسناد على أحوال المسند إليه والمسند مع أنّ النسبة متأخرة عن الطرفين؛ لأنّ علم المعاني يبحث عن أحوال اللفظ الموصوف بكونه مسندا إليه ومسندا وهذا الوصف لا يتحقق إلا بعد تحقق الاسناد.وعلل البدء بأبحاث الخبر على الانشاء لكونه أعظم شأنا . وفيه تقع الصياغات العجيبة، وهو أصل في الكلام لأنّ الانشاء يحصل باشتقاق منه كالأمر والنهي (١) .

وشخصيته قوية ظاهرة فيما كتب أو حلل أو ناقش ، فقد اختط لنفسه منهجا مغايرا للسنة السائدة في عصره من تطويل الواضحات(٢). ويمكن القول لو أنه ألف كتابا مستقلا لبرزت شخصيته بصورة أكثر وضوحا،مما ظهر في"المطول".وعذره في ذلك أنه كان شارحا" للتلخيص " ولو لم يكن كذلك لكان له شأن آخر في علم البلاغة ، حيث لمسنا عنده قدرة على النقاش والاقناع ، والنظرة الموسعة و الذهن المتفتح ، والذكاء الحاد وعرض الموضوعات بصبغته الخاصة وأسلوبه الخاص به .

ولتوضيح منهجه بطريقة أفضل وبصورة أكمل ، فقد اخترنا الفصل الذي تحدث فيه عن أسلوب القصر ، ليكون دليلا على صحة ما ذكرناه سابقا .

أسلوب القصر

قام التفتازاني بتعريف القصر لغة ثم اصطلاحا بأنه تخصيص شيء

---

(١) المطول ، ٤٣ ، ٧٠ ، ١٠٩ ، ١٢٨ .

(٢) السابق ، ٣٨ ، ١٠٢ ، ٣١١ ، ٣٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بشيء بطريق معهود (١). وقوله بطريق مخصوص ، لبيان أن القصر يدور حول طرق معينة هي المقصودة بالبحث فيه .

ثم تحدث عن تقسيم البلاغيين القصر إلى قصر حقيقي وقصر غير حقيقي . وتقسيم كل منهما إلى قصر موصوف على صفة ، وقصر صفة على موصوف . وبيّن أن قولنا : ما في الدار إلا زيد . يحتمل أن يكون قصرا حقيقيا إدعائيا بمعنى أن جميع من في الدار ممن عدا زيدا . في حكم العدم غير المعتد به . ويحتمل أن يكون قصرا غير حقيقي والمعنى أن الحصول في الدار مقصور على زيد وليس حاصلا لعمرو وان كان حاصلا لبكر وخالد (٢) وهذا ما قاله الدكتور عبدالمنعم خفاجي أيضا (٣) .

واتفق التفتازاني مع القزويني على أن قصر الموصوف على الصفة من الحقيقي لا يكاد يوجد ، لأنه ما من مقصور إلا وتكون له صفات تتعذر الاحاطة بها أو تتعسر (٤) . وهذا النوع من القصر مفض إلى المحال ، لأنّ للصفة المنفية نقيضا وهو من الصفات التي لا يمكن نفيها . فاذا نفيت جميع الصفات لزم ارتفاع النقيضين ، ففي قولنا ما زيد إلا كاتب . على معنى أنه لا يتصف بغيرها من الصفات لزم ألا يتصف بالقيام ولا بنقيضه وهو محال (٥) .

وقد فتح ذكر النقيضين بابا من المناقشات بين شراح التلخيص طبع بطابع كلامي . وسلك البحث في هذه القضية مسالك بعيدة عن

---

(١) المطول ، ٢٠٤ .

(٢) السابق ، ٢٠٦ .

(٣) هامش الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ، ١٠/٣ .

(٤) الإيضاح ، ٦/٣ .

(٦) المطول ، ٢٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلاغة . وكان عبدالقاهر دقيق الحس بطبيعة الدلالة عندما ذكر إشارة لو تنبّه إليها شراح التلخيص لكفوا عن تلك المناقشات وهي : " واعلم أنّ قولنا في الخبر اذا أخر نحو : ما زيد إلاّ قائم ، إنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي يتوهم كون زيد عليها ، ونفيت ما عدا القيام عنه ، فإنما تعني أنك نفيت عنه الأوصاف التي تنافي القيام ، نحو أن يكون جالسا أو متكئا أو مضطجعا ، أو ما شاكل ذلك. ولم ترد أنك نفيت ما ليس من القيام بسبيل ، إذ لسنا ننفي عنه بقولنا : ما هو إلاّ قائم أن يكون أسود أو أبيض أو طويلا أو قصيرا ، كما أنا إذا قلنا : ما قائم إلاّ زيد ، لم نرد أنه ليس في الدنيا قائم سواه ، وإنما نعني ما قائم حيث نحن ، وبحضرتنا ، وما أشبه (١)" .

وتحدث القزويني عن تقسيم آخر للقصر باعتبار اعتقاد المخاطب ، وهو قصر القلب والإفراد والتعيين (٢) ، بينما أدخل السكاكي قصر التعيين في قصر الإفراد ، وبيّن التفتازاني أنّ المفهوم من كلام القزويني :" إنّ التخصيص بشيء دون شيء آخر قصر إفراد ، والتخصيص بشيء مكان شيء إن اعتقد المخاطب فيه العكس قصر قلب أو تساويا عنده فهو قصر تعيين" . ولكن هذا غير صحيح لأنه وإن كان في قصر التعيين تخصيص شيء بشيء دون آخر ، فلا يخفى أن فيه تخصيص شيء بشيء دون آخر ، فإنّ قولنا : ما زيد إلاّ قائم ، لمن يردده بين القيام والقعود تخصيص له بالقيام دون القعود (٣) ؛ ولهذا رجح التفتازاني ما فعله السكاكي الذي جعل تخصيص شيء دون شيء مشتركا بين قصر الافراد والقصر الذي سماه القزويني قصر تعيين ، وجعل

---

(١) دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني ، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ٣٤٦ .

(٢) الإيضاح ، ١٥/٣ .

(٣) المطول ، ٢٠٨ ، والايضاح ، ١٦/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التخصيص بشيء مكـــان شيء قصـــر قلب (١) . وهذا ما رجحه الدكتور عبدالمنعم خفاجي (٢) .

ثم قام التفتازاني بمناقشة الاحتمالات التي قيلت لتفسير كلام القزويني ولكنه رفضها جميعها ، لأنها تبقي الاشكال على ما هو عليه، ثم إنها لا تخلو من التكلف . ثم قال :" وكفى دليلا على متانة كلام السكاكي وركاكة كلام القزويني أنه يفتقر إلى الحجج المتكلفة التي قيلت لتفسير كلام القزويني" ثم يلتمس العذر للقزويني بقوله:" لعل ذلك هفوة صدرت عنه من غير قصد الى المخالفة(٣)" .

ويبدي التفتازاني اعجابه مرة أخرى بالسكاكي ، لأنه لم يشترط تنافي الوصفين في قصر القلب خلافا للقزويني الذي قال :" وشرط قصر الموصوف على الصفة قلبا تنافي الوصفين، ليكون إثبات إحدى الصفتين مشعرا بانتفاء الأخرى (٤)" .

ولا وجه لرأي القزويني السابق ، لأنّ قصر القلب كثيرا ما يأتي في الصفات غير المتنافية، ثم إنّ هذا الشرط يؤدي إلى خروج نحو قولنا : ما محمد إلاّ كاتب لمن يعتقده خطيبا من قصر القلب ، مع أنه منه ، لأنّ المخاطب هنا يعتقد العكس ، ويرفض التفتازاني أيضا أن يكون هذا الشرط قد قيل لأجل حسن قصر القلب ، فهذا لا يفهم من لفظ "الإيضاح" ، وإذا فهم فلا دليل عليه ، لأننا لا نسلم عدم حسن قولنا ، ما زيد إلاّ شاعر لمن اعتقده كاتبا لا شاعرا(٥).

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ، شرح نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م ، ٢٨٨ .

(٢) هامش الايضاح ، ٣/١٧ .

(٣) المطول ، ٢٠٩ .

(٤) السابق ، ٢١٠ والإيضاح ، ٣/١٥ - ١٦ .

(٥) السابق ، ٢١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأصل في الشروط أن تكون للصحة لا للحسن ما لم يقم دليل على إرادته(١).

ومن طرق القصر النفي الذي تحدث القزويني عن إحدى أدواته وهي "لا" التي يشترط عند إفادتها للقصر كما يقول القزويني : ألا يكون الكلام قبلها منفيا بغيرها . وكلمة بغيرها هنا غامضة ، ولهذا كان ينبغي أن يقول بغيرها من كلمات النفي كما في " المفتاح "(٢) ، لأنه قد يكون الكلام منفيا بشيء من الأفعال الدالة على النفي مثل امتنع وأبى ، وقد يكون منفيا بفحوى الكلام أو علم السامع أو المتكلم، فهذه وإن كانت لا تعد من كلمات النفي فإنه لا امتناع أن تسبق المنفي بلا (٣) فشرط المنفي بـ "لا" ألا يكون منفيا قبلها بغيرها من أدوات النفي ؛ ولهذا لا يجوز أن نقول : ما أخوك إلا كاتب لا شاعر؛ لأن "ما" و "لا" من حروف النفي ، فإذن المنفي بلا العاطفة لا يجامع النفي والاستثناء؛ لأن "لا" موضوعة لأن ينفى بها عن التابع ما أوجب للمتبوع ، لا لأن يعاد النفي بها لشيء قد نفي قبلها بغيرها ، وهذا من المواضع التي اتفق فيها عبدالقاهر والسكاكي (٤) .

ثم قال التفتازاني :" قد يقع مثل التركيب السابق في كلام المصنفين لكنه لا يقع في كلام البلغاء الذين يستشهد بكلامهم(٥)". ولعل مراده من هذا التعريض بالزمخشري الذي قال في

---

(١) تيسير الإيضاح ، للدكتور محمد بلو أحمد أبو بكر ، مطبعة السعادة ، ١٩٨٣م ، ١/١١٣ .

(٢) المفتاح ، ٢٩٣ .

(٣) المطول ، ٢١٦ .

(٤) السابق ، ٢١٥ ودلائل الإعجاز ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ والمفتاح ، ٢٩٣ .

(٥) السابق ، ٢١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفسير قوله تعالى : " فإذا عزمت فتوكل على الله (١) " ، أي لأنّ الأصلح لك لا يعلمه إلاّ الله لا أنت (٢) .

ولعلنا نتساءل كيف صحّ لإنما أن تجامع لا العاطفة التي لا ينتفي بها شيئا قد نفي قبلها بغيرها من كلمات النفي كما اتضح سابقا ، جاز ذلك لأن البلاغيين قالوا في "إنما" إنّ النفي معها ليس نفيا صريحا بل هو نفي متضمن مخبوء وخافت ، فليس له من الجهارة ومن القوة ما للنفي في "ما" و "إلاّ" (٣).

ومن الأدلة التي يستند اليها البلاغيون لإثبات دلالة "إنما"على القصر ، ما قاله المفسرون في القراءة الواردة في قوله تعالى : " وإنما حرم عليكم الميتة " (٤) ، فالقراءة المشهورة بنصب الميتة تكون بمعنى ما حرم عليكم إلاّ الميتة ، وهذا دليل على أن "إنما" تتضمن معنى "ما " و "إلاّ" حتى تفيد القصر ، ولكن التفتازاني يقول : ليس المقصود بقول البلاغيين إن "إنما" تتضمن معنى "ما " و"إلاّ" أنهما لفظان مترادفان ، لأنّ "إنما" لا تصلح في كل كلام تصلح فيه ما وإلا وهذا ما قاله عبدالقاهر (٥) .

وفي الآية السابقة ثلاث قراءات ، يختار التفتازاني قراءة رفع الميتة على أن تكون "ما" موصولة والميتة خبر إنّ ، والجملة حينئذ تفيد القصر ، لأنها معرفة الطرفين ، والتقدير إنّ الذي حرمه

---

(١) آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل لجار الله الزمخشري ، ضبط مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٦ م ، ٤٣٢/١ .

(٣) دلالات التراكيب ، للدكتور محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٩ م ، ١٤٩ .

(٤) البقرة ، الآية ١٧٣ .

(٥) المطول ، ٢١٢ ودلائل الإعجاز ، ٣٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله عليكم الميتة ، ويرفض أن تكون "ما" كافة ، حتى تبقى "إنّ" عاملة على ما هو الأصل (١) . ولم يمنع اختياره لقراءة رفع الميتة من الحديث عن القراءات الأخرى التي قيلت في الآية السابقة .

ومما يدل أيضا على دلالة "إنما" على القصر ، صحة انفصال الضمير معها كما ورد ذلك في بيت للفرزدق وهو - برأي التفتازاني- شاعر من الفصحاء (٢) ، وقول الفرزدق :

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما

يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي(٣)

من الأبيات التي يستشهد بها لإثبات القواعد إذ ليس الغرض مجرد التمثيل وهذا ما جعل القزويني يصرح باسم قائل البيت السابق (٤) .

ومن المواضع التي بيّن فيها التفتازاني أنّ القزويني قد استفاد من آراء عبدالقاهر نقل القزويني ما قاله عبدالقاهر : إنّ أصل النفي والاستثناء أن يأتي لحكم ينكره المخاطب ويجهله ، بينما تأتي "إنما" لخبر لا يجهله ولا ينكره ، أو فيما ينزل هذه المنزلة(٥) . ولكن الكلام بهذه الصيغة كما يقول التفتازاني فيه اشكال ، لأنّ المخاطب اذا كان عالما بالحكم ولم يكن حكمه مشوبا بالخطأ لم يصح القصر (٦) . وهذا ليس مراد عبدالقاهر من كلامه

---

(١) المطول ، ٢١٢ .

(٢) السابق ، ٢١٣ .

(٣) ديوان الفرزدق ، شرح وتقديم علي فاعور ، دار الكتب العلمية- بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ٤٨٨ ورواية البيت في الديوان :

أنا الضامن الراعي عليهم وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

(٤) المطول ، ٢١٣ والايضاح ، ٢٧/٣ .

(٥) الايضاح ، ٣٥/٣ دلائل الاعجاز ، ٣٣٠ .

(٦) المطول ، ٢١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السابق ، بل مراده أنّ "إنما" تأتي لخبر من شأنه أن لا يجهله المخاطب ولا ينكره ، حتى إنّ انكاره يزول بأدنى تنبيه ، فهو لا يصر عليه (١) ، فكأنه كان في غفلة وشرود لذا يحتاج الى التنبيه والايقاظ ، وبهذا التفسير كما يقول التفتازاني : يكون ما قاله عبدالقاهر موافقا لما قاله السكاكي :" إنّ طريق النفي والاستثناء يسلك مع مخاطب يعتقد فيه أنه مخطىء ونراه يصر ، كما اذا وقع لكما شبح من بعيد لم تقل : ما ذاك إلاّ زيد لصاحبك إلاّ وهو يتوهمه غير زيد ، ويصر على انكار أن يكون إياه" (٢)، ولا ندري كيف قال التفتازاني إنّ كلام عبدالقاهر يوافق ما ورد في "المفتاح"، فالسكاكي يقول : بأنه يصر على انكار أن يكون إياه . وعبدالقاهر يقول : إذا لفت انتباهه يزول انكاره . ولكن ما قاله عبدالقاهر يوافق ما قاله السكاكي : "وطريق "إنما" يسلك مع مخاطب في مقام لايصر على خطئه ، أو يجب أن لا يصر على خطئه ، ولهذا لا نقول : إنما يجيء زيد ، أو إنما زيد يجيء إلاّ والسامع متلق كلامك بالقبول (٣)".

ومن طرق القصر طريق العطف ، وحروفه هي : لا وبل ولكن ، ولم يتحدث التفتازاني عن "لكن" في باب القصر مكتفيا بما كان قد أورده عنها في باب العطف ، حيث بيّن أن القزويني قد تحدث عن إفادتها للقصر في "الايضاح" وأنه نقل عبارة السكاكي كما هي دون تغيير(٤)، أمّا في "التلخيص" فلم يتحدث عنها لأنّ "لكن" مثل "لا" في الرد إلى الصواب ، إلاّ أنّ "لا" لنفي الحكم عن التابع بعد إيجابه

---

(١) المطول ، ٢١٧ .

(٢) المفتاح ، ٢٩٥ .

(٣) السابق ، ٢٩٥ .

(٤) السابق ، ٢٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للمتبوع . و"لكن" لإيجابه للتابع بعد نفيه عن المتبوع(١).
وترتب على هذا الفرق بينهما أن الذي بعد "لكن" ثابت له الحكم ، بينما الذي بعد " لا " فالحكم منفي عنه ، ثم هي بعد ذلك مثل " لا " في رد المخاطب الى الصواب .

ومع أن أتباع المدرسة الكلامية ومن ضمنهم التفتازاني ، قد بحثوا القصر وأكثروا من تقسيماته وتفريعاته ، التي تحولت إلى ضرب من ضروب الرياضة الذهنية التي لا صلة لها بالدراسة البلاغية الأسلوبية التي تستهدف استنباط دلالات النص اعتمادا على خصائصه اللغوية(٢) . فليتهم وظفوا طاقاتهم الذهنية ، وقدراتهم على النقاش في التأمل في دلالات النص ، وبيان أهمية السياق ودوره في التعرف على مرمى القصر تعرفا بصيرا واعيا . وهذا يظهر من خلال قراءتنا لما ورد في قوله تعالى :"وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل "(٣) . وقوله تعالى : " ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل (٤) " . فتقالب التركيب في الآيتين واحد ، والتغيير في الأسماء فقط .

ففي الآية الأولى كان محمدا عليه السلام ، وفي الآية الثانية كان عيسى عليه السلام ، والصفة المذكورة واحدة وهي قد خلت من قبله الرسل. ولكن السياق هنا يعطي القصر مذاقا مختلفا في كل آية.

فالقصر في الآية الأولى تجسيد للحظات من الشدة التبس فيها الأمر على المسلمين فأنكروا وفاة الرسول عليه السلام ، وبينت الآية أنه عليه السلام بعد اختصاصه بالرسالة يجري عليه ما يجري

---

(١) المطول ، ١٠٢ .
(٢) البحث البلاغي عند العرب للدكتور شفيع السيد ، دار الفكر العربي - القاهرة، ١٥٣ ، ١٥٥ .
(٣) آل عمران ، الآية ١٤٤ .
(٤) المائدة ، الآية ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على البشر من أحوال وأعراض منها الموت ، فالنفي هنا لا يتناول ما عدا الرسالة (١) .

بينما الأمر مختلف في الآية الثانية ، ففيها اشارة إلى اعتقاد بعض الناس أنّ المسيح عليه السلام اله وليس بشرا رسولا ، فقصره القرآن على الرسالة وعقّب بالدليل المحسوس على صدق هذه الحقيقة وهو قوله تعالى : " كانا يأكلان الطعام " أي يجري عليهما ما يجري على البشر من ضرورات لازمة لحفظ الحياة تأتيهم من خارج نفوسهم كالطعام والشراب ، ولو كانا الهين لما احتاجا إلى أشياء خارجة عنهما ، لأنّ هذا مظهر من مظاهر النقص والحاجة عند البشر(٢) .

وبقيت نقطة جديرة بالبحث ، وهي قول القزويني : إنّ السكاكي قد أهمل القصر الحقيقي (٣) ، ولكن هذا وهم وقع فيه القزويني ، لأنّ السكاكي وإن لم يصرح بتقسيم القصر إلى حقيقي وغير حقيقي إلاّ أنه تحدث عن القصر الحقيقي ضمنا ، لأنه قال :" حاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص الموصوف بوصف دون ثان أو بوصف مكان آخر أو إلى تخصيص الوصف بموصوف دون ثان أو بموصوف مكان آخر(٤)"، وهذا التفسير شامل للقصر الحقيقي وغيره لأنّ المراد بقوله ثان وآخر ما يصدق عليه أنه ثان أو آخر أعمّ من أن يكون واحدا أو أكثر إذ لو أريد الواحد لخرج عنه كثير من أمثلة القصر غير الحقيقي كقولنا : ما زيد إلاّ كاتب ، لمن اعتقد أنه كاتب وشاعر ومنجم ، وكقولنا "ما شاعر إلاّ زيد " لمن اعتقد أنّ زيدا وبكرا وخالدا شعراء (٥) .

وعند التمعن في الأمثلة التي ذكرها السكاكي يتضح أنها تصلح

---

(١) دلالات التراكيب ، ٥٦ .

(٢) السابق ، ٥٧ .

(٣) الايضاح ، ٣/٢٠ .

(٤) المفتاح ، ٢٨٨ .

(٥) المطول ، ٢٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتكون أمثلة للقصر الحقيقي مثل : زيد شاعر لا غير أو ليس غير أو ليس إلاّ (١) . ومثل : ما ضرب عمرا إلاّ زيد و ما ضرب زيد إلاّ عمرا (٢) .

وقال التفتازاني إذا تأملت ما قاله السكاكي حول المثال : ما شاعر إلاّ زيد يتضح أنه أشار إلى تقسيم القصر إلى حقيقي عندما قال : متى أدخلت النفي على الوصف المسلم ثبوته وقلت ما شاعر توجه النفي بحكم العقل إلى ثبوته للمدعي له ، إن كان عاما كقولك : في الدنيا شعراء ، أو في قبيلة كذا شعراء وإن كان خاصا كقولك : زيد وعمر شاعران فيتناول النفي ثبوته لذلك . فمتى قلت إلاّ زيد ، أفاد القصر (٣) . والعبارات التي ذكرها التفتازاني في "المطول" أوضح من عبارات السكاكي الأصلية ، لأنّ قراءتها كما وردت عند السكاكي ، تظهر أنّ فيها اضطرابا .

ولكن السكاكي ذكر قولنا : ما شاعر إلاّ زيد ، كمثال لقصر الصفة على الموصوف من قصر القلب (٤) ، وقصر القلب من تقسيمات القصر الإضافي عند القزويني (٥) . ويعلل التفتازاني عدم تصريح السكاكي بتقسيم القصر إلى حقيقي وغير حقيقي ، لقلة جدواه ، لأنه ليس وراءه أقسام وأحوال للدراسة كما هو الحال في القصر الإضافي الذي ينقسم إلى قصر قلب وافراد وتعيين ، وكل قسم من هذه الأقسام له أحوال (٦) .

ويمكننا القول إنّ صنيع السكاكي بعدم تقسيم القصر إلى حقيقي

---

(١) المفتاح ، ٢٨٩ .

(٢) السابق ، ٢٧٩ .

(٣) السابق ٢٩٠ ، والمطول ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٤) الايضاح ، ١٥/٣ .

(٥) المطول ، ٢٠٤ .

(٦) دلالات التراكيب ، ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغير حقيقي أفضل من صنيع القزويني ، لأنّ القزويني نفسه يقول عن قصر الموصوف على الصفة من القصر الحقيقي لا يكاد يوجد في الكلام(١) . وهذا الرأي أثار جدا لا طويلا بين شراح التلخيص كان البحث البلاغي في غنى عنه .

كما أنّ القزويني ذكر المثال : ما زيد إلاّ كاتب كمثال لقصر الموصوف على الصفة قصر حقيقي بمعنى أنّ زيدا لا يتصف بصفة غير الكتابة ، وعاد ثانية وتحدث عن المثال السابق في قصر الافراد عندما قال: "فالمخاطب بقولنا : ما زيد إلاّ كاتب من يعتقد أن زيدا كاتب وشاعر وهذا يسمى قصر إفراد ، لقطعه الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف (٢)."

وبعد أن عرضنا لأسلوب القصر كما ورد عند التفتازاني يمكننا القول إنّ التفتازاني لم يكن مجرد ناقل لما قاله البلاغيون الذين سبقوه ، فهو قد انتصر للسكاكي في أكثر من موضع ، ورجح رأيه على آراء للقزويني معللا ذلك بالأدلة والبراهين . واتضحت لنا قوة شخصية التفتازاني التي تجلت بوضوح من خلال نقاشه لمختلف الآراء التي قيلت حول القصر .

وفي هذا الفصل وجدنا أثارا لعلوم الأصول والنحو والفلسفة وهذا انعكاس لثقافة التفتازاني المتعددة الجوانب .

وظهر أنّ التفتازاني يتجنب التكرار ، لذا كان يحيل على ما ذكره سابقا ولهذا لم يتحدث عن "لكن" هنا مكتفيا بما كان قد ذكره عنها في باب العطف .

---

(١) الايضاح ، ٦/٣ .

(٢) السابق ، ١٤/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الروافد البلاغية

أصول الشريعة :

كان للمفسرين أثر كبير في البلاغة العربية ، فهم كي يستنبطوا الأحكام من القرآن الكريم عكفوا على دراسة أسلوب القرآن لفهم مراميه في القول ، فتطرقوا إلى بحث الأمر والنهي والاستفهام والنفي والحقيقة والمجاز (١) وغيرها من المباحث اللغوية .

وحتى يستطيع المفسر القيام بوظيفته لا بد له من الاطلاع على علوم اللغة العربية ؛ لينفذ إلى أسرار اعجاز القرآن الكريم وتوجيه الآيات التي لا يمكن حملها على الظاهر . وقد شعر المفسرون بأهمية البلاغة لهم فأخذوا يضعون لدراساتهم القرآنية، مقدمات بلاغية ، أو يخوضون في مباحثها حينما كانوا يتحدثون عن الآيات وبلاغتها . فصاروا ينبهون إلى أهمية ذلك (٢) .

وهذا ما دفع الزمخشري إلى القول : ينبغي فيمن يتصدى للتفسير أن يكون بارعا في علمين مختصين بالقرآن هما علم المعاني ، وعلم البيان(٣). وبدون هذين العلمين لا يتأتى الوصول إلى أسرار اعجاز القرآن ، وفهم معانيه ، بل إن معرفة معانيه لا تنكشف للمفسر على حقيقتها إلا إذا كان متمرسا بأساليب البيان ، بصيرا بكل دقائقها وعناصرها (٤) .

ولهذا كانت كتب البلاغة مقدمة لدراسة كتاب الله وتفسيره

---

(١) القزويني وشروح التلخيص ، ٢٠٤ .

(٢) ينظر مقدمات تفسير الطبري والكشاف .

(٣) مقدمة الكشاف ، ١/ن .

(٤) تاريخ البلاغة العربية لعبدالعزيز عتيق دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٠م ، ٢٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وادراك فصاحته وبلاغته ، وصار الشيوخ لا يقدمون على تدريس كتب التفسير إلا بعد أن يلم طلابهم بطرف من كتب البلاغة وفنونها(١). وهذا ما قام به يحيى بن حمزة العلوي حينما ألف كتابه " الطراز " ليكون عونا لمن شرع في قراءة تفسير الكشاف .

وبما أن قول البلاغيين : إن التشبيه يقتضي أن تكون الصفة في المشبه به أوضح منها في المشبه يصطدم مع ما ورد في مثل قوله تعالى : " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح"(٢) ، لأنه يلزم أن يكون نور المصباح أوفى وأعظم من نور الله سبحانه وتعالى ، وهذا لاينسجم مع التصور الاسلامي (٣) . ولما أحس البلاغيون بهذا الاصطدام قسموا التشبيه إلى قسمين : قسم يقصد منه المبالغة وفيه يجب أن تكون الصفة في المشبه به أوضح منها في المشبه ، وهذا القسم يجوز عكسه إذا كان الغرض منه إلحاق الناقص بالزائد مبالغة في إثبات الحكم الناقص . والقسم الثاني يقصد منه مجرد الجمع بين شيئين في مطلق الصورة أو الشكل أو اللون(٤) .

ويمكننا القول إن الباعث وراء ادخال مفهوم القرينة في تعريف المجاز : " بأنه الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته " (٥) . كان باعثا دينيا، فالقرينة وسيلة لنفي صفة الكذب عن المجاز .

وقد يكون الباعث وراء تقسيم الحقيقة إلى ثلاثة أنواع كان

---

(١) مناهج بلاغية ، ٥٤ - ٥٥ .

(٢) النور ، الأية ٣٥ .

(٣) تأثير الفكر الديني في البلاغة للدكتور مهدي صالح السامرائي المكتب الاسلامي ، ط١ ، ١٩٧٧م ، ١١٣ .

(٤) المطول ، ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٥) الايضاح ، ١٢/٥ - ١٣ والمطول ، ٣٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باعثا دينيا ، فالحقيقة إن كان واضعها اللغة فهي لغوية ، وإن كان واضعها الشرع فشرعية وإلا فهي عرفية ، وكذا الحال مع المجاز فإذا كان الاصطلاح الذي به وقع التخاطب وكان اللفظ مستعملا في غير ما وضع له في ذلك الاصطلاح ، اصطلاح اللغة فهو لغوي وإن كان اصطلاح الشرع فشرعي وإلا فهو عرفي عام أو خاص (١) .

ومن الموضوعات التي كان لعلم الأصول أثر فيها ، "النهي" فمع أنّ أداته الوحيدة "لا" إلا أنّ التفتازاني عرفه ب " طلب الكف عن الفعل استعلاء " ليخرج من الخلاف الذي شاع بين علماء الكلام حول مقتضى النهي فهل هو كف النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد أضداده أو ترك الفعل وهو نفس أن لا تفعل . وبما أن التفتازاني كان يميل إلى التوفيق بين الآراء ، لهذا قال عن الرأيين السابقين بأنهما متقاربان . وفي الجملة قد يستعمل النهي في غير معناه . وذلك بأن يستعمل للتهديد كما في قول السيد لخادمه الذي لا يمتثل لأمره : لا تمتثل أمري ، فالنهي هنا لم يكن لطلب الكف عن الامتثال . وقد يأتي النهي للتضرع كما في قولنا : اللهم لا تشمت بي الأعداء (٢) .

وبعد أن قام التفتازاني بتعريف الأمر " بطلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء " . تطرق إلى الاختلاف الوارد بين الأصوليين حول صيغة الأمر ولماذا وضعت فهل هي للوجوب فقط أم للندب فقط أم للقدر المشترك بينهما أم للإباحة (٣) .

وكما يظهر فإن هذه المصطلحات مكانها الطبيعي كتب الأصول ، ولا ينبغي أن نقحمها في كتب البلاغة ، وهو نفسه يقول : ولمّا لم تكن الدلائل مفيدة للقطع بشيء من ذلك . لم يجزم القزويني بشيء،

---

(١) المطول ، ٣٥٤ .

(٢) السابق ، ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٣) السابق ، ٢٣٩ - ٢٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنما أشار إلى ما هو أظهر عند العقل لقوة إمارته فقال عن الأمر:" والأظهر إن صيغته المقترنه باللام نحو : ليحضر زيد وغيرها نحو : أكرم عمرا ورويد بكرا موضوعة لطلب الفعل استعلاء لتبادر الفهم عند سماعها إلى ذلك المعنى (١)".

والتفتازاني يحترس عند تفسير أي موقف بلاغي في ضوء القرآن الكريم ، لذا كان يرفض القول بأنّ في القرآن الكريم لفظا غير فصيح، لأنّ هذا مما يقود إلى نسبة الجهل أو العجز إلى الله عز وجل، تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (٢) . فهو ينزه القرآن الكريم عن وجود كلمة غير فصيحة فيه .

وهو يرى أنّ اجتماع الحاء والهاء في كلمة فصيح لوروده في قوله تعالى : " ومن الليل فسبحه وادبار النجوم " (٣) ولهذا فإنّ الثقل في بيت أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى

معي ومتى ما لمته لمته وحدي (٤)

جاء من تكرار كلمة أمدحه ، ولا يعد التفتازاني كلمة " أمدحه " بحد ذاتها مخلة بالفصاحة ، وعاد إلى القول ثانية بأنّ الانسان المؤمن لا يجترىء على القول باشتمال القرآن الكريم على كلام غير فصيح (٥) .

بينّ التفتازاني كما قال غيره من البلاغيين إنّ تتابع

---

(١) المطول ، ٢٤٠ .

(٢) السابق ، ١٨ .

(٣) الطور ، الأية ٤٩ .

(٤) ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١١٦/٢ .

(٥) المطول ، ١٧ - ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاضافات إن لم يؤد إلى ثقل على اللفظ فهو حسن (١) والدليل ورود ذلك في عدة آيات قرآنية وفي حديث للرسول عليه السلام (٢) .

أثر علم النحو :

وللنحاة العرب يد طولى في دراسة الكلام وتحليله والوقوف عند الجملة ، وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير أو ذكر أو حذف ...الخ ، فلا غرابة أن نجد تداخل النحو مع المباحث البلاغية .

ومن أهم الملاحظات التي تنبّه إليها أتباع المدرسة الكلامية ومن ضمنهم التفتازاني أنّ كثيرا من المزايا الخاصة بأدوات الشرط " إن وإذا ولو " لم تعط حقها من البحث في النحو ، ولهذا كان لابد من الحديث عنها في البلاغة .

ومن هذه المباحث الشريفة الخاصة بأداتي الشرط " إن وإذا " المهملة في علم النحو ، الحديث عن الفرق بين معاني هذه الأدوات . من ذلك قول البلاغيين " إن وإذا " تفيدان وقوع الشرط في المستقبل، ولكن الفرق بينهما أنّ أصل "إن" عدم الجزم بوقوع الشرط في اعتقاد المتكلم ، وأصل "إذا" الجزم بوقوع الشرط في اعتقاد المتكلم . وترتب على هذا الفرق بينهما أنّ الحكم النادر الوقوع يقع مع " إن " لأنّ الحكم النادر غير مقطوع به في الغالب، بينما غلب استعمال لفظ الماضي على لفظ المضارع مع "إذا" لأنّ "إذا" تستعمل لما هو محقق الوقوع . والماضي أقرب إلى القطع بالوقوع نظرا إلى لفظه الموضوع للدلالة على الوقوع ، وان كان بالنظر إلى المعنى على الاستقبال ؛ لأنّ "إذا" الشرطية تقلب الماضي إلى معنى المستقبل (٣) . ويتجلى هذا الفرق بينهما من خلال قراءتنا لما ورد

---

(١) المطول ، ٢٣ .

(٢) قوله عليه السلام : "الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم " .

(٣) المطول ، ١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن (١) " وقوله تعالى :" وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فأتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا (٢) " ، فالآية الأولى تحدثت عن مجيء المؤمنات مهاجرات ، وهذا أمر محقق الوقوع ، لأنه نتيجة حتمية لانتشار الاسلام ، ودخول الناس في دين الله أفواجا بينما تحدثت الآية الثانية عن ارتداد بعض المسلمات أو ترك أزواجهن المسلمين أو هذا أمر نادر ، من الحريّ أن لايقع (٣).

وبما أنّ أصل "إن" عدم الجزم بوقوع الشرط في اعتقاد المتكلم: لهذا لا تقع في كلام الله تعالى إلاّ على طريق الحكاية عن الآخرين أو على ضرب من التأويل (٤) . كما في قوله تعالى :" قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل (٥) . فإن هذا حكاية عن أخوة يوسف، وتأويل المتكلم .

ومن الآيات التي توقف عندها البلاغيون ما ورد في قوله تعالى: " فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطّيّروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عندالله ولكن أكثرهم لا يعلمون(٦)"، حيث جيء في جانب الحسنة بلفظ الماضي مع "إذا" لأنّ

---

(١) الممتحنة، الآية ١٠ وينظر البقرة الآية ١٩٨ ،وآل عمران، الآية ١٥٩ ،النساء ، الآيتان ١٠١ ، ١٠٣ ، والأنفال، الآية ١٥ .

(٢) الممتحنة ، الآية ١١ ، وينظر أل عمران ، الآيتان ١٢٠ ، ١٢٥ ومحمد ، الآية ٣٨ .

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها للدكتور فضل حسن عباس ، دار الفرقان عمان، ط٢ ، ١٩٨٩م ، ٣٤٠ .

(٤) المطول ، ١٥٤ .

(٥) يوسف ، الآية ٧٧ .

(٦) الأعراف ، الآية ١٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراد الحسنة المطلقة التي حصولها مقطوع به ولهذا عرفت تعريف الجنس ، فجنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه لتحققه في كل نوع من الأنواع ؛ وجيء في جانب السيئة بلفظ "إن" مع المضارع ؛ لأنّ السيئة نادرة الوقوع بالنسبة إلى الحسنة المطلقة ؛ ولهذا نكرت ليدل تنكيرها على تقليلها (١) .

والتفتازاني يتفق مع ما يقوله القزويني بأنّ "لو" تستعمل للشرط في الماضي ، ولهذا لا يعدل في جملتيها عن الفعل الماضي إلاّ لنكتة ، فدخولها على الفعل المضارع كما في قوله تعالى : " واعلموا أنّ فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم(٢)" لقصد استمرار الفعل وقتا بعد وقت (٣) أي إنّ ذلك مستمر ما دام الرسول فيهم ؛ ودخول "لو" على الفعل المضارع كما في قوله تعالى:" لو ترى إذ وقفوا على النار " (٤) . لتنزيل الفعل المضارع منزلة الفعل الماضي ؛ لصدور الكلام عمن لا خلاف في إخباره ، فما ورد في الآية السابقة سيحدث يوم القيامة ، فهو مستقبل في التحقيق ماض في التأويل كأنه قد قيل قد انقضى هذا الأمر لكنك ما رأيته ولو رأيته لرأيت أمرا فظيعا ، هكذا ينبغي أن يفهم هذا المقام (٥). والأمر نفسه يقال في قوله تعالى : " ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم(٦) " وقوله تعالى : " ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤوسهم(٧) " ومع أنّ التفتازاني تبنى التفسير السابق ذكره إلاّ

---

(١) المطول ، ١٥٥ والمفتاح ، ٢٤٣ .

(٢) الحجرات ، الآية ٧ .

(٣) الايضاح ١٢٦/٢ ، والمطول ، ١٧١ .

(٤) الأنعام ، الآية ٢٧ .

(٥) المطول ، ١٧٢ .

(٦) سبأ ، الآية ٣١ .

(٧) السجدة ، الآية ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنه ذكر رأيا آخر، وهو لم لا يكون الخطاب في الآية السابقة موجها لمحمد عليه السلام ، ولو للتمني ، وعندئذ لا استشهاد في الآية السابقة ، لأنّ "لو" التي للتمني تدخل على الفعل المضارع(١).

وفيما يتعلق بقوله تعالى : " إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون (٢)" فكما يظهر فإنّ جواب الشرط احتوى على ثلاث جمل متعاطفة ، عدل في الثالثة عن استعمال الفعل المضارع إلى الفعل الماضي (ودوا) معطوفا على الجملة الشرطية لا على الجزاء وحده ، وتعاطف الجملة الشرطية وغيرها كثير في الكلام (٣) . من ذلك قوله تعالى : " وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لاينصرون "(٤) . حيث عطفت جملة (لا ينصرون) على مجموع الشرط والجزاء (٥) ، والمراد من قوله تعالى: ودوا لو تكفرون . تمني المشركين ارتداد المؤمنين عن دينهم فيكونوا مثلهم (٦) .

ومن المواضيع النحوية التي استفاد منها البحث البلاغي ، وأمدته بمادة ممتعة حذف المفعول فقد يحذف المفعول اظهارا لكمال العناية بوقوع الفعل الثاني على المفعول ، ومثال ذلك قول البحتري(٧) :

---

(١) المطول ، ١٧٢ .

(٢) الممتحنه ، الآية ٢ .

(٣) المطول ، ١٦٦ .

(٤) آل عمران ، الآية ١١١ .

(٥) المطول ، ١٦٦ .

(٦) السابق ، ١٦٥ .

(٧) ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف بمصر، ١٦٧٥/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد طلبنا فلم نجد لك في السُّؤْ
دُد والمجد والمكارم مِثْلا

أي قد طلبنا فلم نجد لك مثلا ، فحذف المفعول من اللفظ إذ لو ذكره لكان المناسب في قوله : لم نجد الاتيان بضميره أي فلم نجده . وفيه تفويت للغرض وهو ايقاع نفي الوجدان على صريح لفظ المثل لكمال العناية بعدم وجود مثل له (١) . وهذا ما يقوله عبدالقاهر وإن لم يصرح التفتازاني بنقله عنه .

ويجوز أن يكون حذف المفعول لترك مواجهة الممدوح بطلب مثل له قصدا إلى المبالغة في التأدب معه ، لأنّ طلب المثل صريحا مما يدل على تجويزه بناء على أنّ العاقل لا يطلب إلاّ ما يجوز وجوده (٢).

ومن المباحث التي طغى فيها النحو على البلاغة تقديم المفعول على الفعل ، حيث علل التفتازاني عدم صحة قولنا : ما زيدا ضربت ولا غيره بأنّ التقديم يكون لرد الخطأ في تعيين المفعول مع الإصابة في اعتقاد وقوع الفعل على مفعول في الجملة . ولا يصح كذلك أن نقول: ما زيدا ضربت ولكن أكرمته ، لأنّ التقديم يفيد وقوع الضرب على أحد غير زيد تحقيقا لمعنى الاختصاص وقولنا : لا غيره صريح في نفيه ،ولكنه يستدرك إلاّ إذا قامت قرينة على أنّ التقديم ليس للتخصيص فإنه يصح أن نقول : ما زيدا ضربت ولا غيره(٣) .

وقال أيضا : تقديم المسند واجب فيما إذا كان المبتدأ نكرة غير مخصصة ، نحو : في الدار رجل ليصير المبتدأ بتقديم الحكم عليه كأنه موصوف معلوم بهذا الحكم (٤) ولم يكتف بذلك بل استغرق في بحث أمور نحوية .

---

(١) المطول ، ١٩٥ ودلائل الاعجاز ، ١٦٨ .

(٢) السابق ، ١٩٥ .

(٣) السابق ، ١٩٨ .

(٤) السابق ، ١٨٥ ، ١٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المواضع التي يقدم فيها المسند للتنبيه من أول الأمر على أنّ المسند خبر لا نعت إذ النعت لا يتقدم على المنعوت . ومثاله قول حسان بن ثابت :

له همم لا منتهى لكبارها

وهمته الصغرى أجل من الدهر (١)

فلو أخّر "له" عن "همم" لتوهم أنه نعت له لا خبر (٢) أي لو قال : همم له . لتوهم أن "له" النعت وأنّ الخبر قادم بحجة حاجة النكرة للنعت أشد من حاجتها إلى الخبر(٣). ثم خاض بعد ذلك في تفاصيل نحويه بحتة ليتبنى رأيا نحويا وهو "إن جواز تنكير المبتدأ مبني على حصول الفائدة فإذا حصلت الفائدة فأخبر عن أي نكرة شئت نحو : رجل على الباب ، وغلام على السطح ، وكوكب انقض الساعة(٤)" . ويلحظ أنّ الأمثلة التي ذكرها مصنوعة ومتكلفة لا جمال فيها .

---

(١) لم أجد البيت السابق فيما عدن إليه من عدة طبعات لديوان الشاعر .

ا- شرح ديوان حسان، تصحيح عبدالرحمن البرقوقي ، طبعة دار الأندلس ، وطبعة دار الكتاب .

ب- ديوان حسان بن ثابت ، شرح وتقديم عبدمهنا ، دار الكتب العلمية- بيروت . ط١ ، ١٩٨٦م .

ج- ديوان حسان بن ثابت ، دار صادر - بيروت .

(٢) المطول ، ١٨٥ .

(٣) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور للدكتور رجاء عيد ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ط٢ ، ٧٤ .

(٤) المطول ، ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثر الفلسفة والمنطق :

كانت البلاغة على صلة بالفلسفة في مراحل حياتها كلها ، من حيث نشأتها وتطورها ومن ثم جمودها وتحجرها كما يقولون . ونظرة على أسماء أبرز رجالها تبين بجلاء ، أن البلاغة في جميع أدوارها قد عاشت في كنف رجال يهتمون بالفلسفة وتحت رعايتهم ، وكذا جمهرة الأقلام التي خدمتها ولم يكن ذلك يتخلف في عصر ما (١) . بدءا بسهل بن هارون مرورا بكل من الجاحظ ، وقدامة بن جعفر ، وعبدالقاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الاعجاز" والزمخشري والسكاكي وانتهاء بالقزويني وشراح التلخيص .

وتركت هذه النشأة استعدادا في البلاغة للإتصال بالفلسفة فيما بعد حتى سيطرت المدرسة الكلامية الفلسفية أخيرا ، وكان لهذه الصلة أثرها في اشراب كتب البلاغة أبحاث الفلسفة اشرابا واضح الأثر فيما بين أيدينا من مؤلفات بلاغية ، فترتيب الأبواب في مؤلفات أتباع المدرسة الكلامية كان ترتيبا فلسفيا ، كذلك ضبط مسائلها .

ووجدنا عند أتباع المدرسة الكلامية الاهتمام بالتحديد المنطقي ، ليكون التعريف جامعا مانعا ، واستخدامهم لأساليب الفلاسفة والمناطقة في بحث الموضوعات وحصرها حصرا منطقيا ، ونتج عن ذلك أن دخلت المصطلحات الفلسفية والمنطقية ، التي لا صلة لها بالبحث البلاغي ، الذي يعتمد أول ما يعتمد على الذوق السليم .

ومن المصطلحات التي وجدناها في " المطول " القوة والفعل . ولقد استعمل التفتازاني هذين المصطلحين وهو بصدد الحديث عن بناء المجاز على مفهوم الانتقال من الملزوم الى اللازم حيث قال : "إذا أطلق اللفظ على غير ما وضع له فقد يكون ذلك الغير مما يتصف بالفعل بالمعنى الموضوع له ، فإذا كان ذلك الغير مما يتصف

---

(١) مناهج التجديد ، ١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالفعل بالمعنى الموضوع له في زمان سابق أو لاحق فهو مجاز باعتبار ما كان ، أو باعتبار ما يؤول إليه أو بالقوة فمجاز بالقوة (١)".

وكذا استخدامه لمصطلح العلة الفاعلية والصورية . جاء ذلك أثناء حديثه عن مجاز اليد عندما يقصد بها النعمة ، فقد قال : "إنّ اليد موضوعة للجارحة المخصوصة لكن من شأن النعمة أن تصدر منها وتصل إلى المقصود بها . فالجارحة المخصوصة بمنزلة العلة الفاعلية لها . وأيضا تظهر بها النعمة فهي بمنزلة العلة الصورية لها . ومع هذا فلا بد من اشارة إلى المنعم . مثل كثرت أيادي فلان عندي (٢)".

ومن يقرأ كتابي التفتازاني يظفر بأمثال هذه المصطلحات الخاصة بالمنطق والفلسفة التي لا يفهمها إلاّ إنسان مطلع على الفلسفة والمنطق وهذا مما يذهب بالفصاحة من جهة ويجر العلوم البلاغية إلى ميدان جفاف لا يحتاج إليه طالب البيان ؛ لأنّ ميدان البلاغة الأسلوب الأدبي وغايتها كشف المزايا الجمالية في النصوص .

ومن الأمثلة التي تثبت صحة ما ذهبنا إليه قراءتنا ما قاله عن المشبه الوهمي في قول امرىء القيس :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي

ومسنونة زرق كأنياب أغوال (٣)

فإنّ أنياب الأغوال مما لا يدرك بالحس ؛ لأنه لا وجود لها في الواقع ومع أنها لو أدركت لم تدرك إلاّ بحس البصر ، ثم يغوص في المنطق والفلسفة عندما يقول : " ومما يجب التنبيه له في هذا المقام ليس المراد بالخياليات الصور المرتسمة في الخيال المتأدية

---

(١) المطول ، ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٢) السابق ، ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٣) ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف - بمصر ، ط٣ ، ٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليه عن طرق الحواس ولا بالوهميات المعاني الجزئية المدركة بالوهم ، فالأعلام الياقوتية في قوله :

وكأنّ مُحْمَرّ الشقيق إذا تَصَوّب أو تصَعّد

أعلام ياقوت نُشرن على رماح من زَبَرْجَد(١)

ليست مما تأدت إلى الخيال من الحس المشترك إذ لم يقع بها إحساس قط ، بل هي صور ، لأنها ليست مما لايمكن أن يدرك بالحواس الظاهرة ، بل إذا وجدت لم تدرك إلاّ بها ثم يقول : والتحقيق في هذا المقام: إنّ من قوى الادراك ما يسمى متخيلة ومفكرة ومن شأنها تركيب الصور والمعاني وتفصيلها والتصرف فيها واختراع أشياء لا حقيقة لها كإنسان له جناحان أو رأسان ، أو لا رأس له ، وهي دائما لا تسكن نوما ولا يقظة وعملها غير منتظم ، بل النفس هي التي تستعملها على أي نظام تريد بواسطة القوة الوهمية ، وبهذا الاعتبار تسمى متخيلة أو بواسطة القوة العقلية وبهذا الاعتبار تسمى مفكرة " (٢) .

وإذا أمعنا النظر في النص السابق نجد تشابها كبيرا بين ما قاله التفتازاني وبين ما ورد في نظرية الخيال عند كولردج ، الذي بيّن أنّ الخيال هو الذي يصنع الفن ، فالفنان يأخذ مادته من الواقع فيصهرها ثم يخلقها خلقا جديدا . ويعيد تشكيلها بصورة جديدة (٣) .

ومن يقرأ حديثه عن الجامع في بحث الفصل والوصل ، فإنه سيجد عددا من الألفاظ والمصطلحات مكانها الطبيعي كتب الفلسفة والمنطق

---

(١) معاهد التنصيص لعبدالرحيم بن عبدالرحمن أحمد العباس ، المطبعة البهية المصرية ، ١٣١٦هـ ، ١/١٣٢ .

(٢) المطول ، ٣١٣ - ٣١٤ .

(٣) ولمزيد من التفاصيل ينظر كولردج للدكتور محمد مصطفى بدوي ، دار المعارف بمصر، ٨٩ - ٩١ و ١٥٦ - ١٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منها : القوة العاقلة المدركة للكليات . والقوة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات والفرق بين القوة المفكرة والقوة المتخيلة . ومصطلحات مثل التصورات والتصديقات والآلات الجسمانية، والعلة والمعلول (١) .

واستخدم التفتازاني مصطلحي الطرد والعكس عندما ناقش تعريف القزويني للمجاز العقلي والحقيقة العقلية ، ومناقشته اعتراضات القزويني على تعريف السكاكي لهما (٢) ، وكذا ورد مصطلح الدور أثناء حديث التفتازاني عن الدلالات وأنواعها ، وعند حديثه عن تعريف المجاز المفرد ومناقشته لما قاله السكاكي (٣).

وقد تصبح القسمة هدفا بحد ذاتها ومن ذلك قول التفتازاني : القسمة تقتضي أن يكون طباق اللفظين من نوعين، أن يكون ثلاثة أقسام اسم مع فعل، واسم مع حرف، وفعل مع حرف، ولكن الموجود هو النوع الأول فقط (٤). ومثاله قوله تعالى : "أومن كان ميتا فأحييناه" (٥) فلم يعد الموضوع بحث الأسلوب وجماله وإنما تقسيمه إلى أنواع.

ولم ينج بحث الاستفهام من تداخل المنطق والفلسفة مع البلاغة، من ذلك تعريف الاستفهام ب " طلب حصول صورة الشيء في الذهن فإن كانت تلك الصورة وقوع النسبة بين الشيئين أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور " (٦).

وعند التمييز بين هل البسيطة وهل المركبة فالبسيطة هي التي

---

(١) المطول ، ٢٦٤ - ٢٧٠ .

(٢) السابق ، ٥٥ - ٥٦ .

(٣) السابق ، ٣٠٦ - ٣٨٨ .

(٤) السابق ، ٤١٨ .

(٥) الأنعام، الآية ١٢٢ .

(٦) المطول، ٢٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يطلب بها وجود الشيء أو لا وجوده كقولنا : هل الحركة موجودة أو غير موجودة؟ والمركّبة هي التي يطلب بها وجود الشيء لشيء أو لا وجود له. كقولنا : هل الحركة دائمة أو لا دائمة إلى أن ينتهي إلى القول بأن الوجود في البسيطة محمول وفي المركبة رابطة (١).

فلو قرأنا المادة السابقة في كتب المنطق أو الفلسفة لما استغربنا ذلك، أمّا وجودها في بحث بلاغي فلابد من التساؤل وأين البلاغة فيما ذكر سابقا، ويزداد الأمر تعقيدا. عندما يميز بيّن "ما" التي هي لشرح الاسم و"ما" التي هي لطلب الماهية (٢)، حيث نجد حديثا طويلا لا نظفر بنهايته الا بمجموعة من الألفاظ والمصطلحات التي مكانها كتب المنطق والفلسفة.

ولا يجد التفتازاني غضاضة في ادخال أساليب الفلاسفة والمناطقة في البحث البلاغي، جاء ذلك أثناء تمييزه بين الجملة الشرطية عند أهل العربية وعند أهل المنطق عندما قال :" والتحقيق في هذا المقام أنّ مفهوم الجملة الشرطية بحسب اعتبار المنطقيين غيرها بحسب اعتبار أهل العربية (٣)". ثم يورد المفهومين ويشرحهما. كما أنه ميز بين مفهوم "إن" ولو "عند أهل اللغة وأهل المنطق، وبعد أن يحدثنا عن مفهومها عند المناطقة يقول :"لكن الاستعمال على قاعدة اللغة هو الشائع المستفيض (٤)"، وبما أنّ الاستعمال على قاعدة اللغة هو الشائع لماذا يتحدث عن مفهومها عند المناطقة، وما الفائدة التي جناها البلاغي من بحثها هنا ؟

ومما يجدر ذكره أنّ التفتازاني يعتز بما يحققه، ويعتبره شيئا ثمينا يستحق الاحتفاظ به، لأنه ختم تحقيقيه السابقين بقوله :

---

(١) المطول، ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) السابق ، ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٣) السابق ، ١٥٣ .

(٤) المختصر، ١ / ٣٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وتحقيق هذا المقام على هذا الوجه من نفائس المباحث "(١)، و"تحقيق هذا البحث على ما ذكرنا من أسرار هذا الفن، وفي هذا المقام مباحث شريفة أوردناها في الشرح " (٢).

ويبقى الكلام واضحا ومفهوما إلى أن يتداخل المنطق والفلسفة مع البلاغة فيواجه القارىء صعوبة في فهم مراده ، ومن ذلك قوله قد يفيد قصر الجنس على شيء مبالغة ومثاله : عمرو الشجاع أي الكامل بالشجاعة فتبرز الكلام في صورة توهم أنّ الشجاعة مقصورة عليه لا تتجاوزه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال (٣) . وهذا كلام واضح ومن صميم البحث البلاغي ، ولكنه سرعان ما يكتنفه الغموض عندما نقرأ عبارات مثل : وإن حملت على الجنس والحقيقة ، فهو يفيد أنّ عمرا وجنس الشجاعة متحدان في الخارج ضرورة أنّ المحمول متحد بالموضوع في الوجود لظهور امتناع حمل أحد المتميزين في الوجود الخارجي على الآخر (٤) .

ومما سبق ذكره يتضح أنّ صلة الفلاسفة والمناطقة بالبلاغة ، قد ضيقت دائرة بحثها ، لأنّ الأدب يعتمد على الذوق والملكة الفنية، فينبغي أن يقاس بمقاييس أدبية فنية وليس بمقاييس فلسفية، ولعل هذا هو الذي دفع الدكتور أحمد مطلوب الى القول: "إنّ البلاغة لم تفسد ولم تصبح قواعد جامدة إلاّ بعد أن دخلت هذه المقاييس عليها ، لقد كان العربي ينقد الكلام بدافع ذاتي ، من غير أن يكون له علم بالمنطق . وكان يقول الشعر والنثر الفصيح وهو لا يعرف أنّ الكلام ينبغي أن يبنى على كذا وأن يخضع

---

(١) المطول ، ١٠٣ .

(٢) المختصر ، ٣٥٣/١ .

(٣) المطول ، ١٧٨ .

(٤) السابق ، ١٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكذا (١)".

استخدام الذوق الأدبي أثناء الشرح :

وبعد أن عرضنا نماذج من استخدام التفتازاني لمصطلحات المناطقة ، وتقسيمات الفلاسفة ، من المفيد ابراز ذوقه الأدبي في تناوله لبعض القضايا البلاغية خلال شرحه ليكون في ذلك دفع لوهم قد يتبادر إلى الذهن بأن استخدامه لأساليب الفلاسفة ومصطلحات المناطقة ينسحب على " المطول " بأكمله .

وفيما يلي عرض لنماذج من استخدام التفتازاني للذوق الأدبي أثناء شرحه ، الذي ظهر بشكل متناثر بين ثنايا " المطول " من خلال تحليله لما ورد في الآيات القرآنية والأبيات الشعرية من لفتات ذوقية واشارات بلاغية ، وهذا يعني أن على الباحث أن يتحلى بالصبر والتأمل أثناء قراءته" للمطول " ليظفر بنماذج تبين استخدام التفتازاني للذوق الأدبي أثناء شرحه . ومن أمثلة ذلك تعليل التفتازاني تنكير كلمة عذاب في قوله تعالى :" إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن "(١) فيحتمل أن يكون التنكير للتعظيم بمعنى عذاب هائل . ويحتمل أن يكون للتقليل بمعنى شيء من العذاب ، ولكن الثاني أرجح (٢) لقوله تعالى : " ولمسكم فيما أخذتم فيه عذاب عظيم " (٣) ولأن العقوبة من الكريم الحليم أشد ، لقوله عليه السلام :" أعوذ بالله من غضب الحليم ".

وقال أيضا معلقا على ما ورد في قوله تعالى :" هل ينظرون إلا

---

(١) القزويني وشروح التلخيص ، ١٦٢ . ولمزيد من التفاصيل ينظر المطول ، ١٢٤ ، ٢٤٢ ، ٣١٦ - ٣١٧ ، ٣٢٠ .

(١) مريم الآية ، ٤٠ .

(٢) المطول ، ٨٩ .

(٣) الأنفال ، الآية ٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام "(١) فإنه جعل العذاب يأتيهم من الغمام الذي هو مظنة الرحمة ؛ ليكون أشد ؛ لأنّ الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أعم ، فإذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير كان أبلغ ؛ لذا بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (٢) .

ومما يحمد للتفتازاني أنه يرجع كثيرا من معرفة الفصاحة إلى الذوق ويبيّن أنّ ما يعده الذوق نافرا أو غريبا أو وحشيا ، هو المخل بالفصاحة (٣) وهو بذلك يعود إلى ما كان قد رأه ابن سنان وابن الأثير في هذا المجال .

وهو يعلي من شأن الذوق فإن كان المثال يحتمل معنيين فإنه يختار الذي يتناسب مع الذوق . جاء ذلك أثناء حديثه عن حذف المفعول لغرض التعميم مع الاختصار ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : " والله يدعو إلى دار السلام "(٤) فالله يدعو العباد كلهم ؛ لأنّ الدعوة إلى الجنة تعم الناس كافة ، وهذا يفيد المبالغة تحقيقا . والمثال الثاني قولنا : قد كان منك ما يؤلم . أي يؤلم كل أحد ، بقرينة أنّ المقام مقام المبالغة ، فهو يفيد العموم مبالغة(٥) .

وهو يرى أنّ المثالين السابقين وإن احتملا أن يجعلا من قبيل ما نزل منزلة اللازم لكن التأمل الذوقي يشهد أنّ القصد في هذا المقام إلى المفعول فإنّ الحمل على أمثال هذه المعاني مما يتعلق بقصد المتكلم ومناسبة المقام(٦) .

وفي أثناء حديثه عن خروج الاستفهام لأغراض أخرى ، بيّن أنّ

---

(١) البقرة ، الآية ٢١٠ .

(٢) المطول ، ٢٩١ .

(٣) السابق ، ١٧ - ١٩ .

(٤) يونس ، الآية ٢٥ .

(٥) المطول ، ١٩٥ .

(٦) السابق ، ١٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلامة الذوق ، وتتبع التراكيب هو الذي يحكم ذلك فيتولد من الاستفهام المعنى الجديد بمعونة القرائن بما يناسب المقام ، ولا تنحصر المتولدات فيما ذكر القزويني ، ولا في ما ذكره هو أيضا(١).

وينبه إلى لفتة بلاغية وردت في قول أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى

معي وإذا ما لمته لمته وحدي (٢)

تكمن في استعمال "إذا" مع الفعل الماضي لايهام ثبوت الدعوى، فكأنه تحقق منه اللوم . واستخدم الشاعر واو الحال ليبين أنه لا يشاركه أحد في ملامة ممدوحة ؛ لأنه يستحق المدح دون الملامة(٣). وهذه لفتة جيدة منه ؛ لأنّ البلاغيين السابقين ركزوا على ما في البيت السابق من عيوب بلاغية فقط .

وبيّن الفرق بين مجيء كلمة رجل في قوله تعالى :" وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى " (٤) . بعد الجار والمجرور ، وبين مجيئها في قوله تعالى : " وجاء رجل من أقصى المدينة "(٥) قبل الجار والمجرور ؛ لأن في الآية الأولى عرض أمر يوجب تقديم الجار والمجرور على الفاعل ؛ لاشتمال ما قبل الآية على ما يدل على سوء معاملة أصحاب القرية للرسل ، فكان المقام ينتظر أن يعرف السامع هل كل القرية هكذا أم فيها منبت خير ، فهذا الأمر العارض جعل المجرور نصب العين ، بينما الآية الثانية لا يوجد فيها ذلك الأمر العارض لذا تقدم (٦) .

---

(١) المطول ، ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) ديوان أبي تمام . ١١٦/٢ .

(٣) المطول ، ٢٠ .

(٤) يس ، الآية ٢٠ .

(٥) القصص ، الآية ٢٠ .

(٦) المطول ، ٢٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشرح قول زهير بن أبي سلمى :

قف بالديار التي لم يعفها القِدَم

بلى وغيرها الأرواح والديَم(١)

فقد بيّن " أن تطاول الزمان وتقادم العهد لم يعف الديار ولم يغيرها، ثم نقض الكلام السابق بأنّ الذي غير الديار هو الرياح والأمطار ، والنكتة في ذلك اظهار الكآبة والحزن والحيرة والدهشة، حتى كأنه أخبر أولا بما لم يتحقق ثم رجع إليه عقله وأفاق بعض الافاقة . فنقض كلامه السابق قائلا : بلى عفاها القدم وغيرتها الرياح والديم "(٢) .

وما عرضناه سابقا كان نماذج لاستخدام التفتازاني الذوق الأدبي أثناء شرحه ، ومن أراد الاستزادة فعلية مراجعة " المطول" وقراءته قراءة متأنية ليجد صحة ما ذكرناه سابقا (٣).

الاستشهاد بالنصوص الشعرية :

ومن الروافد التي نجدها في " المطول " الاستشهاد بالأبيات الشعرية ، والمتصفح للمطول يلاحظ غزارة المادة الشعرية التي استشهد بها حيث تجاوزت ثلاثمئة بيت لشعراء من مختلف العصور الأدبية ، ونظرة على أسماء الشعراء الذين استشهد بأبيات لهم تبين ذلك ومنهم : النابغة الذبياني ، وعبدة بن الطبيب ، وأوس بن حجر ، والفرزدق ، والأخطل ، والقطامي ، وأبو نواس ، وأبو العلاء .

---

(١) شرح شعر زهير بن أبي سلمى ، صنعة أبي العباس ثعلب ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ، ١٩٨٢م ، ١١٦ .

(٢) المطول ، ٤٢٤ - ٤٢٥ .

(٣) السابق ، ٧٩ ، ١٢٨ - ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢٤٤ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمتنبي ، وابن الرومي ، وأبو تمام . وهذا يدل على تنوع ثقافته واتساعها وتنوع المادة الشعرية التي اعتمد عليها* .

وقد يذكر المناسبة التاريخية(١) للبيت الذي يختاره إذا شعر أنّ ذلك سيوضح القضية البلاغية التي يتحدث عنها أو يساهم في ايصال رأي إلى القارىء .

وقد يستعين بالبيت الذي يسبق الشاهد أوالذي يليه لأنّ في ذلك ايضاحا لقضية بلاغية قد يغفلها ذكر البيت منفردا ، وكان يقوم بشرح الأبيات الشعرية وتوضيح ما غمض منها (٢) ، ليسهل الأمر على القارىء للتوصل إلى القضية البلاغية المراد ايصالها . كما كان يشير إلى الاختلاف الوارد في روايات البيت الشعري ويذكر تفسير البيت بناء على كل رواية (٣).

وكان يوضح معاني الأبيات لغة ، ويذكر ما يقال فيها من آراء لشرحها معللا ، مرجحا ، مناقشا (٤) ، وهذه من المواضع التي يبرز فيها استقلال شخصيته عمن سبقه من البلاغيين ، ومما يدل على سعة ثقافته وذوقه البلاغي . بيانه أنّ المقصود بقول أبي العلاء المعري :

والذي حارت البرية فيه

حيوان مستحدث من جماد(٥)

" أنّ البرية تحيرت في الميعاد الجسماني والنشور الذي ليس

(*) ولمزيد من التفاصيل ينظر الملحق رقم (١) .

(١) المطول ، ٢٨٥ ، ٤٣٦ ، ٤٥٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ .

(٢) السابق ، ٣٦٨ ، ٤٣٤ ، ٤٣٨ - ٤٣٩ ، ٤٤٥ ، ٤٥٠ .

(٣) السابق ، ١٣٣ ، ٣١٥ ، ٤٥٥ .

(٤) السابق ، ٨٧ ، ١٣٨ - ١٣٩ ، ١٤٤ - ١٤٥ ، ٢٩٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٧ .

(٥) ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري ، شرح وتعليق الدكتور نهاد رضا،منشورات مكتبة الحياة - بيروت ، ١٩٦٥م ، ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنفساني . وتحيرت كذلك في أن" الأبدان الأموات تحيا وهي رفات(١)".

ودليله على ذلك قول المعري في بيت سابق له :

بان أمر الإله واختلف الناس

فداع إلى ضلال وهاد (٢)

وهذا هو التفسير الذي يتناسب مع السياق ، وليس غيره من التفاسير. ويختار أن يكون الضمير في كلمة نزاولها الواردة في قول الشاعر :

وقال رائدهم ارسوا نزاولها

فكل حتف امرىء يجري بمقدار(٣)

عائد على الحرب ، ويكون المعنى قال رائد القوم : " اقيموانقاتل فإن" فوق كل نفس يجري قضاء الله وقدره ، لا الجبن ينجيه ولا الإقدام يرديه " (٤) .

ووضح المقصود بقول الشاعر :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى

ذهب الأصيل على لُجَيْن الماء (٥)

فعبث الريح بالغصون : عبارة عن امالتها إياها ، والأصيل هو الوقت بعد العصر إلى المغرب يوصف بالصفرة ، وذهب الأصيل : صفرته وشعاع الشمس فيه . اللجين : الفضة أي ماء كاللجين في البياض والصفاء ، وهذا التفسير هو الذي يراه مقبولا ومتناسبا مع غرض الشاعر ؛ لأنه قال :" هكذا يجب أن يفسر الذهب واللجين في البيت لا كما سبق إلى بعض الأوهام الفاقدة للبصائر (٦)" .

---

(١) المطول ، ١٠٧ .

(٢) ديوان سقط الزند ، ١١٥ .

(٣) معاهد التنصيص ، ٩٢/١ .

(٤) المطول ، ٢٥١ .

(٥) معاهد التنصيص ، ١٦٦/١ .

(٦) المطول ، ٣٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن يقتصر في استشهاده على الشعراء الأعلام المشهورين بل نراه يستشهد بأبيات للمغمورين منهم ، وللمقلين لأنّ الذي يهمه انطباق الشاهد على القضية البلاغية التي هو بصدد الحديث عنها. ومن الشعراء غير المشهورين الذين استشهد بأشعارهم: أبو الفرج الساوي، أبو محمد الخازن ، مالك بن رفيع . وكأنه يريد القول بأنّ الجودة الفنية هي المقياس في الأعمال الأدبية ، والإنتاج الجيد ينبغي أن ينظر ويؤخذ بغض النظر عن شهرة صاحبه أو عدم شهرته (١) .

ومن الشاعرات اللواتي استشهد بأشعارهن : الخنساء ، وليلى ابنة طريف الخارجية .

كما أنه استشهد بأبيات لأعلام لم يعرف عنهم أنهم شعراء أو لم يشتهروا بقول الشعر منهم: العباس بن عبدالمطلب ، والشافعي والزمخشري ، وعلي بن أبي طالب ، وأبو الحسن علي بن أحمد الجوهري، والقاضي أبو الفضيل عياض .

---

(١) معالم المنهج البلاغي عند عبدالقاهر للدكتور محمد بركات أبو علي ، دار الفكر - الأردن - عمان - ط١ ، ١٩٨٤م ، ٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثر البلاغيين السابقين في التفتازاني

الاتجاه الثاني من الروافد البلاغية " للمطول " تمثّل في تأثر التفتازاني بالبلاغيين السابقين ، حيث كان التفتازاني ينقل أراءهم ليستعين ويستفيد بما قالوه في شرح ما يريد .

وهو لم يكن يعتمد على البلاغيين فقط ، وإنما استفاد من جهود العلماء الأعلام في مختلف التخصصات . ويمكن تصنيف هؤلاء الأعلام الذين تركوا أثرا في " المطول " إلى الفئات التالية : أدباء ، نقاد ، فلاسفة ، علماء كلام ، أصحاب دراسات اعجاز القرآن الكريم، نحاة ، لغويين ، مفسرين .

وممن الأسماء التي ترددت في " المطول " : الصاحب بن عبّاد ، ابن العميد ، ابن دريد ، المرزوقي ، المبرد ، ابن الاثير ، الرازي ، الجاحظ ، النّظّام ، ابن سينا ، ابن عباس ، أبو الحسن الأشعري ، سيبويه ، المازني ، الكسائي ، الخليل بن أحمد ....الخ. وهذ يدل على تنوع مصادره ، وموارده ، وأنه كان يأخذ ما يراه معينا له في توضيح فكرته بغضّ النظر عن العصر الذي عاش فيه قائله. فهو قد استشهد برأي لعيسى بن عمر (- ١٤٩ هـ) .وآخر رأي استشهد به كان لابن جابر الأندلسي (- ٧٨٠هـ) ، ولكن تأثره بهؤلاء الأعلام كان يتفاوت من عالم لآخر .

ومن البلاغيين الذين تأثر بهم : عبدالقاهر ، والزمخشري ، وابن سنان ، وابن الأثير ، وتكمن أهمية تأثره بهؤلاء أنهم يمثلون اتجاها في البلاغة مغايرا لما رأيناه عند أتباع المدرسة الكلامية.

وفيما يلي عرض لنماذج من تأثر التفتازاني بجهود الأعلام الذين سبقوه .

المرزوقي (- ٤٢١ هـ) .

صرّح التفتازاني باستفادته من آراء المرزوقي في توضيح عدّة قضايا بلاغية منها :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيان مواطن الجمال في قول حَجْل بن نَضْلة :

جاء شقيق عارضا رمحه

إنّ بني عمك فيهم رماح (١)

فقد قال التفتازاني : لمّا جاء شقيق واضعا الرمح على العرض ، لم يكن ينكر أنّ في بني عمه رماحا، لكن مجيئه بهذه الطريقة ، يدل على أنه يعتقد أنهم عزّل لا سلاح معهم، فنزّل منزلة المنكر وخوطب خطاب التفات بقوله: إنّ بني عمك فيهم رماح مؤكدا بإن (٢). ثم استفاد التفتازاني مما قاله المرزوقي في تفسير قول أبي ثمامة بن عازم :

قلت لمُحْرز لما التقينا

تَنَكّب لا يُقَطّرك الزِحام (٣)

في البيت السابق تهكم وسخرية ، " فالقائل يرمي (محرزا) ، بأنه لم يباشر الشدائد ولم يدفع إلى مضايق الحروب فكأنه يخاف عليه أن يداس بالقوائم ، كما يخاف على الصبيان والنساء ، لقلة غنائه ، وضعف ثباته"(٤) ، ولهذا اعتبر التفتازاني أنّ في بيت حجل بن نضلة تهكما وسخرية ، فكأنه يرمي (شقيقا) بأنّ فيه من الضعف والجبن ، بحيث لو علم أنّ في قومه رماحا لم تقو يده على حمل الرماح (٥) .

واستدل التفتازاني بما قاله المرزوقي في بيان غرض الشاعر من قوله:

---

(١) معاهد التنصيص ، ١/٢٧ .

(٢) المختصر ، ١/١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، شرح أحمد أمين وعبدالسلام هارون ، دار الجيل - بيروت ، ١/٥٨٠ .

(٤) السابق ، ١/٥٨٠ .

(٥) المختصر ، ١/١٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قومي هُمُ قتلوا أمَيْمَ أخي

فإذا رميت يُصِيبُني سهمي (١)

ففرضه التحسر والتفجع وليس الإخبار (٢) ، استدل التفتازاني من الكلام السابق بأن الجملة الخبرية كثيرا ما تخرج لأغراض شتى منها: اظهار التحسر على خيبة الرجاء والتحزن إلى الله سبحانه وتعالى ، لأنه وهب عكس ما تمنت (٣) . كما في قوله تعالى على لسان أم مريم : " رب إني وضعتها أنثى " (٤) .

ويفضل التفتازاني إضافة القيد التالي لتعريف الالتفات :"أن يكون التعبير الثاني على خلاف مقتضى الظاهر" ولولا هذا القيد لدخل في الالتفات أشياء ليست منه . كما في قول الشاعر :

يا من يعز علينا أن نفارقهم

وجداننا كل شيء بعدكم عدم (٥)

فلا يوجد التفات في البيت السابق ؛ لأنّ حق العائد إلى الموصول أن يكون بلفظ الغيبة ، وحق الكلام بعد تمام المنادى أن يكون بطريق الخطاب، فكل من (نفارقهم) و (بعدكم) جار على مقتضى الظاهر(٦).

ثم نقل التفتازاني ما قاله المرزوقي في قول الإمام علي بن أبي طالب :

* أنا الذي سمتن أمي حيدرة *.

كان القياس أن يقول سمته حتى يكون في الصلة ما يعود إلى الموصول، لكنه لمّا كان قصده الاخبار عن نفسه ، وكان الآخر هو الأول لم

---

(١) شرح ديوان الحماسة ، ٢٠٤/١ .

(٢) السابق ، ٢٠٤/١ .

(٣) المطول ، ٤٣ .

(٤) آل عمران ، الآية ٣٦ .

(٥) المطول ، ١٣١ .

(٦) السابق ، ١٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبال برد الضمير على الأول ، وحمل الكلام على المعنى لأمنه من الالتباس . وهو مع ذلك قبيح عند النحويين ، حتى إنّ المازني قال: لولا اشتهار مورده وكثرته لرددته (١).

ويرى التفتازاني أنّ قولنا للبخيل هو حاتم ، يحتمل أن يكون مثلا للتمليح والتهكم ، فإن كان الغرض مجرد الملاحة والظرف من غير قصد إلى سخرية واستهزاء فتمليح ، وإلاّ فهو تهكم (٢) ، مستدلا بما قاله المرزوقي في تفسير قول الشاعر :

أتاني عن أبي أَنَس وعيد
فَسُلّ لِغَيْظَة الضحّاك جسمي (٣) .

إنّ قصد الشاعر في البيت السابق هو الهزء والتمليح (٤).

واستفاد التفتازاني من رأي ذكره المرزوقي لتوضيح المقصود بكلمة المسرج الواردة في قول العجاج بن رؤبة :

* وفاحما ومرسنا مسرجا*(٥)

وهو أن يكون منسوبا إلى السرج ، ويجوز أن يكون وصفه بذلك لكثرة مائه ورونقه حتى كأن فيه سراجا ، ومنه قيل : سرّج الله أمرك أي حسنه ونوّره . جاء ذلك أثناء تفسير المرزوقي لكلمة السريجي الواردة في قول الشاعر :

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه
وصمم تصميم السُريجيّ ذي الأُشُر (٦)

---

(١) شرح ديوان الحماسة ١، ١١٥/ ، ٢٩٧ ، ٤٠٧ .

(٢) المطول ، ٣٢٧ .

(٣) شرح ديوان الحماسة ، ٧٧٧/٢ .

(٤) السابق ، ٧٧٧/٢ .

(٥) ديوان العجاج ، رواية الأصمعي وشرحه، تحقيق الدكتور عزة حسن، مكتبة دار الشروق - بيروت ، ٢١٦ .

(٦) شرح ديوان الحماسة ، ٦٦٧/٢ والمختصر ، ٧٦/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المواضع التي ذكر فيها التفتازاني رأيا نسبه إلى المرزوقي ، تفسيره كلمة عادت الواردة في قول علقمة الفحل :

طحابك قلب في الحسان طروب
بُعَيْد الشباب عصر حان مَشيب
يُكلّفني ليلى وقد شطّ وَلْيُها
وعادت عوادٍ بيننا وخُطُوب(١)

يجوز أن يكون من عادى معاداة ، والمعنى كأن الخطوب صارت تعاديه ، ويجوز أن يكون من عاد يعود أي عادت عواد وعوائق كانت تحول بيننا إلى ما كانت عليه ففرقتنا(٢). وبعد العودة إلى شرح ديوان الحماسة تبين أنّ المرزوقي لم يقل ذلك بل ، أنه لم يذكر البيت السابق في شرحه .

ابن سنان الخفاجي (- ٤٦٦ هـ) :

لم يصرّح التفتازاني بتأثره بابن سنان الخفاجي ، ولم يرد ذكر له في " المطول " ، وإن كان التفتازاني قد استفاد من آرائه وبخاصة في مبحث الفصاحة والبلاغة ، ومن ذلك استفادة التفتازاني بما قاله ابن سنان الخفاجي في بيان المقصود بمخالفة القياس اللغوي ، الذي عدّه القزويني أحد الشروط المخلة بالفصاحة . عندما قال : "فالفصاحة في المفرد : خلوصه من تنافر الحروف ، والغرابة ومخالفة القياس (٣)"، ومثّل له بقول الشاعر :

---

(١) ديوان علقمة الفحل ، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ، دار الكتاب العربي - حلب ، ٢٣ .

(٢) المطول ، ١٣٣ وينظر شرح بائية علقمة " طحابك قلب " تأليف عبدالله الطيّب ، دار الفكر - بيروت والدار السودانية - الخرطوم ، ١٣٩٠هـ ، ٨ - ٩ .

(٣) التلخيص في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، ضبط وشرح عبدالرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ٢٤ - ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحمدلله العلي الأجلل

أنت مليك الناس ربا فاقبل (١)

فإن القياس (الأجل) بالادغام (٢) . هذا كل ما قاله القزويني في " التلخيص " و " الايضاح " حول مخالفة القياس ، وكما يظهر فإنه لم يوضح المقصود بمخالفة القياس .

وقام التفتازاني بتوضيح المقصود به عندما قال : مخالفة القياس أن تكون الكلمة على خلاف القانون المستنبط من تتبع لغة العرب أي مفردات ألفاظهم الموضوعة ، أو ما هو في حكمها كوجوب الادغام في نحو مدّ ، والاعلال في نحو قام ، وغير ذلك مما يشتمل عليه علم التصريف (٣).

وهذا لا يختلف عما قاله ابن سنان عندما تحدث عن مخالفة القياس ، حيث أدخل فيه كل ما ينكره أهل اللغة ، ويردّه علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة (٤) .

الرازي (- ٦٠٦ هـ) :

يمكن القول إن الرازي هو الذي فتح بداية الطريق لأتباع المدرسة الكلامية ، لأنه قام بتلخيص كتابي عبدالقاهر ، ولمّا جاء السكاكي تمم ما بدأه الرازي ، ثم تلاه القزويني وشرّاح التلخيص.

وكان من المتوقع أن يكثر التفتازاني من الاستشهاد بآراء الرازي ؛ لأن منهجهما متشابهما سواء في الترتيب والتقسيم أو ذكر الأمثلة ، والتسميات ، والمناقشة ، واستعمال الأسلوب المنطقي

---

(١) معاهد التنصيص ، ١/٧ .

(٢) الايضاح ، ٣/٢٦ .

(٣) المطول ، ١٩ .

(٤) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، تعليق عبدالمتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده - مصر ، ١٩٥٣م ، ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفلسفي ، إلا أنّ هذا لم يحدث ، ونادرا ما كان التفتازاني يذكر اسمه في كتابه .

ومن المرات التي صرّح بنقله عنه هو نقله رأي الرازي حول الفاعل في المجاز العقلي ، وتبين أنه مخالف لرأي عبدالقاهر ، فانتصف التفتازاني لعبدالقاهر (١) .

وفي مرة ثانية نقل رأيا للرازي لكنه لم يذكره بالاسم ، بل اكتفى بقوله : وقيل إنّ تشبيه المحسوس بالمعقول غير جائز ، لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها ، وإذا كان المحسوس أصلا للمعقول فتشبيهه به يكون جعلا للفرع أصلا والأصل فرعا ، وهذا غير جائز ، ثم نقل تعليل الرازي لورود هذا النوع من التشبيه في الشعر ، وهو أن يقدر المعقول محسوسا ، ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على طريق المبالغة فيصح التشبيه حينئذ (٢) .

ابن الأثير (- ٦٣٧ هـ) :

صرّح التفتازاني بتأثره بابن الأثير في توضيح المواقف البلاغية التالية : يرى التفتازاني أنّ تقديم المفعول قد لايكون للتخصيص بل قد يكون لمجرد الاهتمام أو التبرك أو ضرورة الشعر أو رعاية السجع أو الفاصلة وما أشبه ذلك وبعد أن يذكر التفتازاني الآيات القرآنية الدالة على كل نوع يقول : إلى غير ذلك من المواضع مما لا يحسن فيه اعتبار التخصيص لنبو المقام(٣) عنه . وهذا ما صرّح به ابن الأثير الذي ذكر أنّ التقديم في قوله

---

(١) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز لفخر الدين الرازي ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور محمد بركات أبو علي ، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان ، ١٩٨٥م ، ٨٦ - ٨٧ .

(٢) السابق ، ٩٣ - ٩٤ والمطول ، ٣١٢ .

(٣) المطول ، ٢٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى: " إياك نعبد وإياك نستعين " (١) لمراعاة حسن النظم (٢) السجعي الذي هو حرف النون لا للاختصاص كما قال الزمخشري(٣).

وعندما تحدّث التفتازاني عن السجع نقل رأي ابن الأثير بأنّ السجع يحتاج إلى شروط أربعة وهي : اختيار مفردات الألفاظ ، واختيار التركيب الحسن ، وكون اللفظ تابعا للمعنى لا عكسه ، وكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى آخر (٤) ، وإذا لم تتوفر تلك الشروط كان في الكلام تطويل كما في النص التالي : "الحمدلله الذي لا تدركه الأعين بلحاظها ، ولا تحده الألسن بألفاظها ، ولا تخلقه العصور بمرورها ، ولا تهرمه الدهور بكرورها ، والصلاة على من لم ير للكفر أثرا إلاّ طمسه ومحاه ، ولا رسما إلاّ أزاله وعفاه" . إذ لا فرق بين مرور العصور وكروز الدهور ولا بين محو الأثر وعفاء الرسم (٥) .

كما أنه نقل تقسيم ابن الأثير للسجع ، وكان ابن الأثير قد قسمه إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون الفصلان متساويين كقوله تعالى :" فأمّا اليتيم فلا تقهر وأمّا السائل فلا تنهر "(٦) وهو أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه(٧) .

---

(١) الفاتحة ، الآية ٥ .

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب لابن الأثير ، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٢م ، ٢١٢/١ .

(٣) الكشاف ، ١٥/١ - ١٦ .

(٤) المثل السائر ٢٧٦/١ والمطول ، ٤٥٤ .

(٥) المطول ، ٤٥٤ .

(٦) الضحى ، الآيتان ١٠-٩ .

(٧) المثل السائر ، ٣٣٣/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني : أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول لا طولا يخرج به عن الاعتدال ، فإنه يقبح عند ذلك ويعد عيبا ، ومثاله قوله تعالى : "وقالوا اتّخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادّا تكاد السموات يتفطرن منه وتَنشقّ الأرض وتَخِر الجبال هدّا"(١) ، فإنّ الأول ثمان لفظات ، والفصل الثاني تسع والثالث تسع وأمثال هذا كثير في القرآن الكريم ، ويستثنى من هذا القسم ما كان السجع على ثلاث فقر، فإنّ الفقرتين الأوليتين تحسبان في عدة واحدة ثم تأتي الثالثة بحيث تزيد عليهما طولا ، ومثّل ابن الأثير لهذا النوع بنص من تأليفه في وصف الصديق (٢) .

وأضاف التفتازاني ويجوز أن تجيء مساوية لهما كقوله(٣) تعالى: "وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمن في سِدْر مخضود وطَلْح منضود وظِلّ ممدود "(٤) فهذه الثلاث كل واحدة منهما تتكون من لفظتين ولو جعلت الثالثة منها خمس لفظات أو ست لفظات كان حسنا(٥) .

والقسم الثالث من السجع كما قال ابن الأثير :" أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول ، وهذا عيب فاحش ، وسبب ذلك أنّ السجع قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيرا عن الأول فيكون كالشيء المبتور ، فيبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها "(٦) . ومما يلحظ أنّ ابن الأثير لم يمثل لهذا القسم وكذلك التفتازاني الذي اكتفى بنقل ما قاله ابن الأثير .

---

(١) مريم ، الآيتان ٨٨ - ٨٩ .

(٢) المثل السائر ، ٣٣٣/١ - ٣٣٤ .

(٣) المطول ، ٤٥٤ .

(٤) الواقعة ، الآيتان ٢٨ - ٢٩ .

(٥) المطول ، ٤٥٤ .

(٦) المثل السائر ٣٣٥/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبيّن التفتازاني أنّ من السجع ما يسمى بالتصريع وهو : جعل العروض مقفاة تقفية الضرب ، والعروض هو آخر المصراع الأول من البيت والضرب آخر المصراع الثاني منه (١) .

وبعد ذلك ذكر التفتازاني أنّ ابن الأثير قد قسم التصريع إلى سبع مراتب . ذكرها كما وردت عند ابن الأثير .

ومما يلحظ أنّ التفتازاني قد أطال في النقل عن ابن الأثير ، ولا يعفيه من اللوم تصريحه بنقله عن " المثل السائر " كما أنه نقل نقلا حرفيا كل ما قاله ابن الأثير مكتفيا باجراء تعديلات طفيفة في بعض العبارات ومن أمثلة ذلك : قال ابن الأثير عن المرتبة الثالثة من مراتب التصريع :" أن يكون الشاعر مخيرا في وضع كل مصراع موضع صاحبه ، ويسمى " التصريع الموجه " (٢)" .

أما ما قاله التفتازاني عن المرتبة الثالثة: "أن يكون المصراعان بحيث يصح وضع كل منهما موضع الآخر (٣)" .

ويظهر اهتمام ابن الأثير بالنصوص حيث أكثر من الاستشهاد بها، فقد مثّل للمرتبة الأولى من التصريع بثلاثة أبيات . وكذا فعل في المرتبة الثانية . أمّا التفتازاني فكان يكتفي بنقل مثال واحد فقط مما قاله ابن الأثير .

ومن المواضع الأخرى التي ذكر فيها التفتازاني آراء لابن الأثير :

قام التفتازاني بتوضيح مقصود القزويني من قوله في تعريف الموازنة:" هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية"(٤) بقوله:" والظاهر من قول القزويني دون التقفية أنه يجب في الموازنه أن

---

(١) المطول ، ٤٥٦ .

(٢) المثل السائر ، ٣٣٩/١ - ٣٤٠ .

(٣) المطول ، ٤٥٦ .

(٤) التلخيص ، ٤٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تتساوى الفاصلتان في التقفية البتة". وبهذا يكون بين الموازنة والسجع تباين ، أمّا إذا أراد القزويني بقوله السابق : " أن يشترط في الموازنة التساوي في الوزن ولا يشترط التساوي في التقفية (١) فحينئذ يكون بين الموازنة والسجع عموم وخصوص من وجه لتصادقهما في مثل " فيها سُرُر مرفوعة وأكواب موضوعة "(٢). وصدق الموازنة بدون السجع في مثل " ونمارق مصفوفة وزَرَابِيّ مبثُوثة"(٣) . وصدق السجع بدون الموازنة في مثل " ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا "(٤) .

ثم ذكر التفتازاني ما قاله ابن الأثير في تعريف الموازنة : "أن تكون ألفاظ الفواصل في الكلام المنثور متساوية في الوزن ، وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساويي الألفاظ . وزنا لا حرفا كما في السجع ، فكل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا ، وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة(٥)" ، وتعليل التفتازاني: أنّ ذلك عائد لعدم اشتراط ابن الأثير في السجع تساوي الفاصلتين في الوزن ، ولم يشترط في الموازنة تساويهما في الحرف الأخير كشديد وقريب (٦) .

وتبنى التفتازاني ما قاله ابن الأثير في " فصل الخطاب "بأنّ "الذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان أنه أمّا بعد ، لأنّ المتكلم يفتتح كلامه في كل أمر ذي شأن بذكر الله وتحميده ، فإذا أراد أن يخـــــرج إلى الغرض المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله

---

(١) المطول ، ٤٥٦ - ٤٥٧ .

(٢) الغاشية ، الآيتان ١٣ - ١٤ .

(٣) الغاشية ، الآيتان ١٥ - ١٦ .

(٤) نوح ، الآيتان ١٣ - ١٤ .

(٥) المثل السائر ، ٣٧٧/١ - ٣٧٨ .

(٦) المطول ، ٤٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى بقوله : أما بعد (١)" .

وتبنّى كذلك ما قاله ابن الأثير في تفسير لفظ هذا الوارد في قوله تعالى :"واذكر اسماعيل واليسع وذا الكِفْل وكلّ من الأخيار هذا ذكر وإنّ للمتقين لحُسْن مَآب "(٢) ." ولفظ " هذا " في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل ، وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره . ألا ترى إلى ما ذكره قبل " هذا " ذكر من ذكر من الأنبياء عليهم السلام ، وأراد أن يذكر بعده باباً آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها . فقال " هذا ذكر " ثم قال : " وإنّ للمتقين لحسن مآب " ثم لمّا أتمّ ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال " هذا وإنّ للطاغين لشرّ مآب " وذلك من فصل الخطاب الذي هو ألطف موقعاً من التخلص (٣)" .

ابن مالك (- ٦٨٦ هـ):

كان تأثر التفتازاني بابن مالك تأثراً محدوداً ، مع أنّ كتاب "المصباح " من أوائل الكتب التي تولت اختصار " المفتاح " ، وربما يعود ذلك ، لأنّ التفتازاني اعتمد على " المفتاح " بصورة مباشرة .

ومن المواضع التي وجدنا فيها أثراً لابن مالك عند التفتازاني ، وإن لم يصرح بنقله عنه :

ذكر ابن مالك قول الحريري : فمذ ازْوَرّ المحبوب الأصفر ، واغْبَرّ العيش الأخضر ، اسْوَدّ يومي الأبيض ، وابْيَضّ فَوْدي الأسود ، حتى رشى لي العدو الأزرق ، فياحبذا الموت الأحمر . كمثال على تدبيج التورية (٤) ، وهذا ما فعله التفتازاني أيضاً إلاّ أنه وضح

---

(١) المثل السائر ، ٣/١٣٩ والمطول ، ٤٨١ .

(٢) ص ، الآيات ٤٨ - ٥٠ .

(٣) المثل السائر ، ٣/١٣٩ - ١٤٠ والمطول ، ٤٨١ .

(٤) المصباح ، ٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التورية في المثال السابق عندما قال :" المعنى القريب للمحبوب الأصفر هو الإنسان الذي له صفرة ، والمعنى البعيد هو الذهب ، وهو المراد هنا (١)". ومما يؤخذ على ابن مالك والتفتازاني أنهما ذكرا مثالا مصنوعا متكلفا ، لا قيمة له بلاغيا ، ويخلو من الجمال الفني .

وعندما تحدّث ابن مالك عن المذهب الكلامي ، عرّفه:" بأن تورد مع الحكم ردا لمنكره حجة على طريق المتكلمين ، أي صحيحة مسلمة الاستلزام (٢)" وهذا التعريف لا يختلف عن التعريف الذي ذكره التفتازاني نقلا عن القزويني " هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام ، وهو أن تكون بعد تسليم المقدمات مستلزمة للمطلوب(٣)".

ثم بيّن ابن مالك بأنّ المذهب الكلامي يقسم إلى : المنطقي وهو ما كانت حجته برهانا يقيني التأليف قطعي الاستلزام (٤) . ولعل الجاحظ يقصد هذا النوع عندما قال : لا يوجد في القرآن شيء من المذهب الكلامي . والقسم الثاني : الجدلي وهو ما كانت حجته أمارة ظنية لا تفيد إلاّ الرجحان . وهذا النوع موجود بكثرة في القرآن الكريم (٥)ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: " وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه "(٦) وتقديره والأهون أدخل في الامكان ، وقد أمكن البدء فالاعادة أدخل في الامكان من بدء الخلق . وقوله تعالى: " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل

---

(١) المطول ، ٤١٨ .

(٢) المصباح ، ٩٤ .

(٣) التلخيص ، ٣٧٤ والمطول ، ٤٣٥ .

(٤) المصباح ، ٩٤ .

(٥) السابق ، ٩٤ .

(٦) الروم ، الآية ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض "(١) وقوله تعالى : " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا "(٢) وهذا ما نجده في " المطول" وبالتفصيل نفسه وبالآيات القرآنية نفسها، وكذلك الرد على الجاحظ(٣) .

ومما هو جدير بالذكر أنّ ابن مالك وقد تابعه التفتازاني في ذلك قال : إنّ الجاحظ قال : لا يوجد شيء من المذهب الكلامي في القرآن، وبعد العودة إلى مؤلفات الجاحظ تبين أنّ هذا المصطلح لم يرد عند الجاحظ . بل إنّ الذي ذكر ذلك هو ابن المعتز عندما قال عن المذهب الخامس في البديع : "وسماه الجاحظ المذهب الكلامي. وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن الكريم منه شيئا ، وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا(٤)".

وبعد أن ذكر ابن مالك الآراء التي قيلت في المبالغة ذكر رأيه فيها . وهو " للمبالغة فضيلة لا تنكر ، ولولا ذلك لما وردت في القرآن الكريم على وجوه شتى . وبطلت الاستعارة والتشبيه وكثير من محاسن الكلام . فغالب المبالغة على الاطلاق مخطىء ، وغالب الكلام بترك المبالغة غير مصيب وخير الأمور أوسطها "(٥) ، ولكن ابن مالك لم يمثّل للمبالغة المقبولة الواردة في القرآن الكريم كما يقول.

واتبع التفتازاني منهج ابن مالك في عرض آراء من قبل المبالغة، ثم آراء من رفضها ثم ذكر رأيه بأنّ المذهب المرضيّ

---

(١) المؤمنون ، الآية ٩١ .

(٢) الأنبياء . الآية ٢٢ .

(٣) المطول . ٤٣٥ .

(٤) البديع لعبدالله بن المعتز ، نشر اغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار المسيرة - بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢م ، ٥٣ .

(٥) المصباح ، ١٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ المبالغة منها المقبولة ومنها المردودة (١) .

وعندما تحدّث التفتازاني عن مراعاة النظير وهو" جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد (٢)". بيّن أنه قد يجمع بين أكثر من أربعة أمور كما في قول ابن رشيق :

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى

من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا

عن البحر عن كف الأمير تميم(٣)

فإنه ناسب بين القوة والصحة ، والسماع والخبر المأثور والأحاديث والرواية ، وناسب بين السيل والحيا والبحر وكف الأمير تميم . ولفت الانتباه إلى ما في البيتين من أثر ديني كما في سند الأحاديث حيث تجعل الرواية لصاغر عن كابر (العنعنة) . وكذا فعل الشاعر فإنّ السيول أصلها المطر والمطر أصله البحر ، والبحر أصله كف الممدوح على ما ادّعاه الشاعر (٤) . وهذا ما وجدناه عند ابن مالك والفرق بينهما ، أنّ ابن مالك سمى مراعاة النظير الائتلاف . وكان التفتازاني قد ذكر عدة تسميات لمراعاة النظير منها الائتلاف. ولكن ابن مالك لم يعرّف الائتلاف ، واكتفى بذكر أقسامه.وبيّن أنّ قول ابن رشيق فيه ائتلاف اللفظ مع اللفظ . وهو "أن يكون في الكلام معنى يصح معه واحد من عدة معان فنختار منها ما بينه وبين بعض الكلام ائتلاف الاشتراك في الحقيقة أو ملاءمة

---

(١) المطول ، ٤٣٤ .

(٢) التلخيص ، ٣٥٤ والمطول ، ٤٢٠ .

(٣) ديوان ابن رشيق القيرواني ، جمع وترتيب الدكتور عبدالرحمن ياغي ، دار الثقافة - بيروت ، ١٧٠ - ١٧١ .

(٤) المطول ، ٤٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المزاج (١)" .

وبيّن ابن مالك أنّ التورية تقسم إلى أربعة أضرب منها :

الأول : التورية المجردة كلفظة الغزالة في قول أبي الفضيل عياض في وصف صيفية باردة :

كأن كانون أهدى من ملابسه

بشهر تموز أنواعا من الحُلَل

أو الغزالة من طول المدى خَرِفت

فما تفرق بين الجدي والحمل(٢)

لا يوجد قبله ولا بعده شيء من لوازم المورّى به .

الثاني : التورية المرشحة بما قبلها كلفظ الجدي والحمل في البيت الثاني ، لما بين الغزالة وبين ذكرهما من العلاءمة (٣).

بينما ذكر التفتازاني البيت الثاني فقط كمثال للتورية المرشّحة ، وفسّر ذلك بأنّ الشاعر يعني كأن الشمس من كبرها صارت خرفة قليلة العقل ، فنزلت في برج الجدي في أوان الحلول ببرج الحمل، فأراد بالغزالة معناها البعيد (الشمس) ، وقد قرن بها ما يلائم المعنى القريب ، حيث ذكر الجدي والحمل (٤) . وبهذا يكون التفتازاني قد وضح المقصود بالغزالة وهذا مالم يفعله ابن مالك .

وعندما تحدث التفتازاني عن الادماج " وهو تضمين كلام سيق لمعنى معنى آخر " مثّل له بقول الشاعر :

أبى دهرنا اسعافنا في نفوسنا

وأسعفنا فيمن نحب ونكرم .

---

(١) المصباح ، ١١٤ - ١١٥ .

(٢) السابق ، ١١٩ ، والمطول ، ٤٢٥ .

(٣) السابق ، ١١٩ .

(٤) المطول ، ٤٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقلت له نعماك فيهم أتمهـــــا

ودع أمرنا إن المهم المقدم(١)

ثم بيّن أنّ من قال : إنّ الشاعر قد أدمج شكوى الزمان في التهنئة فقد سها ، لأن الشكوى مصرّح بها فكيف تكون مدمجة ؟ وكان التفتازاني قد اشترط في الادماج ألاّ يكون المعنى الثاني مصرّحا به ، وألا يكون في الكلام اشعار بأنه مسوق لأجله (٢).

وكان ابن مالك قد قال: إنّ الشاعر في البيتين السابقين قد أدمج شكوى الزمان وبيان ما هو عليه من اختلال الأحوال في التهنئة . وأبدى ابن مالك اعجابه بتصرف الشاعر ، لأنه قد نقل ما يريده دون انتقاص لكرامته (٣) .

وقد تبنّى التفتازاني التفسير الذي ذكره ابن مالك لقول الشاعر :

ولا بُدّ لي من جَهْلة في وصاله

فمن لي بخلّ أُودِع الحِلْم عنده (٤)

ولكن التفتازاني لم يصرّح بذلك . وعند قراءة التفسيرين يتضح أنّ الفرق بينهما في ترتيب العبارات فقط (٥) .

---

(١) المصباح ، ١٢٣ والمطول ، ٤٤٢ .

(٢) المطول ، ٤٤٢ .

(٣) المصباح ، ١٢٣ .

(٤) ديوان ابن نباته السعدي ، تحقيق عبدا لأمير مهدي حبيب الطائي، دار الحرية للطباعة - بغداد ، ١٩٧٧م . ٣٣٨/١ .

(٥) المصباح ، ١٢٣ والمطول ، ٤٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

موازنات

بين التفتازاني وعبد القاهر :

صرّح التفتازاني في مقدمة "المطول" باطلاعه على كتابي عبد القاهر واتضح من كلامه أنه تصفحهما جيدا وبذل كل ما يستطيع لفهم محتويات هذين الكتابين (١). ولهذا كان أثر عبد القاهر واضحا فيما كتبه التفتازاني.

ومن أوائل الملاحظات التي أبداها التفتازاني على كتب عبد القاهر أنّ المعلومات الواردة فيها غير مرتبة، فهي مثل عقد انفصم فتناثرت لآليه بينما نجد القسم الثالث من "المفتاح" من أحسن الكتب المشهورة من جهة الترتيب؛ لأنّ السكاكي قد وضع كل شيء في مرتبته، ورتّب كل مسألة وفق أبوابها الخاصة بها (٢).

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ هدف عبد القاهر فيما كتبه كان لتوضيح وسيلة فهم البيان القرآني، لا يصح اعتراض التفتازاني فعبدالقاهر لم يضم الحديث عن الأنواع البلاغية لا لقصور في منهجه، ولا لاضطراب في تأليفه ، بل لأنه يستخدم المصطلح البلاغي حين يعوزه توضيح الوسيلة في فهم البيان القرآني (٣).

وملاحظته السابقة على كتب عبدالقاهر لم تمنعه- فيما بعد- من الاعجاب بعبدالقاهر ومنهجه في التقليل من التقسيمات والتفريعات التي لا جدوى من بحثها ، جاء ذلك أثناء حديثه عن وجه الشبه وتقسيماته التي تحدّث عنهاالسكاكي ومن ثم القزويني،حيث قال: "واعلم أنّ أمثال هذه التقسيمات التي لا تتفرع على أقسامها أحكام

---

(١) المطول، ٤ .

(٢) السابق، ١٠ .

(٣) معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر، ٣٥ ، ٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متفاوته، قليلة الجدوى" (١). كما أنه يأخذ على السكاكي اقحامه لمباحث الفلسفة والمنطق في البحث البلاغي مما أدّى فيما بعد إلى طغيان المادة العلمية الجافة على اللمحة الذكية واللفتة البلاغية والذوقية، لأنه قال: "وكأن هذا ابتهاج من السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين، فلله در الإمام عبد القاهر واحاطته بأسرار كلام العرب وخواص تراكيب البلغاء، فإنه لم يزد في هذا المقام على التكثير من أمثلة أنواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها" (٢).

وعلى رغم اعجاب التفتازاني بعبد القاهر، وتفضيله لمنهجه، إلاّ أنه سلك منهج السكاكي، وبحث تلك التقسيمات دون تغيير أو تقليل لها. وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل نجده يستخدم مصطلحات المتكلمين والفلاسفة، وهذا يظهر بجلاء لمن يتصفح "المطول" (٣)، وكان الأجدر به أن يترك بحث مثل هذه الأمور على الأقل تنفيذا لكلامه، ولكن كما يقول الدكتور أحمد مطلوب: "ولكن البلاغيين سحروا بمنهج السكاكي، وساروا عليه من غير أن يحاولوا اصلاحه، إلاّ ما صدر عنهم من ملاحظات لا تبعد عن جوهره كثيرا (٤)".

وعلى أية حال فهذه التفاتة حسنة منه، وتحمد له فكأنه ينادي بتخليص البلاغة مما علق بها من العلوم التي أساءت اليها.

وأبدى اعجابه بعبد القاهر مرة أخرى، عندما اختار ما قاله عبد القاهر في شرح قول الشاعر :

---

(١) المطول، ٣١٩ .

(٢) السابق، ٣١٩ .

(٣) ينظر ٣٣ - ٣٨ هذه الدراسة.

(٤) أساليب بلاغية ، وكالة المطبوعات - الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٠ م، ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سأطلب بُعْدَ الدار عنكم لتَقْرُبوا

وتسكب عيناي الدموع لتجْمُدا (١).

والمعنى : إني اليوم أطيب نفسا بالبعد والفراق وأوطّن نفسي على مقاساة الأحزان والأشواق ، وأحتمل لأجلها حزنا يفيض الدموع من عيني لأتسبب بذلك إلى وصل يدوم ومسرة لا تزول ، فإنّ الصبر مفتاح الفرج ومع كل عسر يسر . هذا هو المفهوم من " دلائل الإعجاز " كما يقول التفتازاني (٢). وقبل اختياره لهذا التفسير كان قد ذكر عدة آراء قيلت لتفسير البيت السابق رفضها بعد أن ناقشها ، وقال عنها في " المختصر " :" وللقوم ههنا كلام فاسد أوردناه في الشرح "(٣) وعلل التفتازاني رفضه لها لما فيها من التكلف والتعسف منشؤه عدم التعمق في المعاني وقلة التصفح لكلام المهرة من السلف (٤) ، ولكن بعد العودة إلى " دلائل الاعجاز " تبين أنّ عبد القاهر قد ذكر التفسير الذي اختاره التفتازاني لا لأنه هو الصحيح بل ليظهر ما فيه من ضعف . فقد قال عنه عبدالقاهر :" إنه تفسير لا يستقيم ولا يستتب لما فيه من التناقض، ويجعل الشاعر كأنه قال أحتمل البكاء لهذا الفراق عاجلا ؛ لأصير في الأجل بدوام الوصل واتصال السرور في صورة من يريد من عينه أن تبكي ثم لا تبكي ؛ لأنها خلقت جامدة لا ماء فيها ، وذلك من التهافت والاضطراب بحيث لا تنجح الحيلة فيه(٥)". فهل نقول كما قال التفتازاني نفسه والعجب ممن يقوم

---

(١) ديوان العباس بن الأحنف، تحقيق وشرح عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٤م، ١٠٦ .

(٢) المطول، ٢٣ . ودلائل الاعجاز ، ٢٧٠ .

(٣) المختصر، ١ / ٩٢ .

(٤) المطول، ٢٢ .

(٥) دلائل الاعجاز ، ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالذّب عن كلام أحد من غير أن ينظر فيه أدنى نظرة ؟ (١) .

كما أنّ التفتازاني يأخذ على القزويني عدم تصفحه " دلائل الاعجاز " حق التصفح ، ليطلع على ما هو مقصود عبدالقاهر من كلامه بأنّ الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى وإلى ما يدل عليه باللفظ دون اللفظ نفسه (٢) . وقوله في موضع أخر إنّ فضيلة الكلام للفظه لا لمعناه ، حتى إنّ المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي ، ولا شك أنّ الفصاحة من صفاته الفاضلة فتكون راجعة إلى اللفظ دون المعنى (٣) .

والتفتازاني يرى أنّ عبدالقاهر قد أنكر على كلا الفريقين رأيه لأنه قال : إنّ الكلام الذي يدقّ فيه النظر ويقع به التفاضل هو الذي يدلّ بلفظه على معناه اللغوي ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصود ، فهناك ألفاظ ومعان أول ومعان ثوان ، فالشيخ يطلق على ترتيب المعاني الأول في النفس ثم على ترتيب الألفاظ في النطق على حذوها اسم النظم والصور وغير ذلك من التسميات ، ويحكم قطعا بأنّ الفصاحة من الأوصاف الراجعة إليها ، وأنّ الفضيلة التي بها يستحق الكلام أن يوصف بالفصاحة والبلاغة ، إنما هي فيها لا في الألفاظ المنطوقة التي هي الأصوات والحروف ، ولا في المعاني الثواني التي هي الأغراض التي يريد المتكلم اثباتها أو نفيها ، فحيث يثبت أنّ الفصاحة من صفات الألفاظ أو المعاني يريد بهما تلك المعاني ، وحيث ينفي أن تكون من صفاتهما يريد بالألفاظ الألفاظ المنطوقة، وبالمعاني المعاني الثواني التي

---

(١) المطول ، ٤٠٣ .

(٢) السابق ، ٢٨ والايضاح ١/٤٤ - ٤٦ ودلائل الاعجاز ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٦ .

(٣) دلائل الاعجاز، ٢٥٦ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٤٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جعلت مطروحة في الطريق وسوّى بينها وبين الخاصة والعامة (١) .

ثم بيّن التفتازاني أنّ ما ذكره سابقا قد فهمه من كلام عبدالقاهر الذي صرّح به مرارا من ذلك قوله : لمّا كانت المعاني تتبين بالألفاظ ولم يكن لترتيب المعاني سبيل إلاّ بترتيب الألفاظ في النطق تجوزوا فعبروا عن ترتيب المعاني بترتيب الألفاظ ثم بالألفاظ بحذف الترتيب (٢) . وإذا وصفوا اللفظ بما يدل على تفخيمه لم يريدوا اللفظ المنطوق ، ولكن معنى اللفظ الذي دلّ به على المعنى الثاني ؛ والسبب أنهم لو جعلوها أوصافا للمعاني لما فهم أنها صفات للمعاني الأول المفهومة أي الزيادات والكيفيات والخصوصيات ، فجعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا اللفظ ، وهم يريدون الصورة التي حدثت في المعنى والخاصّة التي حدثت فيه (٣) . واعلم أنّ قولنا " الصورة " إنما هو تمثيل وقياس لما ندركه بعقولنا على ما ندركه بأبصارنا ، فكما أنّ تبين إنسان من إنسان يكون بخصوصية توجد في صورة هذا لاتكون في صورة ذاك ، كذلك يوجد بين المعنى في بيت وبينه في بيت آخر فرق فعبّرنا عن ذلك الفرق بأن قلنا للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذاك . وليس هذا من مبدعاتنا بل هو مشهور في كلام العلماء ، وكفاك قول الجاحظ وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير (٤) .

ثم بيّن التفتازاني أنّ عبدالقاهر قد شدد النكير على من زعم أنّ الفصاحة من صفات الألفاظ المنطوقة ، وقال إنّ سبب الفساد عدم التمييز بين ما هو وصف للشيء في نفسه وبين ما هو وصف له من

---

(١) المطول ، ٢٩ .

(٢) دلائل الاعجاز ، ٦٤ .

(٣) السابق ، ٤٨٢ .

(٤) السابق ، ٥٠٨ والمطول ٢٩ - ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أجل أمر عرض في معناه ، فلم يعلموا أننا نعني بالفصاحة التي تجب للفظ لا من أجل شيء يدخل في النطق بل من أجل لطائف تدرك بالفهم بعد سلامته من اللحن في الاعراب والخطأ في الألفاظ ، ثم إننا لا ننكر أن يكون مذاقة الحروف وسلاستها مما يتوجب الفضيلة ويؤكد أمر الاعجاز ، وإنما ننكر أن يكون الاعجاز به ويكون هو الأصل والعمدة، ومما أوقعهم في الشبهة أنه لم يسمع عاقل يقول معنى فصيح ، والجواب أنّ الفضيلة التي بها يستحق اللفظ أن يوصف بالفصاحة إنما تكون في المعنى دون اللفظ ، والفصاحة عبارة عن كون اللفظ على وصف إذا كان عليه دلّ على تلك الفضيلة فيمتنع أن يوصف بها المعنى ، كما يمتنع أن يوصف بأنه دال (١) .

ومما يلحظ أنّ التفتازاني لم يفصل الحديث عن ردّ عبدالقاهر على من يجعل الفصاحة في المعاني فقط . كما أنه قد أخطأ في فهم مقصود عبدالقاهر من المعنى ومعنى المعنى .

وبين التفتازاني أنّ القزويني قد نقل ما قاله عبدالقاهر في بيان الفرق بين التشبيه الوارد في قول الشاعر :

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة

فلما رأوها اقشعت وتجلت (٢)

والتشبيه الوارد في قولنا : هو يصفو ويكدر .

والفرق بين التشبيهين يكمن في أننا لا نستطيع أن ننتزع وجه الشبه من مجرد قول الشاعر : كما أبرقت قوما عطاشا غمامة ، لأنّ ذلك يخلّ بالمعنى الذي أراده، وهو تشبيه الحالة المذكورة في البيت بظهور سحابة لقوم عطشى فأيقنوا بالمطر الذي سيذهب ظمأهم ، ولكنها سرعان ما انقشعت فما زادهم ذلك إلاّ تألما وحسرة .

---

(١) دلائل الاعجاز، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٠ - ٦٢ ، ٤٠٠ - ٤٠٢ والمطول، ٣٠ .

(٢) معاهد التنصيص ، ١٥١/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا يجب انتزاع وجه الشبه من البيت بأكمله ، بينما في قولنا : هو يصفو ويكدر فلو قلنا هو يصفو ولم نتعرض لذكر الكدر لوجدنا أنّ تشبيهنا له بالماء في الصفاء بحاله وعلى حقيقته . فالاقتصار على أحد الأمرين لا يبطل الغرض من الكلام ؛ لأنّ غرضنا وصف المخبر عنه بأنه يجمع بين الصفتين وأن إحداهما لا تدوم ، من غير قصد إلى امتزاج إحداهما بالأخرى (١). ولكن التفتازاني لا يعد ما ورد في قولنا : هو يصفو ويكدر من التشبيه بل هو استعارة بالكناية (٢). وهو بذلك يخالف عبدالقاهر لأنه كما اتضح فإنّ القزويني قد نقل رأي عبدالقاهر. ورأي التفتازاني أقرب إلى الصواب ففي قولنا : زيد يصفو ويكدر . نكون قد شبهنا زيدا بالماء ثم حذفنا المشبه به ورمزنا له بشيء من لوازمه والصفاء والكدر من صفات الماء ، واسنادها إلى الإنسان استعارة تخيلية .

ونقل التفتازاني ما قاله عبدالقاهر لبيان الفرق بين التشبيه المركب والتشبيهات المجتمعة . والفرق بينهما لايشترط في التشبيهات المجتمعة كما في قولنا : زيد كالأسد والبحر والسيف . ترتيب الجمل على نسق مخصوص ، ولهذا إذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقي في افادة المعنى قبل الحذف ، فإذا قلنا زيد كالأسد والبحر لم يتغير المعنى ، ولو قدمنا التشبيه بالبحر أو بالسيف على التشبيه بالأسد لجاز ذلك أيضا ، بينما لا يصح ذلك في التشبيه المركب (٣) كما في قوله تعالى : " إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زُخْرُفَها وازّيّنت وظنّ أهلها أنهم قادرون

---

(١) أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني،تحقيق هـ.ريتر،دار المسيرة بيروت ط٢ ، ١٩٧٩م ، ٩٨-٩٩ والتلخيص ، ٢٦٠-٢٦١ والمطول ، ٣٢٦ .

(٢) المطول ، ٣٢٦ .

(٣) أسرار البلاغة ، ٩٧ والمطول ، ٣٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليها آتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس " (١).

ففي صدر هذه الآية عشر جمل إذا فصلت ، ووجه الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض ، ولو حذفنا منها جملة واحدة من أي موضع كان لأخلّ ذلك بالمغزى من التشبيه(٢) .

ومن المواضع التي صرّح فيها التفتازاني باستفادته مما قاله عبدالقاهر : بيان البلاغة في التشبيه المفروق . " وهو التشبيه الذي يتعدد طرفاه فيؤتى أولا بالمشبهات على طريق العطف أو غيره ثم بالمشبه به " (٣) . كما في قول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطْبا ويابسا
لدى وكْرها العُنّاب والحَشَف البالي(٤)

فهذا التشبيه إنما يستحق الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه ، لا لأن للجمع فائدة في عين التشبيه . فالكلام في البيت السابق معقود على تشبيه شيئين بشيئين ضربة واحدة إلاّ أنّ أحدهما لا يداخل الآخر في الشبه (٥) . إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها إلاّ أنه ذكر أولا المشبهين ثم المشبه بهما على الترتيب (٦) .

واعتمد التفتازاني على ما قاله عبدالقاهر لبيان أنّ وجه الشبه مركّب وكذا طرفيه في قول بشار بن برد :

---

(١) يونس ، الآية ٢٤ .

(٢) أسرار البلاغة ، ٩٦ - ٩٧ .

(٣) المطول ، ٣٣٨ .

(٤) ديوان امرىء القيس ، ٣٨ .

(٥) أسرار البلاغة ، ١٧٦ - ١٧٨ .

(٦) المختصر ، ١٨٣/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأن مُثار النَقْع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه (١)

فالشاعر قصد تشبيه النقع والسيوف فيه ، بالليل المتهاوي كواكبه ، ولذلك وجب الحكم بأنّ أسيافنا في حكم الصلة للمصدر لئلا يقع في تشبيهه تفرق ، ويتوهم أنه كقولنا : كأن مثار النقع ليل ، وكأن السيوف كواكب . ونصب الأسياف لا يمنع من تقدير الاتصال ، لأنّ الواو فيها بمعنى "مع" . ومما ينبه على ذلك أنّ قوله (تهاوي كواكبه) جملة وقعت صفة لليل فالكواكب مذكورة على سبيل التبع لليل . والشاعر لم يقتصر على أن أرانا لمعان السيوف في أثناء المعركة كالكواكب في الليل ، بل عبّر عن هيئة السيوف وقد سلّت من أغمادها وهي تعلو وترسب ، وتجيء وتذهب ، وهذه الزيادة - وهي افادة هيئة السيوف في حركتها - زادت التشبيه تفصيلا ؛ لأنها لا تقع في النفس إلاّ بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك لأنّ للسيوف عند احتدام المعارك واختلاف الأيدي فيها للضرب اضطرابا شديدا وحركات سريعة ثم إنّ لتلك الحركات جهات مختلفة . وأحوالا تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، وأنّ السيوف باختلاف هذه الأمور تتلاقى وتتداخل ويصدم بعضها بعضا ، ثم إنّ أشكال السيوف مستطيلة . فنبّه بشار على هذه الدقائق بكلمة واحدة هي (تهاوى) فإنّ الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها وكان لها في تهاويها تدافع وتداخل ثم إنها بالتهاوي تستطيل أشكالها ، فإذا لم تزل عن أمكانها فهي على صورة الاستدارة (٢) .

ويلحظ طول المادة التي اقتبسها التفتازاني من "أسرار البلاغة" وبعد ذلك قام بتوضيح مقصود عبدالقاهر من قوله : إنّ أسيافنا في

---

(١) ديوان بشار بن برد ، تعليق محمد الطاهر بن عاشور وآخرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ، ١٩٥٤م ، ٣٣٥/١ .

(٢) أسرار البلاغة ، ١٦٠ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكم الصلة للمصدر.معناه أنه ليس عطفا على مثار النقع بل هو مما يتعلق به معنى الاثارة ، لكون الواو بمعنى (مع) ، وهو كما يقال في قولنا : زيد ضارب عمرا وبكرا ، إنّ بكرا في حكم الصلة للضرب ، وليس المراد أنّ المثار بمعنى المصدر على ما سبق إلى الوهم (١) . فهو هنا لم يكن مجرد ناقل لما قاله عبدالقاهر بل أزال لبسا وقع في الأذهان حول كلام عبدالقاهر .

وكان ينبغي على التفتازاني أن يتحرى الدقة فيما نقله عن عبدالقاهر ، فعبد القاهر جعل كلام الشاعر إلى قوله أسيافنا في حكم الصلة للمصدر (٢) . بينما جعل التفتازاني كلمة أسيافنا فقط في حكم الصلة للمصدر (٣) . ومما هو جدير بالذكر أنّ التفتازاني قد صرّح في " المطول " بأنه ينقل عن " أسرار البلاغة " أمّا في "المختصر" فقد تبنّى رأي عبدالقاهر دون أن يصرّح بنقله عن عبدالقاهر (٤) ، فبدا كأنه يذكر رأيا خاصا به .

وعندما تحدّث عن التشبيه البعيد الغريب ، وهو التشبيه الذي ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به بعد فكر وتدقيق النظر ، لعدم ظهور وجه الشبه في بادىء الأمر إمّا لندرة حضور المشبه به أو لقلة تكرره على الحس ، وإمّا لكثرة التفصيل (٥) . استعان التفتازاني بما قاله عبدالقاهر لبيان المقصود بعبارة " لكثرة التفصيل " وهو قوله : اعلم أنّ قولنا " التفصيل " عبارة جامعة ، معناه أنّ معك وصفين أو أوصافا فأنت تنظر فيها واحدا فواحدا وتفصل بالتأمل بعضها من بعض وإنّ لك في الجملة حاجة إلى أن تنظر

---

(١) المطول ، ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٢) أسرار البلاغة ، ١٧٩ .

(٣) المطول ، ٣٢٣ .

(٤) المختصر ، ١٦٧/٢ - ١٦٨ .

(٥) المطول ، ٣٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في أكثر من شيء واحد وأن تنظر في الشيء الواحد إلى أكثر من جهة واحدة ، ثم إنه قد يقع على أوجه : أحدهما : أن تأخذ بعضا وتدع بعضا كما فعل امرؤ القيس في اللهب حين عزل الدخان عن السنا وجرّده في قوله :

جمعت رديني كأن سنانه

سنا لهب لم يتّصل بدخان(١)

والثاني : أن تنظر من المشبه في أمور لتعتبرها كلها وتطلبها فيما تشبه به ، وذلك كاعتبارك في تشبيه الثريا بالعنقود والأنجم أنفسها ، والشكل فيها واللون واجتماعها على مسافة مخصوصة في القرب والبعد ، ثم اعتبارك في العنقود المُلاّحية مثل ذلك في قول الشاعر :

وقد لاح في الصُّبْح الثُريا لمن رأى

كعنقود مُلاّحيّة حين نوّرا (٢)

والثالث : أن تنظر إلى خاصّة في بعض الجنس كما في عين الديك في قوله:

وسِقْط كعين الديك عاورتُ صحبتي

أباها وهيّأنا لِمَوضِعها وَكْرا (٣)

فإنك لا تقصد منه إلى نفس الحمرة بل إلى ماليس في كل حمرة . وذلك أنّ ما في لون عين الديك من تفصيل وخصوص يزيد على كون الحمرة رقيقة ناصعة والسواد صافيا براقا . ثم قال :" واعلم أنّ هذه القسمة في التفصيل موضوعة على الأغلب والأعرف وإلاّ فدقائقه

---

(١) ديوان امرىء القيس ، ٤٧٨ وفي الديوان . حملت بدل جمعت .

(٢) ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، مكتبة دار العروبة - القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٢م ، ١٦٨ .

(٣) ديوان ذي الرمة ، شرح أبي نصر الباهلي ، تحقيق الدكتور عبدالقدوس أبو صالح ، مطبعة طربين- دمشق١٩٧٢م ، ٣/١٤٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تكاد تضبط (١)" .

ومع أن التفتازاني قد نقل عن عبدالقاهر وتبنّى وجهة نظره . إلا أنه قلّل من الأبيات الشعرية والتحليل الأدبي الذي ذكره عبدالقاهر والموازنات التي أجراها بين تلك الأبيات لبيان مواطن الجمال فيها.

ووجه الشبه عند التفتازاني هو المعنى الذي قصد اشتراك الطرفين فيه تحقيقا أو تخييلا ، ففي قولنا : زيد كالأسد فزيد والأسد يشتركان في الوجود والجسمية والحيوانية ، وغير ذلك من المعاني ، مع أنّ شيئا منها ليس وجه التشبيه ، فالمراد المعنى الذي له زيادة اختصاص بهما وقصد بيان اشتراكهما فيه (٢) وتابع التفتازاني قائلا : ولهذا قال الشيخ عبدالقاهر التشبيه الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه خاصة كالشجاعة في الأسد والنور في الشمس *.

ومن المواضع التي ناقش فيها التفتازاني آراء لعبدالقاهر الحديث عن تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع . فهي تقسم إلى قسمين: الأول أن يكون الجامع داخلا في مفهوم طرفي الاستعارة كما في قوله عليه السلام : " خير الناس رجل يمسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها " (٣) فالجامع قطع المسافة بسرعة داخل في مفهوم العدو والطيران ، إلا أنه في الطيران أقوى منه في العدو (٤) .

---

(١) أسرار البلاغة ، ١٤٨ ، ١٥٠ - ١٥٤ والمطول ، ٣٤٣ .

(٢) المطول ، ٣١٤ .

* السابق ، ٣١٤ ، ولكن لم نعثر على النص كما ورد في المطول في كتابي عبد القاهر .

(٣) صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار احياء الكتب العربية ، ١٥٠٤/٣ .

(٤) المطول ، ٣٦٥ والتلخيص ، ٣١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم نقل التفتازاني ما قاله عبدالقاهر في التفرقة بين استعارة الطيران للعدو ، وبين الاستعارة في نحو قولنا : رأيت أسدا ، فالاشتراك في المثال الثاني في صفة توجد في جنسين مختلفين فجنس الإنسان غير جنس الأسد . بينما الأمر ليس كذلك في الطيران والعدو فإنهما جنس واحد فكلاهما مرور وقطع للمسافة ، وإنما يقع الاختلاف بالسرعة وهذا لا يوجب اختلافا في الجنس . وبعد ذلك بيّن عبدالقاهر أنّ الفرق بين استعارة الطيران للعدو وبين استعارة المرسن لأنف الإنسان مع أنّ في كل من المرسن والطيران خصوص وصف ليس في الأنف والعدو وإنّ خصوص الوصف الكائن في طيار مراعى في استعارته للعدو بخلافه خصوص الوصف في المرسن فإنه لم يراع (١) ، والحاصل أن التشبيه منظور في استعارة الطيران للعدو بخلافه في استعارة المرسن للأنف ولهذا يعدّ مجازا مرسلا .

والقسم الثاني من الاستعارة : أن لا يكون الجامع داخلا في مفهوم الطرفين كما في استعارة الأسد للرجل الشجاع . والشمس للوجه المتهلل . والقزويني والتفتازاني لا يعتبران الجامع في المثالين السابقين داخلا في الطرفين (٢) . بينما نصّ عبدالقاهر على أنّ الوصف الجامع بين الأسد والرجل في " رأيت أسدا " هو الشجاعة وهي على حقيقتها موجودة في الانسان وبالتالي يكون الجامع داخلا في الطرفين (٣) ، وللاجابة عن ذلك يقول التفتازاني : بأن ما قاله عبدالقاهر فيه تسامح للقطع بأنّ الأسد موضوع لذلك الحيوان المخصوص والشجاعة وصف له ، وأمّا المستعار له فهو الرجل الموصوف بالشجاعة لا المجموع المركب منهما ، ولو كان المستعار له هو المجموع المركب منهما لصح أنّ الجامع غير داخل في مفهوم الطرفين

---

(١) أسرار البلاغة ، ٥٩ - ٦٠ .

(٢) الايضاح ، ٦٩/٥ والمطول ، ٣٦٦ .

(٣) أسرار البلاغة ، ٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باعتبار أنه غير داخل في مفهوم المستعار منه وهو الأسد (١) .

وقارن التفتازاني بين قول الشاعر :

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته

عليه ولكن ساحة الصبر أوسع(٢)

وقول أبي الحسن علي بن أحمد الجوهري :

ولم يبق مني الشوق غير تفكري

فلو شئت أن أبكي بكيت تفكرا (٣)

فالأول ذكر فيه المفعول بعد فعل المشيئة ، لأنّ تعلق الفعل بالمفعول كان غريبا ، وذلك حتى يتقرر في نفس السامع ويأنس به ، بينما قول الثاني ليس منه ، لأنّ المراد بالأول البكاء الحقيقي ، لا البكاء التفكري كما عند الثاني ، لأنه أراد القول : أفناني النحول فلم يبق مني غير خواطر تجول فيّ ، حتى لو شئت البكاء لن أجد الدمع . وخرج بدلا منه بكاء التفكر ، فهو لم يرد ايقاع فعل المشيئة على البكاء بل بكاء مطلق مبهم ، فخرج بدلا منه بكاء التفكر (٤) . وهذا ما فهمه التفتازاني من كلام عبدالقاهر في "دلائل الاعجاز" (٥) ورفض ما عدا ذلك من الأقوال التي قيلت لتفسير وتوجيه ما ورد في البيت السابق ، لأنه وجد تفسير عبدالقاهر أكثر اقناعا وأكثر صحة .

---

(١) المطول ، ٣٦٧ .

(٢) معاهد التنصيص ، ٨٥/١ .

(٣) السابق ، ٨٨/١ .

(٤) المطول ، ١٩٣ - ١٩٤ .

(٥) دلائل الاعجاز ، ١٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين التفتازاني والزمخشري :

ومن الأعلام الذين اعتمد التفتازاني على آرائهم في عرض قضاياه البلاغية الزمخشري ، ومن الطبيعي أن نجد أثر الزمخشري واضحا في " المطول " ؛ لأنّ للتفتازاني حاشية على " الكشاف " وقام أيضا بشرح كتاب الزمخشري المسمى " النّعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ ".

ولم يتأثر التفتازاني وحده بما قاله الزمخشري ، بل نجد تشابها كبيرا بين أتباع المدرسة الكلامية والزمخشري في تقسيم البلاغة إلى علوم ، فالزمخشري قد فرّق بين علمي البيان والمعاني. جاء ذلك أثناء حديثه عن أهمية البلاغة للمفسر ، عندما قال : ولا يتصدى منهم (المفسرون) أحد لسلوك تلك الطرائق إلاّ رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن . هما علم المعاني وعلم البيان (١) . إلاّ أن الزمخشري لم يضع حدا فاصلا بينهما كما فعل أتباع المدرسة الكلامية ؛ لأنّ هدفه كان مختلفا فهو لم يؤلف كتابا بلاغيا محضا .

وأمّا علم البديع عند الزمخشري فهو تابع للمعاني والبيان وليس علما قائما بذاته(٢) ، ولذلك لم يهتم به كثيرا ، وتحدث الزمخشري عن البديع خلال تفسيره لقوله تعالى : " وجئتك من سبأ بنبأ يقين"(٣). وهذا هو موقف أتباع المدرسة الكلامية من البديع إلاّ أنهم أعطوا البديع مزيدامن الاهتمام ، وذكروا أقسامه ومثلوا لكل نوع من أنواعه .

ومظاهر تأثر التفتازاني بالزمخشري كانت ظاهرة في " المطول " لأنّ التفتازاني قد استوعب جيدا ما قاله الزمخشري ، ووظفه توظيفا

---

(١)مقدمة الكشاف ، ١/ن .

(٢) السابق ، ٣١٠/٣ .

(٣) النمل ، الآيه ٢٢ والكشاف ، ٣٦٠/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسنا في توجيهاته وردوده يتضح ذلك فيما يلي :

بعد أن ذكر التفتازاني تعريف الكناية : " بأنها لفظ اريد به لازم معناه مع جواز ارادته معه "(١) ، بيّن أنّ ارادة المعنى جائزة لا واجبة ، وقد تمتنع ارادة المعنى الحقيقي بواسطة خصوص المادة(٢). كما ذكر الزمخشري في تفسير قوله تعالى : " ليس كمثله شيء"(٣) أنه باب من الكناية كما في قولهم مثلك لا يبخل ، لأنهم إذا نفوه عمن يماثله وعمن يكون على أخص أوصافه فقد نفوه عنه فقولنا : ليس كالله شيء ، وقولنا : ليس كمثله شيء عبارتان متعاقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته مع أنه لا فرق بينهما إلاّ ما تعطيه الكناية من المبالغة ، ولا يخفى ههنا امتناع ارادة الحقيقة وهو نفي المماثلة عمن هومماثل له وعلى أخص أوصافه(٤) .

وعندما تحدّث التفتازاني عن التعريض نقل ما قاله الزمخشري في التفرقة بين الكناية والتعريض فقد عرّف الزمخشري الكناية :" أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له" .أمّا التعريض :" فهو أن تذكر شيئا تدل به على شيء ولم تذكره ، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك فكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود ويسمى التلويح ؛ لأنه يلوح منه ما يريده(٥)". وهذا يعني أن الزمخشري قد فصل فصلا تاما بين الكناية والتعريض خلافا لغيره من البلاغيين ، ولكن التفتازاني ذكر ما قاله الزمخشري ضمن عرضه لمجموعة من الآراء التي قيلت في الكناية والتعريض لكل من السكاكي

---

(١) التلخيص ، ٣٣٧ والمطول ، ٤٠٧ .

(٢) المطول ، ٤٠٧ - ٤٠٨ .

(٣) الشورى ، الآية ١١ .

(٤) الكشاف ، ٣/٣١١ .

(٥) السابق ، ١/٢٨٢ - ٢٨٣ والمطول ٤١٢ - ٤١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقزويني وابن الأثير وكل منهما كان له رأيه المغاير لما قاله الآخر ، ومما يؤخذ على التفتازاني في هذا المجال أنه اكتفى بنقل ما قاله الزمخشري كما هو دون تعليق عليه فلم يتضح إذا كان يتبناه أم يعارضه .

وفيما يتعلق بحذف المفعول في قوله تعالى :" ولمّا ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان" (١) رجّح التفتازاني ما قاله السكاكي بأنّ الحذف كان لمجرد الاختصار لنيابة قرائن الأحوال عن ذكره ، والمراد يسقون مواشيهم وتذودان غنمهما ولا تسقيان غنمهما حتى يصدر الرعاء مواشيهم (٢) ، على ما قاله عبدالقاهر والزمخشري إنّ حذف المفعول في الآية للقصد إلى نفس الفعل وتنزيله منزلة اللازم ، أي يصدر منهم السقي ومنهما الذود ، وأمّا أنّ المسقي والمذود إبل أو غنم فخارج عن المقصود (٣) . ثم علل اختياره لرأي السكاكي بأنه أقرب إلى التحقيق ؛" لأنّ الترجم لم يكن من جهة صدور الذود عنهما وصدور السقي من الناس بل من جهة ذودهما غنمهما وسقي الناس مواشيهم ، حتى لو كانتا تذودان غير غنمهما ، وكان الناس يسقون غير مواشيهم بل غنمهما مثلا لم يصح الترجم (٤)".

وكما يظهر فإنّ التفتازاني قد علّل اختياره لرأي السكاكي ، وليس ذلك فحسب بل مدح السكاكي وأثنى عليه لأنه توصل إلى رأيه السابق بعد تأمله كلام الشيخين عبدالقاهر والزمخشري ، وغفل عن ذلك الجمهور فاستحسنوا كلام الشيخين على حساب السكاكي (٥).

---

(١) القصص ، الآية ٢٣ .

(٢) المفتاح ، ٢٢٩ .

(٣) دلائل الاعجاز ، ١٦١ - ١٦٢ والكشاف ، ٤٠١/٣ .

(٤) المطول ، ١٩٧ .

(٥) السابق ، ١٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ظهر لنا خلال الحديث عن منهج التفتازاني أنه كان يميل إلى التوفيق بين الآراء قدر استطاعته ، وإذا شعر أنّ الرأيين يقبلان من الوجهة البلاغية ، كان ينبّه إلى ذلك . ومما يثبت هذا الكلام أنّ التفتازاني قد أشار إلى الاختلاف الوارد بين كلامي الزمخشري والقزويني في حذف المفعول في قوله تعالى : " ما ودعك ربك وما قلى "(١) فالزمخشري يرى أنه حذف للاختصار اللفظي لظهور المحذوف(٢) ومثاله قوله تعالى : " والذاكرين الله كثيرا والذاكرات " (٣) أي وذاكراته . بينما يرى القزويني أنه حذف للرعاية على الفاصلة ، وتقديره ما قلاك (٤) . وبعد أن نقل الرأيين السابقين ، وفّق بينهما بقوله :"قد يجتمع في المثال الواحد عدة من الأغراض المذكورة(٥)".

بيّن التفتازاني أنه لا خلاف بين رأي الزمخشري والسكاكي والقزويني في قوله تعالى :" لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد "(٦) . وإن كان السكاكي قد أورد الحديث عن الآية السابقة في باب عطف البيان (٧) ، لأنّ ما ورد فيها وصف صناعي جيء به للايضاح والتفسير . وأورده القزويني في باب الوصف ، وذكر أنه للبيان والتفسير (٨) . وقال الزمخشري :"إنّ الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص ، فإذا اريدت

---

(١) الضحى ، الآية ٣ .

(٢) الكشاف ، ٥٣٩/١ .

(٣) الأحزاب ، الآية ٣٥ .

(٤) الايضاح ، ١٥٨/٢ .

(٥) المطول ، ١٩٧ .

(٦) النحل ، الآية ٥١ .

(٧) المفتاح ، ١٩٠ .

(٨) الايضاح ، ٤١/٢ - ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدلالة على أن المعني به منهما ، وأن الذي يساق له الحديث هو العدد شفع بما يؤكده (١)[11]، وهو هنا يقصد بيؤكده يقرره ويحققه وليس أنه تأكيد صناعي (٢) ، لأنه ذكر في " المفصّل " أن قوله تعالى :" نفخة واحدة" (٣) مثال للوصف المؤكد نحو: أمس الدابر(٤).

إذن كل من اثنين وواحد في الآيات السابقة ، وصف صناعي جيء به للبيان والتفسير ، كما في قوله تعالى :" وما من دابة في الأرض" "ولا طائر يطير بجناحيه "(٥) . لبيان أن القصد إلى الجنس دون العدد ، فالآيتان تشتركان في أن الوصف فيهما للبيان ، وتختلفان أن (الهين اثنين)، و(إله واحد) القصد فيهما إلى العدد دون الجنس، وفي دابة وطائر القصد إلى الجنس دون العدد (٦).

ثم يختتم التفتازاني مناقشته بقوله:"وتقرير هذا البحث على ما ذكرت، مما لا مزيد عليه للمنصف وبه يتبين أنه لا خلاف ههنا بين صاحب " الكشاف "و" المفتاح "و"الايضاح " على ما توهمه البعض(٧)".

وقال عن التورية : هي"أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما (٨)" وهذا هو تعريف القزويني.

وفيما يتعلق بقوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " (٩) فقد نقل آراء الزمخشري وعبدالقاهر والقزويني فيها ، ثم بيّن التوافق

---

(١) الكشاف ، ٦١٠/٢ .

(٢) المطول ، ٩٨ .

(٣) الحاقة ، الآية ١٣ .

(٤) شرح المفصل ، شرح ابن يعيش ، عالم الكتب - بيروت ، ٤٧/٣ .

(٥) الأنعام ، الآية ٣٨ .

(٦) المطول ، ٩٨ .

(٧) السابق ، ٩٨ .

(٨) السابق ، ٤٢٥ والتلخيص٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٩) طه ، الآية ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوارد في رأي عبدالقاهر والزمخشري وعند التفتازاني أنّ القزويني موافق لهما لولا أنه يجاري أهل الظاهر من المفسرين الذين يعتبرون الآية مثالا للتورية(١) . وإنما هي تمثيل كما قال الزمخشري : لأنه لمّا كان الاستواء على العرش ، وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك ، ولمّا امتنع هنها المعنى الحقيقي صار مجازا . وكذا قوله تعالى : " والسماء بنيناها بأيد "(٢) ، تمثيل وتصوير لعظمته سبحانه وتعالى .

وقد شدد النكير على تفسير اليد بالنعمة والأيدي بالقدرة والاستواء بالاستيلاء ، واليمين بالقدرة (٣) .

ولم يكن رأي عبدالقاهر ببعيد عن هذا التفسير عندما قال في "دلائل الاعجاز " : إنهم وإن كانوا يقولون المراد باليمين القدرة فذلك تفسير منهم على الجملة ، وقصدهم إلى نفي الجارحة بسرعة خوفا على السامع من خطرات تقع للجهال ، وأهل التشبيه، وإلاّ فكل ذلك طريق التمثيل (٤) .

بينما ذكر القزويني في قوله تعالى :"الرحمن على العرش استوى" أراد باستوى معناه البعيد وهو استولى ولم يقرن بشيء مما يلائم المعنى القريب الذى هو الاستقرار . وفي قوله تعالى :" والسماء بنيناها بأيد " أراد بأيد معناه البعيد (القدرة) وقد قرن بما يلائم المعنى القريب (الجارحة المخصوصة) وهو قوله بنيناها أي هما مثال للتورية (٥).

---

(١) المطول ، ٤٣٥ .

(٢) الذاريات ، الآية ٤٧ .

(٣) الكشاف ، ٥٢/٣ - ٥٣ .

(٤) هذا ما قاله التفتازاني نقلا عن دلائل الاعجاز، ولكن عبدالقاهر ذكر الرأي السابق في أسرار البلاغة ، ٣٣٢ .

(٥) الايضاح ، ٣٨/٦ - ٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما يدل على أن التفتازاني كان يعمل فكره فيما ينقله عن غيره ، أنه لم يكن يكتف بنقل الكلام كما هو دون تحليل أو نقاش لما ورد فيه . وهذا يظهر من خلال حديث التفتازاني عن تعقيب المسند إليه بضمير الفصل فقد بيّن أنّ بعض الناس زعموا أنّ ضمير الفصل كما يكون لقصر المسند على المسند إليه ، يكون لقصر المسند إليه على المسند ، ودليلهم ما قاله : الزمخشري في قوله تعالى :" وأولئك هم المفلحون "(١) حيث قال :"إنّ معنى التعريف في المفلحين للدلالة على أنّ المتقين هم الذين إن حصلت لهم صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم لا يعدون تلك الحقيقة (٢)". وهم فهموا من قوله :" لا يعدون تلك الحقيقة " أنهم مقصورون على صفة الفلاح لا يتجاوزونها إلى صفة أخرى . وهو يرى أنّ هذا خطأ وقعوا فيه نتيجة لقلة تدبرهم لكلام القوم وعدم التدرب في هذا الفن ، فالزمخشري يقصد من كلامه السابق أنّ للخبر المعرف باللام معنى آخر(٣) ، وهذا المعنى ورد في قول عبدالقاهر أثناء حديثه عن تعريف الخبر في قولنا : هو البطل المحامي ، فأنت تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحامي ؟ وهل حصّلت معنى هذه الصفة ؟ وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه، فإن كنت تصوّرته حق تصوره فعليك بصاحبك يعني زيدا فإنه لا حقيقة له وراء ذلك (٤) . وبالاضافة إلى ذلك فإنّ كلام الزمخشري صريح بأنّ فائدة الفصل الدلالة على أنّ الوارد بعده خبر لا صفة ، وللتأكيد على أنّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره (٥) .

---

(١) البقرة ، الآية ٥ .

(٢) الكشاف ، ٤٦/١ .

(٣) المطول ، ١٠٥ .

(٤) دلائل الاعجاز ، ١٨٢ .

(٥) المطول ، ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن هذا لا يمنع من أن يكون ضمير الفصل للتخصيص أي لقصر المسند على المسند إليه نحو : زيد هو أفضل من عمرو (١) . وهذا ما ذكره الزمخشري في تفسير قوله تعالى :" أولم يعلموا أنّ الله هو يقبل التوبة عن عباده " (٣) هو للتخصيص والتأكيد (٢) ، وقد يكون لمجرّد التأكيد إذا كان التخصيص حاصلا بدونه ؛ بأن يكون في الكلام ما يفيد قصر المسند على المسند إليه كما في قوله تعالى:"إنّ الله هو الرّزّاق"(٤) أي لا رزّاق إلاّ هو (٥) .

ومما يؤخذ على التفتازاني، بيانه بطلان ما اعتقده بعضهم بأنّ الزمخشري عدّ ما ورد في مثل قوله تعالى:"ومايستوي البحران هذا عذبٌ فُرات سائغ شرابه وهذا ملح أُجَاج"(٦) استعارة لأنه قال:"ما ورد في الآية من باب التشبيه المطوي فيه ذكرالمشبه كما في الاستعارة (٧)" وعندالتفتازاني أنّ الزمخشري لايقصد ذلك؛ لأنّ ما ورد في الآية تشبيه لا استعارة؛" لأنه لا يصح أن يراد بالبحرين المؤمن والكافر بدلالة قوله تعالى بعدذلك"من كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها"(٨) وإنما المراد تفضيل البحرا لأجاج على الكافر بأنه قد يشارك العذب في منافع والكافرخلو من المنفعة(٩)".ويحق لنا التساؤل وأين التشبيه في الآية السابقة بناء على تفسير التفتازاني !!

---

(١) المطول ، ١٠٥ .

(٢) التوبة ، الآية ١٠٤ .

(٣) الكشاف ، ٣٠٨/٢ .

(٤) الذاريات ، ٥٨ .

(٥) المطول ، ١٠٦ .

(٦) فاطر ، الآية ١٢ .

(٧) الكشاف ، ٣٠٧/٤ .

(٨) فاطر ، الآية ١٢ .

(٩) المطول ، ٣٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن التفتازاني يعتبر كل ما قاله الزمخشري صحيحا ، ومن ذلك مخالفته للزمخشري فيما ذهب إليه من أنّ (بشّر المومنين) في قوله تعالى :" يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله " (١) إلى قوله تعالى وبشر المؤمنين . فالزمخشري يرى أنّ قوله (وبشر المؤمنين) عطف على (تؤمنون) ؛ لأنه بمعنى آمنوا (٢)، ولكن هذا التفسير لم يقنع التفتازاني ، لأنّ المخاطب في (تؤمنون) هو المؤمنون خاصة بدليل قوله تعالى (تؤمنون بالله ورسوله) والمخاطب في (بشر) هو النبي عليه السلام ، ولا يخفى أنه لا يحسن عطف الأمر لمخاطب على الأمر لمخاطب آخر إلاّ عند التصريح بالنداء نحو : يا زيد قم واقعد يا عمر ، لذا فالأحسن أن يقال أنه عطف على (قل) مرادا قبل (يا أيها الذين آمنوا) أي قل يا محمد كذا وبشّر . والاحتمال الثاني أن يكون معطوفا على محذوف ، أي فأبشر يا محمد وبشر(٣) .

ومن المواضع التي انتقد فيها التفتازاني تفسيرا للزمخشري ، انتقاده لما قاله الزمخشري في تفسير الاستثناء الوارد في قوله تعالى :"...إلاّ ما شاء ربك إن ربك فعّال لم يريد " (٤) وقوله تعالى:"...إلاّ ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ "(٥) وعلّل التفتازاني رفضه بأنّ أثر الاعتزال واضح في تفسير الزمخشري . أمّا التفسيرالذي ارتضاه التفتازاني لتفسير الاستثناء الوارد في الآية إنّ فساق المؤمنين لا يخلدون في النار، كما أنّ بعض أهل الجنة لا يخلدون فيها وهم المؤمنون الفاسقون الذين فارقوا الجنة أيام

---

(١) الصف ، الآية ١٠ .

(٢) الكشاف ، ١٠٤/١ .

(٣) المطول ، ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٤) هود ، الآية ١٠٧ .

(٥) هود ، الآية ١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عذابهم (١) .

وقد ظهر لنا بعد دراسة "المطول" أنّ التفتازاني كان يتجنب الخوض في التفاصيل التي لا تخدم القضية البلاغية التي يتحدث عنها ومن أمثلة ذلك: أبدى عدم اقتناعه بما قاله الزمخشري في تفسير قوله تعالى: "إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون" (٢). وعبّر التفتازاني عن عدم اقتناعه بقوله: "وههنا أبحاث لا يحتملها المقام (٣)". وهذا مما يحمد له، ويستحق الثناء عليه، خلافا لغيره من البلاغيين الذين كانوا كما قال التفتازاني يطيلون المطولات .

ومما يدل على أنّ التفتازاني كان يتحرّى الدقة فيما يكتبه ، أنه تنبّه إلى الاختلاف الوارد في روايتي الصحاح والفائق (٤) ، حول غرابة الألفاظ الواردة في القول المشهور : "ما لكم تكأكأتم عليّ كما تكأكؤن على ذي جنّة افرنقعوا عني " فقد نسبه الجوهري إلى عيسى بن عمر النحوي (٥) ، بينما نسبه الزمخشري إلى أبي علقمة عندما مرّ في أحد طرق البصرة (٦). وبعد العودة إلى الصحاح والفائق تبين صحة ما نبّه إليه التفتازاني وهو الاختلاف في اسم قائل القول السابق ، وإن لم يترتب على هذه الملحوظة أي فائدة بلاغية، ولكنها مؤشر على مدى حرص التفتازاني على تحرّي الدقة فيما يكتبه .

---

(١) المطول ، ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٢) المائدة الآية ، ٦٩ والكشاف ، ١/٦٦٠ - ٦٦١ .

(٣) المطول ، ١٤٠ .

(٤) السابق ، ١٨ .

(٥) تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر اسماعيل بن حماد، مادة كأكأ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار الكتاب العربي بمصر، ١٩٥٦م.

(٦) الفائق في غريب الحديث للزمخشري، ضبط محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧م، ٢/٣٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين التفتازاني والسكاكي :

وصف القزويني في مقدمة " التلخيص " القسم الثالث من "المفتاح" "بأنه أعظم ما صنّف في البلاغة من الكتب المشهورة نفعا، لكونه أحسنها ترتيبا، وأتمها تحريرا، وأكثرها للأصول جمعا. ولكنه كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد . وأنه قابل للاختصار ومفتقر الى الايضاح والتجريد (١)". ولهذه الأسباب ألّف " التلخيص " الذي سيكون خاليا من الحشو والتطويل والتعقيد ، وسيكون منقّحا ، سهل المأخذ ، ورتّبه ترتيبا أقرب تناولا من ترتيب السكاكي (٢) .

ومما لا شك فيه أنّ القزويني قد بالغ في ذكر المآخذ التي أخذها على " المفتاح " ولهذا اتصف التفتازاني للسكاكي وقال : "ولعمري لقد أفرط القزويني في وصف القسم الثالث من " المفتاح " بما ذكر " (٣) .

وقراءة متأنية " للمفتاح " تؤكد صحة ما قاله التفتازاني، فلو كان " المفتاح " كما وصف القزويني لما وجدنا هذا الكم الهائل من الشروح والحواشي والدراسات التي تدور حول " المفتاح " ومن ضمنها " التلخيص " والتي لم تخرج عما رسمه السكاكي ، ولما شغل "المفتاح" الدارسين عدة قرون متوالية .

والتفتازاني يوافق القزويني على أنّ تلخيصه جاء مختصرا مؤديا الغرض المقصود منه ، لكنه لا يوافقه على أنّ كتابه سهل المأخذ ، وأنه سهلٌ الأمر على دارسي البلاغة . فتلخيصه لا يخلو من الغموض، ويشتمل على بعض الأسرار والخفايا التي صعب فهمها على بعض

---

(١) التلخيص ، ٢٢ .

(٢) السابق ، ٢٣

(٣) المطول ، ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدارسين (١) ، لذا قام التفتازاني بازالة الابهام والغموض عن طريق شرحها في " المطول " تارة وفي " المختصر " تارة أخرى .

ومن أولى القضايا البلاغية التي ذكرها السكاكي وتركت أثرا واضحا فيما قاله التفتازاني قضية اعجاز القرآن الكريم . والتفتازاني يعلي من شأن البلاغة ؛ لأنّ من خلالها يتم الكشف عن وجوه الاعجاز في القرآن الكريم ، ولهذا كانت البلاغة من أجلّ العلوم وغايتها من أشرف الغايات ، وهو بذلك يتفق مع القزويني وغيره من البلاغيين على أنه بعلم البلاغة يتم الكشف عن وجوه الاعجاز في نظم القرآن (٢).

وعند التفتازاني أنّ الرأي السابق لا يتعارض مع ما ورد في "المفتاح" من أنّ مدرك الاعجاز هو الذوق، ونفس وجه الاعجاز لايمكن كشف القناع عنه ،ويمكن اكتساب الذوق من طول خدمة علمي البيان والمعاني (٣). وهذا ما أكده السكاكي في أكثر من موضع . فقد قال - في علم الاستدلال - "وجه الاعجاز أمر من جنس الفصاحة والبلاغة لا طريق إليه إلاّ طول خدمة هذين العلمين(٤)". وقال أيضا: " لا علم بعد الأصول أكشف للقناع عن وجه الاعجاز من هذين العلمين (٥)" .

وهذه نظرة تعتمد على الذوق والادراك الروحاني أكثر من اعتمادها على التعليلات التي أوردها كثير من العلماء ، وهذا مما يحمد للسكاكي الذي عاش في زمن تحكم المنطق فيه ، وأخذت النظرة

---

(١) المطول ، ٣ - ٤ .

(٢) التلخيص ، ٢٢ والمطول ، ٩ .

(٣) المفتاح ، ٤١٦ .

(٤) السابق ، ٤١٦ .

(٥) السابق ، ٤١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العقلية تطغى في التعليل والتفسير (١) .

والتفتازاني يتفق مع السكاكي على أنه لا يمكن بيان وجه الاعجاز وادراكه بحقيقته لامتناع الإحاطة بهذا العلم لغير علّام الغيوب ، فلا يدخل كنه بلاغة القرآن إلاّ تحت علمه الشامل(٢). والقرآن معجز ، لأنه في أعلى مراتب البلاغة لاشتماله على الدقائق والأسرار والخواص الخارجة عن طوق البشر (٣) .

وعلى هذا يكون طريق معرفة الاعجاز هو تكوين الذوق الفني ، والممارسة الأدبية للبلاغة على ما تقضي به أصول التربية الفنية الصحيحة ، وبهذا الاعتبار لن يبين ذلك الاعجاز الذوقي بدرس تعريفات التفتازاني ومناقشاته وتمحلات حواشيه ، والخوض في الخلاف على الاستعارة وأشباهها ؛ لأنّ ذلك لن يكوّن ذوقا أدبيا ، ولن يحقق الغرض البلاغي ولا الديني من ادراك الاعجاز (٤) .

وقد تنبّه التفتازاني إلى قضية مفادها : " أنّ اتقان علوم البلاغة والاحاطة بها لا يجعلان الإنسان يؤلّف كلاما يصل إلى الطرف الأعلى للبلاغة ثم إنّ كثيرا من مهرة هذا الفن نجدهم لا يستطيعون تأليف كلام بليغ فضلا عن حد الاعجاز (٥)". ويؤيّد ذلك ما قاله الدكتور فضل عباس :" أذكر أنني التقيت في باكستان بجماعة يحفظون " التلخيص " للقزويني ، وقد قرأوا شروحه ، ومع ذلك يعسر على أحدهم أن يكوّن جملتين وينطق بهما على حال يرضي المتكلم ، إذن لا يظنّنّ ظان أنّ حفظ القواعد وحدها يمكن أن يجعل صاحبها

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٣م ، ٢٥١/١ .

(٢) المطول ، ١٠ .

(٣) السابق ، ٩ .

(٤) مناهج التجديد ، ١٧٤ .

(٥) المطول ، ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بليغا (١) .

ومن المواضع التي تبرز فيها شخصية التفتازاني مناقشته لاعتراضات القزويني على تعريف السكاكي لعلم المعاني:" بأنه تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره (٢)".

وعرفته القزويني:" بأنه علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال (٣)" وقد برّر القزويني عدوله عن تعريف السكاكي بثلاثة أسباب ، ناقش التفتازاني اثنين منها قول القزويني: أولا إنّ التتبع ليس بعلم ، فلا يصح تعريف شيء من العلوم به . وثانيا : لأنّ السكاكي فسّر التراكيب بتراكيب البلغاء ، ولا شك أنّ معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة (٤) التي عرّفها :" ببلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وايراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها(٥)". فإن أريد بالتراكيب في حد البلاغة تراكيب البلغاء ، وهو الظاهر ، فقد جاء الدور (٦) .

أمّا الاعتراض الثالث الذي ذكره القزويني وهو أنّ قول السكاكي "غيره" في تعريفه لعلم المعاني ، مبهم لم يبين مراده به(٧). فلم يتطرّق التفتازاني إليه .

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، ٦١ ، ٦٢ .

(٢) المفتاح ، ١٦١ .

(٣) التلخيص ، ٣٧ .

(٤) الايضاح ، ٥٤/١ .

(٥) المفتاح ، ٤١٥ .

(٦) الايضاح ، ٥٤/١ .

(٧) السابق ، ٥٥/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرد التفتازاني على القزويني بأنّ مراد السكاكي بالتتبع المعرفة ، أي أنه معرفة حاصلة من تتبع تراكيب البلغاء . وعلى الاعتراض الثاني : حتى لو سلّمنا أنه قصد بالتراكيب تراكيب البلغاء الموصوفين بالبلاغة ، فإنّ معرفتهم لا تتوقف على معرفة البلاغة بالمعنى المذكور في التعريف . إذ يجوز أن يعرف بحسب عرف الناس أنّ امرأ القيس - مثلا - بليغ فيتتبع خواص تراكيبه من غير أن يتصور المعنى المذكور للبلاغة (١) .

والتفتازاني يرى أنّ قلة التأمل في كلام السكاكي ، رغم وضوحه هي التي دفعت القزويني وغيره إلى الاعتراض على كلام السكاكي (٢) ، ولهذا لم يوافق على تعريفه لعلم المعاني ، ويرفض اعتراضه على السكاكي ، لأنه يرى أنّ تعريف السكاكي أحسن وأكثر دلالة.وهذا حق فقد أبان السكاكي في تعريفه خير إبانة عن هذا العلم . أمّا تعريف القزويني فلم يوضّح علم المعاني توضيحا كاملا (٣) ، ثم إنّ تعريف القزويني بحاجة إلى بيان المقصود ب " أحوال اللفظ " الواردة فيه. وهذا ما جعل التفتازاني يقول :"المقصود بها الأمور العارضة له من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير وغير ذلك ، من حيث مطابقتها لمقتضى الحال (٤)" ، ولهذا ذكر التفتازاني التعريف الذي يراه مناسبا أكثر من التعريفين السابقين فهو "علم يعرف به كيفية تطبيق الكلام العربي لمقتضى الحال (٥)" ، وتعريف التفتازاني أوضح وأدق من تعريف القزويني . ووجه الدقة فيه أنه قال : تطبيق الكلام ولم يقل "أحوال اللفظ" فلم يضطرنا إلى ما اضطرنا إليه تعريف القزويني من

---

(١) المطول ، ٣٦ .

(٢) السابق ، ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) القزويني وشروح التلخيص ، ٥٧٦ .

(٤) المطول ، ٣٦ .

(٥) السابق ، ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توضيح المراد بأحوال اللفظ .

وبما أنّ علم المعاني يعنى بأحوال مطابقة اللفظ ، لذا يخرج عن التعريف السابق علم البيان ؛ لأنّ كون اللفظ حقيقة أو مجازاً أو كناية، وإن كانت أحوالا للفظ قد يقتضيها الحال، لكن لا يبحث عنها في علم البيان من حيث أنها يطابق بها اللفظ مقتضى الحال ، إذ ليس منه أنّ الحال الفلاني يقتضي ايراد تشبيه أو استعارة أو كناية أو نحو ذلك (١) .

ولو ناقش القزويني السكاكي في أنّ تتبع خواص تراكيب الكلام غير مقتصر على علم المعاني وحده ، وإنما يشمل علم البيان أيضا ، وكذا مطابقة الكلام لمقتضى الحال ليست موجودة في علم المعاني فقط، وإنما هي كائنة كذلك في علم البيان ، لما ابتعد عن الصواب .

وفيما يتعلق بالتشبيه وعلم البيان فقد اتفق التفتازاني مع القزويني على أنّ علم البيان يشمل التشبيه والمجاز والكناية وهما بذلك يدخلان التشبيه في علم البيان خلافا للسكاكي (٢) ، الذي أخرجه في بادىء الأمر من البيان ، لكون الدلالة فيه دلالة وضعية، ولمّا كان في المجاز ما يبتنى على التشبيه تعيّن التعرض له ، فاحتال السكاكي وأدخله في البيان ، لأنّ من مهر في التشبيه ملك زمام التدرب في السحر البياني (٣) ، كما أنه لم يجعله مقدمة لدراسة الاستعارة لكثرة مباحثه وجموم فوائده ، فاستحق أن يجعل أصلا برأسه(٤) .

وأحسن التفتازاني صنعا وحسم هذه القضية عندما قال:" وأنت خبير بما في كلام السكاكي السابق من الاضطراب ، والأقرب أن يقال

---

(١) المطول ، ٣٥ .

(٢) التلخيص، ٢٣٨ والمطول، ٣٠٩ .

(٣) المفتاح ، ٣٣١ .

(٤) المطول ، ٣٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو:علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية ، ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث من غير التفات إلى الأبحاث التي أوردها السكاكي في صدر هذا الفن (١)". وهذه نظرة تنم عن حسن تصرف ، وتقليل للنقاش والجدال الذي لا طائل من ورائه ، وبذلك أراح نفسه من عناء التعليل ، وأراح الآخرين عناء الحيرة للتوفيق بين الآراء المضطربة والمتناقضة أحيانا .

وأساس هذه المشكلة يعود لأنّ السكاكي قال في تعريف علم البيان : "هو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة ، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه (٢)". فكان لا بدّ من بحث الدلالة بأنواعها ، لأنها دخلت في تعريفه وصارت جزءا منه . ولكنّ هذا البحث أقحم موضوعات فلسفية لا جدوى من بحثها في البلاغة كما أنه أوقعهم في معضلة التشبيه هل يدخل في البيان أم لا ؟ .

ومن القضايا البلاغية التي شغلت البلاغيين ودار حولها نقاش طويل ، الاستعارة بالكناية . فقد أورد التفتازاني رأي السكاكي في الاستعارة بالكناية وهو :"أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، مدّعيا دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاّ على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به . كما تقول : إنّ المنيّة أنشبت أظفارها وأنت تريد بالمنيّة السبع ، بادّعاء السبعية لها . فتثبت لها ما يخص المشبه به وهو الأظفار (٣)". ثم قال التفتازاني: والمفهوم من كلام السكاكي أنّ المستعار منه في الاستعارة بالكناية هو السبع المتروك والمستعار هو لفظ السبع ،

---

(١) المطول ، ٣١٠ .

(٢) المفتاح ، ١٦٢ .

(٣) السابق ، ٣٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمستعار له المنية وإن كان كلام السكاكي في مناسبة تسمية الاستعارة كان مشعرا بأنّ المستعار هو الأظفار ، وسيجيء من كلامه ما ينافي جميع ذلك ، وفي الجملة فقد وقع منه (السكاكي) على زعم القوم خبط في تحقيق الاستعارة بالكناية (١) . ومع أنّ السكاكي قد ذكر سؤالا توقع أن يوجّه إلى رأيه فيها ثم أجاب عنه ، إلاّ أنه لم يسلم من انتقادات البلاغيين لرأيه ، وبعد أن ذكر التفتازاني جملة منها قال : هذا ما أمكن في توجيه كلام السكاكي على ما فهموه (٢) . والمشكلة برأي التفتازاني تظهر من أقوال السكاكي عن الموضوع نفسه في آخر بحث الاستعارة التبعية لأنه قال: "إنّ المنيّة استعارة عن السبع في قولنا : المنيّة أنشبت أظفارها بفلان (٣)." وقوله في آخر المجاز العقلي : "إنّ الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه، وجعل نسبة الإنبات إليه قرينة الاستعارة في قولنا أنبت الربيع البقل (٤)." ومن هنا جاء الاشكال ، وللتخلّص منه يقول التفتازاني: " والوجه أن يحمل مثل هذا على حذف المضاف أي ذكر المنيّة استعارة بالكناية حال كونها عبارة عن السبع ادّعاء على أنّ المراد بالاستعارة معناها المصدري أي استعمال المشبه في المشبه به ادعاء ، فيوافق كلامه (السكاكي) في بحث الاستعارة بالكناية وحينئذ يندفع الاشكال بحذافيره (٥)" . ومع أنّ التفتازاني وضّح مقصود السكاكي من الاستعارة بالكناية ، وحاول أن يزيل الالتباس الذي وقع في الأذهان حول كلام السكاكي ، وبيّن أصل

---

(١) المطول ، ٣٩٠ .

(٢) السابق ، ٤٠١ .

(٣) المفتاح ، ٣٨٤ .

(٤) السابق ، ٤٠١ .

(٥) المطول ، ٤٠١ - ٤٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الاشكال إلا أنه لم يتبين رأي السكاكي إنما تبنى رأي السلف .. لأنه يقول :"ومعناها الصحيح هو المذكور في كلام السلف وهو أن لا يصرح بذكر المستعار بل بذكر رديفه ولازمه الدال عليه فالمقصود بقولنا : أظفار المنية ، استعارة السبع للمنية كاستعارة الأسد للرجل الشجاع في قولنا : رأيت أسدا . لكنا لم نصرح بذكر المستعار (السبع) بل اقتصرنا على ذكر لازمه لينتقل منه إلى المقصود ، فالمستعار هو لفظ السبع غير المصرح به ، والمستعار له المنية ، والمستعار منه الحيوان المفترس (١)" . ثم يقول التفتازاني وبهذا يشعر كلام الزمخشري في تفسير قوله تعالى : "ينقضون عهد الله"(٢) حيث قال : شاع استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من اثبات الوصلة بين المتعاهدين ، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بذلك الرمز على مكانه نحو : شجاع يفترس أقرانه ففيه تنبيه على أنّ الشجاع أسد (٣) .

وبعد أن تحدث التفتازاني عن الاستعارة بالكناية ، تحدث عن رأي السكاكي في الاستعارة التخييلية الذي فهم منه أن المشبه في الاستعارة التخييلية ليس بمحقق حسا ولا عقلا بل هو صورة وهمية محضة لا يشوبها شيء من التحقق العقلي والحسي (٤) .

وكان السكاكي قد قال عن الاستعارة التخييلية ، هي "أن تسمي باسم صورة متحققة ، صورة عندك وهمية محضة ، تقدرها مشابهة لها ، مفردا في الذكر ، في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق

---

(١) المطول ، ٣٨٢ ، ٤٠١ .

(٢) البقرة ، الآية ٢٧ .

(٣) الكشاف ، ١١٩/١ .

(٤) المطول ، ٣٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منه إلى الفهم ، من كون مسماه شيئا متحققا ، وذلك مثل أن تشبّه بالسبع في اغتيال النفوس ، فيأخذ الوهم في تصويرها في صورة السبع واختراع ما يلازم صورته ، وتمام افتراسه للفرائس به من الأنياب والمخالب ، ثم تطلق على مخترعات الوهم عندك أسماء المتحققة على سبيل الافراد بالذكر ، وأن تضيفها إلى المنيّة . قائلا : مخالب المنيّة . أو أنياب المنيّة الشبيهة بالسبع ، ليكون اضافتها إليها قرينة مانعة من اجرائها على ما يسبق إلى الفهم من تحقق مسمياتها (١) ".

وفهم التفتازاني أيضا أنّ السكاكي أطلق اسم المشبه به وهو الأظفار المحققة على المشبه وهو صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار المحققة ، فهي عنده استعارة تصريحية ، والقرينة اضافتها إلى المنية(٢) . وفهم أيضا أنّ التخييلية عند السكاكي لا يجب أن تكون تابعة للاستعارة بالكناية ، ولهذا مثّل لها بنحو أظفار المنيّة الشبيهة بالسبع فصرّح بالتشبيه لتكون الاستعارة في الأظفار فقط من غير استعارة بالكناية ، وأمّا قول أبي تمام :

لا تسقني ماء الملام فأنني

صبّ قد استعذبت ماء بكائي(٣)

فزعم السكاكي - كما يقول التفتازاني - أنه استعارة تخييلية غير تابعة للمكني عنها ، وذلك بأنه توهّم للملام شيئا شبيها بالماء فاستعار له لفظ الماء لكنه مستهجن (٤). وبعد قراءة ما قاله السكاكي تبيّن أنه قال : وأما حسن الاستعارة التخييلية فبحسب حسن الاستعارة بالكناية متى كانت تابعة لها ، كما في قولك : فلان بين

---

(١) المفتاح ، ٣٧٦ - ٣٧٧ .

(٢) المطول ، ٣٩٣ - ٣٩٤ .

(٣) ديوان أبي تمام ، ١/٢٢ .

(٤) المطول ، ٣٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنياب المنية ومخالبها ، قلّما تحسن الحسن البليغ غير تابعة لها، ولذلك استهجنت في قول أبي تمام السابق ذكره (١) .إذن السكاكي يجيز انفراد التخييلية عن المكنية مع اعترافه بخلوها من الحسن عند الانفراد (٢) .

ويتفق التفتازاني مع القزويني على أنّ في تفسير السكاكي للاستعارة التخييلية تعسفا (٣) ، لما فيه من كثرة الاعتبارات التي لا يدل عليها دليل ولا تدعو إليه حاجة (٤) .

ونقل أيضا ما قاله القزويني : بأنّ تفسير السكاكي للاستعارة يخالف تفسير غيره له لاقتضاء تفسير السكاكي أن يجعل للشمال صورة متوهمة مثل صورة اليد ، لا أن يجعل له يدا ، كما في قول لبيد :

وغَداة ريح قد كشفت وَقَرّة

إذ أصبحت بيد الشمال زِمامها(٥)

ويكون اطلاق اليد على الشمال استعارة تصريحية تخييلية، واستعمالا للفظ في غير ما وضع له ، فاطلاق اسم اليد على تفسير السكاكي استعارة، وعلى تفسير غيره تكون الاستعارة في اثبات اليد للشمال، ولفظ اليد حقيقة لغوية مستعملة في معناه الموضوع له (٦)، ولهذا قال عبدالقاهر في قول لبيد السابق : لا خلاف في أنّ اليد استعارة. ثم انك لا تستطيع أن تزعم أنّ لفظ اليد قد نقل عن شيء إلى شيء ، إذ ليس المعنى على أنه شبه شيئا باليد . بل المعنى أنه

---

(١) المفتاح ، ٣٨٨ .

(٢) هامش الايضاح ، ١٢١/٥ - ١٢٢ .

(٣) التلخيص ، ٣٣١ .

(٤) المطول ، ٣٩٥ .

(٥) شرح ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، وزارة الارشاد والانباء - الكويت ، ١٩٦٢م ، ٣١٥ .

(٦) التلخيص ، ٣٣١ والمطول ، ٣٩٥ - ٣٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أراد أن يثبت للشمال يدا (١) . ثم أورد التفتازاني عدة آراء قيلت تعليقا على كلام السكاكي في الاستعارة التخييلية لكنه رفضها لما فيها من ضعف واصفا إياها بالفساد لأنه قال :" وللبعضهم في هذا المقام كلمات واهية بيّنا فسادها في " المطول " (٢)".ثم اختتم نقاشه حول رأي السكاكي بقوله :"إنّ صاحب المفتاح في هذا الفن خصوصا في مثل هذه الاعتبارات ليس بصدد التقليد لغيره حتى يعترض عليه بأنّ ما ذكره مخالف لما ذكره غيره (٣)".

ويوجّه القزويني اعتراضا آخر على ما قاله السكاكي في الاستعارة التخييلية،فكلامه فيها يقتضي أن يكون الترشيح استعارة تخييلية للزوم مثل ما ذكره السكاكي في الترشيح. وما في "الايضاح" يوضّح رأيه لأنه قال :" في كل منهما اثبات بعض لوازم المشبه به المختصة به للمشبه، غير أنّ التعبير عن المشبه في التخييليةبلفظه الموضوع له،وفي الترشيح بغير لفظه، وهذا لا يفيد فرقا (٤)".

وحاصل اعتراض القزويني مطالبته بالفرق بين التخييلية والترشيح وجوابه:أنّ الأمر الذي هو من خواص المشبه به لما قرن في التخييلية بالمشبه كالمنيّة مثلا حملناه على المجاز ، وجعلناه عبارة عن أمر متوهم يمكن اثباته للمشبه ، وفي الترشيح لما قرن بلفظ المشبه به لم يحتج إلى ذلك ، لأنه جعل المشبه به هو هذا المعنى مع لوازمه .فإذا قلنا: رأيت بحرا تتلاطم أمواجه : فالمشبه به هو البحر الموصوف بالتلاطم الحقيقي بخلاف أظفار المنية فإنها مجاز عن الصورة المتوهمة ليصح إضافتها إلى المنية (٥).

---

(١) دلائل الاعجاز ، ٤٣٥ .

(٢) المختصر ، ٢٥٩/٢ .

(٣) السابق ، ٢٥٩/٢ .

(٤) التلخيص ، ٣٣١ - ٣٣٢ والايضاح ، ١٤١/٥ - ١٤٢ .

(٥) المطول ، ٣٩٩ وهامش الايضاح ، ١٤٢/٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي رأي التفتازاني :" تحقيق معنى الاستعارة التخييلية أنه استعير للمنيّة ما ليس لها وهو الأظفار والنزاع في أنّ لفظ الأظفار مستعمل في معناه الحقيقي ، ليكون حقيقة لغوية كما هو عند القزويني أو مستعمل في غير معناه أي الصورة الوهمية الشبيه بالأظفار ليكون مجازا لغويا وقسما من الاستعارة التصريحية كما هو مذهب السكاكي (١)".

ومما يشهد بدقة التفتازاني أنه بيّن أنّ ماذكره القزويني فيما يتعلق بحروف التنديم والتحضيض ، هو المفهوم من كلام السكاكي وليس نص كلام السكاكي (٢) ، وبعد قراءة ما قاله السكاكي وما ذكره القزويني يتضح أنّ عبارات القزويني أكثر وضوحا وإشراقا مما قاله السكاكي ، وفيما يلي عرض للنصين كما وردا عند السكاكي والقزويني.

قال السكاكي :" كأنّ الحروف المسماة بحروف التنديم والتحضيض هي : هلاّ ، وألاّ ، ولولا ، ولوما ، مأخوذة منهما مركّبة مع لا وما المزيدتين ، مطلوبا بالتزام التركيب التنبيه على الزام هل ولو ، معنى التمني فإذا قيل : هلاّ أكرمت زيدا فكان المعنى ليتك أكرمت زيدا ، متولّدا منه معنى التنديم ، وإذا قيل هلاّ تكرم زيدا . فكان المعنى ليتك تكرمه ، متولّدا منه معنى السؤال (٣)".

أما ما قاله القزويني نقلا عن السكاكي :" كأنّ حروف التنديم والتحضيض - وهي هلاّ وألاّ بقلب الهاء همزة ، ولولا ولوما - مأخوذة منهما مركّبتين مع لا وما المزيدتين لتضمينهما معنى التمني ليتولّد منه في الماضي التنديم . نحو هلاّ أكرمت زيدا ،

---

(١) المطول ، ٣٩٧ .

(٢) السابق ، ٢٢٦ .

(٣) المفتاح ، ٣٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي المضارع التحضيض نحو : هلاّ تقوم (١)".

ويرى التفتازاني أنّ في قولنا : لو ما تقوم . على معنى ليتك تقوم ، بالاضافة إلى التحضيض ، فيه لوم وتوبيخ للمخاطب على ما كان يجب عليه أنّ يفعله قبل أن يطلب منه (٢) . وكان بامكان السكاكي والقزويني والتفتازاني أن يمثّلوا بقوله تعالى : " فلولا كانت قرية آمنة فنفعها إيمانها " (٣) كمثال لإفادة لولا معنى التنديم ، بدلا من التمثيل بالمثال المصنوع : هلاّ أكرمت زيدا .

وعلّل التفتازاني بدء السكاكي كلامه عن حروف التنديم والتحضيض بكأن ، لعدم القطع بما قاله ؛ لاحتمال أن يكون كل من هلاّ وألاّ حرفا موضوعا للتنديم والتحضيض من غير اعتبار التركيب فإنّ التصرف في الحروف مما يأباه كثير من النحاة (٤) .

ولا يخفى ما في مذهب السكاكي من التعقيد والتكلف ؛ لأنّ ما ذكره يتضمن افتراضا يصعب اثباته ؛ لأنّ معنى كلامه أنّ " هل ولو" خرجتا من معناهما الأصلي لتفيدا التمني ، ومنه لإفادة التنديم والتحضيض . وهذا لا بد أن يكون قد تمّ في مرحلة متأخرة ، أي في الطور الثالث من استعمال الحرفين مع أنّ التنديم والتحضيض من المعاني التي يحسها الإنسان ، ويحتاج للتعبير عنها في تلك المرحلة نفسها التي يعبّر فيها عن معانيه القلبية والذهنية والتي منها التمني والاستفهام . وإذا أضفنا إلى ذلك ما يذكر في قصة "هل" وأنها للتحقيق ثم اشربت معنى الاستفهام لطول ملازمتها للهمزة ازداد ما ذكره السكاكي بعدا (٥) .

---

(١) التلخيص ، ١٥٢ .

(٢) المطول ، ٢٢٦ .

(٣) يونس ، الآية ٩٨ .

(٤) المطول ، ٢٢٦ .

(٥) دلالات التراكيب ، ٢١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين التفتازاني والقزويني :

تحدّث التفتازاني في مقدمة كتابه عن جملة من الأسباب التي دفعته إلى تأليف " المطول " منها (١) . توضيح ما غمض في كتاب القزويني ومحاولة إماطة اللثام عن الأسرار الموجودة ليس في "التلخيص " فحسب بل ما ورد في "المفتاح" و "الايضاح" . وهذا يدل على ضخامة الجهد الذي بذله في كتابه .

وتحدّث عن بعض المواضع التي زلّت فيها أقدام الآخذين في هذه الصناعة ونبّه إلى ما وقع فيه القزويني من التسامح في بعض مسائل هذا الفن . وهذا ما اتضح من خلال مناقشته لآراء القزويني في كثير من المسائل .

ومن القضايا البلاغية التي وافق رأيه فيها رأي القزويني المحسنات البديعية.فقد اتفق مع القزويني على تقسيم البلاغة إلى علمي المعاني والبيان وتوابعها (البديع).وبيّن أنّ علم البيان جزء من علم البلاغة بينما البديع من توابعها ، جاء ذلك في معرض تعليله تقديم بحث البيان على البديع حيث قال:" قدّم القزويني بحث البيان على البديع لشدة الاحتياج إليه لكونه جزءا من علم البلاغة ومحتاجا إليه في تحصيل بلاغة الكلام ، بخلاف البديع فإنه من التوابع (٢)". وهو هنا لم يأت بجديد حيث سار على التقسيم الذي كان سائدا. ولكن البديع ليس ترفا في الأسلوب الأدبي ، أو حلية تكون بمثابة الفضول التي يستغنى عنها ، حتى يكون مكانه في المؤخرة من عناصر العمل الفني ، ولا هو يأتي بعد استيفاء البلاغة لعلمي المعاني والبيان بل منزلته لا تقل شأنا عنهما (٣) . ولهذا

---

(١) المطول ، ٤ .

(٢) السابق ، ٣٠٠ .

(٣) فن البديع للدكتور عبدالقادر حسين،دار الشروق،ط١ ، ١٩٨٣م، ١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نعتقد أنّ علم البديع بحاجة إلى انصاف ووضعه في مكانه اللائق به، وليس جعله مجرد تابع للبلاغة ، ونحن نقصد البديع الذي يأتي في موضعه ليقوم بدوره في أداء المعنى فيقف جنبا إلى جنب مع الصور البيانية ، وترتيب مواضع الكلمات ، فالقرآن الكريم فيه كثير من صنوف البديع : كالجناس ، والطباق ، والمقابلة ... فهذه الأنواع البديعية لم تكن فضولا من القول ، فإذا استقرت في مواضعها كانت للمعنى جلاء وبيانا (١) . فالمحسنات البديعية ليست أمورا تابعة للمعاني والبيان ولا ثانوية يسيرة الأهمية .

ومع أنّ التفتازاني بيّن أنّ علوم البلاغة هي البيان والمعاني وتوابعها (البديع) إلاّ أنّ هذا لم يمنعه من اطلاق فن البيان على علوم البلاغة الثلاثة ، حيث بيّن أنه قبل شروعه في تأليف كتابه قام بمراجعة الفضلاء المشار إليهم بالبنان ، ومعارسة الكتب المصنفة في البيان ، لا سيما " دلائل الاعجاز " و " أسرار البلاغة " (٢) ومن المعروف أنّ هذين الكتابين يتحدثان عن البلاغة بمعناها الواسع ولا يختصان بفن واحد ، وبخاصة " دلائل الاعجاز " الذي حوى معظم أبواب العلم الذي عرف فيما بعد بعلم المعاني . ثم إنّه نبّه إلى هذه النقطة ثانية عندما قال:" كثيرا ما يطلق البيان على العلوم الثلاثة "(٣) ، جاء ذلك في معرض تعليله لوضع الزمخشري الالتفات في علم البيان خلافا لما هو شائع بين البلاغيين.

ومما يثبت أنّ التفتازاني كان موضوعيا في أحكامه ، وأنه يختار ما يراه مقنعا بغضّ النظر عن قائله رفضه الاعتراضات التي وجّهها القزويني لتعريف السكاكي لعلم المعاني ، كما بيّنا

---

(١) فن البديع ، ١٢ .

(٢) المطول ، ٤ .

(٣) السابق ، ١٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك *. وها هو الآن يفضّل تعريف القزويني لعلم البيان : " بأنه علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه "(١) . على تعريف السكاكي له :"بأنه معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة ، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه(٢)".

وعبّر التفتازاني عن تفضيله لتعريف القزويني بقوله :" لا يخفى أنّ تعريف علم البيان بما ذكره ههنا أولى من تعريفه بمعرفة المعنى الواحد كما في " المفتاح " (٣)" والذي يفهم من تعريف القزويني لعلم البيان أنه ملكة أو أصول يقتدر بها على ايراد كل معنى واحد يدخل في قصد المتكلم ، وايرادته بتراكيب يكون بعضها أوضح دلالة عليه من بعض . وغايته من تقييد المعنى بالواحد للدلالة على أنّ المتكلم لو أورد معاني متعددة بطرق بعضها أوضح دلالة على معناه من البعض الآخر لم يكن ذلك من البيان في شيء .

وتقييده الاختلاف بأن يكون في وضوح الدلالة ، لبيان أنّ الألفاظ المترادفة كليث وأسد وغضنفر ليست من علم البيان ؛ لأنها وإنّ كانت طرقا مختلفة في إيراد المعنى الواحد فاختلافها إنما هو في اللفظ والعبارة لا في الوضوح والخفاء (٤) .

ومعنى ذلك أنّ المتمكن في هذا الفن إذا حاول التعبير عمّا يجول في صدره من المعاني وجد الطريق ممهّدا فيختار ما هو المناسب بمقصوده من فنون القول وأساليب الكلام . فمثلا نقول : هو كالبحر

---

* ينظر ، ٩١ - ٩٣ هذه الدراسة .

(١) التلخيص ، ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٢) المفتاح ، ١٦٢ .

(٣) المطول ، ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٤) السابق ، ٣٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو بحر في التشبيه ، ونقول : رأيت بحرا في الدار استعارة ، فيكون التعبير عن المعنى الواحد بعدة طرق كما لاحظنا ، كما أن من أقوالهم :" فلان كثير الرماد " . ويقولون : " فلان إذا قدح لا يصلد " (١) . أي هو كالزند الذي يقدح فيرى ، فهذه الأقوال - وغيرها كثير - تدور حول معنى واحد وهو الكرم ، ولكننا نجد الجملة الأولى أوضح من الجملة الثانية .

ومع أن التفتازاني فضّل تعريف القزويني إلا أنه أخذ عليه عدم تقييده الدلالة أثناء تعريفه لعلم البيان بالدلالة العقلية، لأن ليس كل دلالة تحتمل الخفاء والوضوح . وقال أيضا : وكان عليه أن يقيده بما يكون للوضع مدخل فيها احترازا عن الدلالة الطبيعية والعقلية. ثم قال : والمصنف ترك التقييد لوضوحه وكون سوق كلامه في بيان التقسيم مشعرا بذلك (٢) .

وقراءة متأنية للعبارات السابقة تظهر مدى التناقض الذى وقع فيه التفتازاني . فهو يأخذ على القزويني عدم تقييد الدلالة ، ثم يعود ويعلل اغفال القزويني لذلك بوضوح الأمر ، فإذا كان الأمر واضحا كما يقول فما الداعي لتقييده . ثم هو اختار أن يكون المقصود بالدلالة هنا الدلالة العقلية ، وعاد ثانية للقول وكان ينبغي عليه التقييد للاحتراز عن الدلالة العقلية والطبيعية ، فكيف يقيده مرة بالدلالة العقلية ثم يحترز عنها مرة ثانية ؟

وعرّف التفتازاني علم البيان بأنه:"علم يعرف به ايراد المعنى الواحد في تراكيب مختلفة بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال"(٣)، جاء ذلك في أثناء تعليله تقديم بحث علم المعاني على بحث

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع) للدكتور فضل عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ١٤

(٢) المطول ، ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٣) السابق ، ٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علم البيان .

ومع أنّ التفتازاني تبنّى تعريف القزويني للتشبيه بأنه "الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد (١)" . إلاّ أنه فضّل أن يزاد على التعريف السابق : بالكاف ونحوه لفظا أو تقديرا ، ليخرج عنه نحو قاتل زيد عمرا (٢) . ولكن هل أبان هذا التعريف عن معنى التشبيه وأوضح مضمونه ؟! .

ومن تعريف القزويني والتفتازاني يتضح ما يلي : إنّ التجريد لا يعدّ من التشبيه خلافا للسكاكي الذي صرّح بأنّ نحو : رأيت بفلان أسدا ، ولقيني منه أسد من التشبيه (٣) .

كما أنّ القزويني استثنى من التعريف السابق الاستعارة التخييلية ، لأنّ اثبات الأظفار للمنيّة في قولنا : نشبت أظفار المنيّة بفلان ، عند القزويني لا يوجد فيه دلالة على مشاركة أمر لآخر ، لأنّ المراد بالأظفار على تفسيره معناه الحقيقي (٤) . وهذا ما سيتضح عند الحديث عن مفهوم الاستعارة . بالكناية عند القزويني .

ودخل في التعريف السابق ما يسمى تشبيها بلا خلاف ، وهو ما ذكر فيه أداة التشبيه نحو : زيد كالأسد أو كالأسد بحذف زيد لقيام قرينة . ودخل فيه ما يسمى تشبيها على القول المختار . وهو ما حذف فيه أداة التشبيه ، وجعل المشبه به في حكم الخبر مع حذف المشبه كما في قوله تعالى: " صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ "(٥) بحذف المبتدأ هم . وهذان

---

(١) التلخيص ، ٢٣٨ - ٢٤٢ .

(٢) المطول ، ٣١١ .

(٣) السابق ، ٣١١ والمفتاح ، ٣٥٤ .

(٤) التلخيص ، ٣٢٧ والمطول ، ٣١١ .

(٥) البقرة ، الآية ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المثالان -كما يقول التفتازاني- إن المحققين على أن ما ورد فيهما يسمى تشبيها بليغا لا استعارة؛ لأن الاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له بالكلية، ويجعل الكلام خالياعنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام (١)* فإذا قلت: زيد أسد، فصوغ الكلام في الظاهر، لاثبات معنى الأسد على زيد، وهو ممتنع على الحقيقة فيحمل على أنه لاثبات شبه من الأسد له فيكون الاتيان بالأسد لاثبات التشبيه فيكون خليقا بأن يسمى تشبيها ، لأن المشبه به إنما جيء به لافادة التشبيه(٢) .

ومن القضايا البلاغية التي توقف عندها التفتازاني الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية . فقد بيّن التفتازاني أن الآراء قد اتفقت على أن في مثل قولنا : أظفار المنية نشبت بفلان . استعارة بالكناية واستعارة تخييلية ، ولكنها اضطربت في تشخيص المعنيين اللذين يطلق عليهما هذان اللفظان (٣)، ومحصّل ذلك يرجع إلى ثلاثة أقوال : للجمهور ، والسكاكي والقزويني .

وبعد أن عرضنا لرأي السكاكي والسلف فيها * ، نتوقف عند تفسير القزويني لها فقد قال : قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرّح بشيء من أركانه سوى المشبه ، فيسمّى التشبيه استعارة بالكناية ، واثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية ، كما في قول أبي ذؤيب:

* وإذا المنية أنشبت أظفارها *(٤)

(*) وهذا رأي للزمخشري وإن لم يصرح بنقله .

(١) التلخيص ، ٢٤٢ والمطول ٣١١ .

(٢) المطول ، ٣٤٦ .

(٣) السابق ، ٣٤٦ ،

(*) ينظر ، ٩٣ - ٩٧ هذه الدراسة .

(٤) شرح أشعار الهذليين ، صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، مراجعة محمود محمد شاكر، دار العروبة-القاهرة، ٨/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شبّه المنيّة بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفّاع وضرّار ، فأثبت له الأظفار التي لا يكمل ذلك فيه بدونها (١) .

وبناء على التفسير السابق يكون كل من لفظي الأظفار والمنيّة حقيقة مستعملة في المعنى الموضوع له ، وليس في الكلام مجاز لغوي، والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية فعلان من أفعال المتكلم ويتلازمان في الكلام لا يتحقق أحدهما بدون الآخر ؛ لأنّ التخييلية يجب أن تكون قرينة للمكنية البتة ، والمكنية يجب أن تكون قرينتها التخييلية البتة ، فمثل قولنا أظفار المنيّة الشبيهة بالسبع أهلكت فلانا يكون ترشيحا للتشبيه (٢) .

ثم بيّن التفتازاني أنّ تفسير القزويني للاستعارة بالكناية لا مستند له في كلام السلف ولا هو مبنيّ على مناسبة لغوية وكأنه استنباط منه . وتفسيرها الصحيح هو الوارد في كلام السلف (٣) . وإن كنا نؤيد تبنّي التفتازاني لرأي السلف في مفهوم الاستعارة المكنية ، فإننا لا نقبل قول التفتازاني " تفسير القزويني لا مستند له في كلام السلف وكأنه استنباط منه " فهذه حجة عليه وليست له ؛ لأنه بذلك يقفل باب الاجتهاد ، ومن قال بأنّ كلام السلف هو الكلام النهائي في هذه القضيّة . وما قاله التفتازاني يتعارض مع رأي له ورد في مقدمة كتابه عندما أخذ على البلاغيين في عصره ، أنهم وقعوا أسرى التقليد وهذا أدّى إلى جمود القرائح ، كما أنه وقع فيما أخذه هو نفسه على القزويني ، عندما قال القزويني :"إنّ تفسير السكاكي للاستعارة التخييلية ، فيه تعسف ، ويخالف تفسير

---

(١) التلخيص ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ .

(٢) المطول ، ٣٨٢ .

(٣) السابق ، ٣٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غيره لها "(١) . ورد عليه التفتازاني بأن صاحب المفتاح في هذا الفن خصوصا في مثل هذه الاعتبارات ليس بصدد التقليد لغيره حتى يعترض عليه بأن ما ذكره مخالف لما ذكره غيره (٢) .

وفيما يتعلق بتفسير القزويني للاستعارة التخييلية فقد قال عنه التفتازاني : إنه قريب مما قاله عبدالقاهر في تفسير الاستعارة الواردة في قول لبيد بن ربيعة :

وغداة ريح قد كشفت وقرة

إذ أصبحت بيد الشمال زمامها(٣)

فقد جعل للشمال يدا ومعلوم أنه ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجري اليد عليه . فهو قد أراد أن يثبت للشمال في الغداة تصرفا كتصرف الإنسان في الشيء يقلبه ، فاستعار لها اليد حتى يبالغ في تحقيق الشبه . فالشبه لم ينتزع ههنا من المستعار نفسه بل مما يضاف إليه، لأنا جعلنا الشمال مثل ذي اليد من الأحياء فنجعل المستعار له (الشمال) مثلا ذا شيء، وغرضنا أن نثبت له حكم من يكون له ذلك الشيء (٤) .

وقد طبق التفتازاني كلام عبدالقاهر السابق على قولنا أظفار المنية ، فهو قد أثبت للمنية ما ليس لها بناء على تشبيهها بما له الأظفار وهو السبع (٥) . وبهذا التفسير يكون ما ذكره القزويني في تفسير الاستعارة التخييلية مبنيا على ما قاله عبدالقاهر وإن لم ترد تسمية الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية عند عبدالقاهر .

---

(١) التلخيص ، ٣٣١ .

(٢) المختصر ، ٢/٢٥٩ .

(٣) شرح ديوان لبيد بن ربيعة ، ٣١٥ .

(٤) أسرار البلاغة ، ٤٣ - ٤٥ والمطول ٣٨٣ - ٣٨٥ .

(٥) المطول ، ٣٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقف التفتازاني مرة أخرى إلى جانب السكاكي عندما علّل محاولة السكاكي ، ردّ الاستعارة التبعية إلى المكني عنها بجعل قرينتها مكنيا عنها ، وهذا يتضح من قول السكاكي : في قولنا نطقت الحال بكذا ، عندما جعل الحال استعارة بالكناية عن المتكلم وجعل نسبة النطق إليه قرينة الاستعارة (١) . وتعليل التفتازاني أنّ ذلك عائد إلى رغبة السكاكي في تقليل الأقسام ، ولكونه أقرب إلى الضبط (٢). فبناء على ما قاله السكاكي تكون الاستعارة أصلية فقط. وبعد ذلك قام التفتازاني بتطبيق رأي السكاكي على ما ورد في قوله تعالى :" فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا " (٣) بجعل العداوة والحزن استعارة بالكناية عن العلة الغائية للالتقاط ، ويجعل نسبة لام التعليل إليه قرينة . والحكم نفسه ينطبق على ما ورد في قوله تعالى :" ولأصلبنكم في جذوع النخل "(٤) استعارة بالكناية عن الظروف والأمكنة ، واستعمال " في " قرينة على ذلك(٥) .

ثم ناقش التفتازاني اعتراضين للقزويني على ما قاله السكاكي في الاستعارة التبعية وهو قوله :"ردّ ما اختاره (السكاكي) بأنه إن قدّر التبعية حقيقة لم تكن تخييلية ، لأنها مجاز عنده ، فلم تكن المكني عنها مستلزمة للتخييلية ، وذلك باطل بالاتفاق ، وإلاّ فتكون استعارة . فلم يكن ما ذهب إليه (السكاكي) مغنيا عما ذكره غيره (٦)". لأنه اضطر آخر الأمر إلى القول بالاستعارة التبعية

---

(١) المفتاح ، ٣٨٤ .

(٢) المطول ، ٤٠٢ .

(٣) القصص ، الآية ٨ .

(٤) طه ، الآية ٧١ .

(٥) المطول ، ٤٠٢ .

(٦) التلخيص ، ٣٣٣ - ٣٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث لم يتأت له أن يجعل نطقت في قولنا : نطقت الحال بكذا حقيقة بل لزمه أن يقدّر استعارة ، والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعية (١) .

وبعد أن نقل التفتازاني عدة اجابات قيلت في الرد على القزويني ، يتّهمه بأنه انتقد السكاكي دون وجه حق . فالعجب ممن يقوم بالذبّ عن كلام أحد من غير أن ينظر فيه أدنى نظرة (٢) . ثم ناقش القزويني فيما ذهب إليه :" فإن أراد القزويني بالاتفاق على استلزام المكني عنها للتخييلية اتفاق غير السكاكي فهذا غير دقيق لأنه بصدد الخلاف معهم".فقد ذكر الزمخشري في تفسير قوله تعالى :" وينقضون عهد الله " (٣) إنّ في العهد استعارة بالكناية وتشبيها بالحبل والنقض استعارة لإبطال العهد ، وهذا أمر محقق عقلا وليس وهما ، فتكون قرينة الاستعارة بالكناية استعارة تحقيقية لا تخييلية (٤)، وإن أراد القزويني بالاتفاق اتفاق السكاكي وغيره فهذا باطل أيضا؛ لأنّ السكاكي صرّح بأنّ عدم انفكاك المكني عنها عن التخييلية إنما هو مذهب السلف(٥) ، وعنده لا لزوم بينهما أصلا بل توجد التخييلية بدون المكنية . فقد قال عن قرينة المكني عنها: "إمّا أن تكون أمرا مقدّرا وهميا كالأظفار في أظفار المنيّة ، ونطقت في: نطق الحال أو تكون أمرا محققا كالإنبات في قولنا: أنبت الربيع البقل (٦)". وبرأي التفتازاني أنّ ما قيل سابقا يصلح لإبطال كلام القزويني لا لتوجيه كلام السكاكي ؛ لأنّ السكاكي قد

---

(١) المطول ، ٤٠٣ .

(٢) السابق ، ٤٠٣ .

(٣) البقرة ، الآية ٢٧ .

(٤) الكشاف ، ١١٩/١ والمطول ، ٤٠٢ .

(٥) المفتاح ، ٣٧٩ .

(٦) السابق ، ٤٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صرّح : بأنّ نطقت من قبيل الوهمي كالأظفار (١) ، فيجب أن يقدّر أمر وهمي شبيه بالنطق ، كما ذكره في الأظفار . وهذا قول بالاستعارة التبعية (٢) .

ثم يضيف التفتازاني رأيا آخر وهو إنّ المراد بعدم انفكاك الاستعارة بالكناية عن التخييلية ، أنّ التخييلية لا توجد بدونها فيما شاع من كلام الفصحاء إذ لا نزاع في عدم شيوع مثل أظفار المنيّة الشبيهة بالسبع ، وإنما الكلام في الصحة (٣) .

والتفتازاني لا يرفض رأيا إلاّ إذا ناقشه ، وكذلك لا يقبل رأيا إلاّ إذا اقتنع به ، ولهذا خالف القزويني فيما قاله حول خروج الاستفهام للتقرير . فقد بيّن التفتازاني أنّ للتقرير معنيين ، فقد يقال التقرير :" بمعنى التحقيق والتثبت ، وقد يقال بمعنى حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه (٤)" . وهذا هو المعنى الذي قصده القزويني هنا بقوله : " والتقرير بايلاء المقرر به الهمزة"(٥) أي بشرط أن يلي الهمزة ما يحمل المخاطب على الاقرار به ، وهذا أوقع في النفس وأدل على الالزام ، لأنّ المخاطب يقر ويعترف بالشيء .

ومما جعلت الهمزة فيه للتقرير بالفاعل قوله تعالى حكاية عن إبراهيم وقومه :" أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم "(٦) لأنّ المراد هنا حمله عليه السلام على الاقرار بأنّ كسر الاصنام قد كان منه . وقوم إبراهيم عليه السلام أشاروا إلى الفعل في قولهم :

---

(١) المطول ، ٤٠١ .

(٢) السابق ، ٤٠٣ .

(٣) المختصر ، ٢/ ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٤) المطول ، ٢٣٦ .

(٥) الايضاح ، ٣/٧١ .

(٦) الأنبياء ، الآية ٦٢ .

أأنت فعلت . وجوابه عليه السلام : بل فعله كبيرهم دليل على أنه ليس المقصود الاقرار بتكسير الأصنام ؛ لأنه لو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل (١) .

ولا وجه لقول القزويني : يجوز أن يكون الاستفهام في الآية واردا على أصله وليس للتقرير ، لأنه لا يوجد في السياق ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأنّ إبراهيم عليه السلام ، هو الذي كسّر الأصنام حتى يمتنع حمله على حقيقة الاستفهام (٢) .

وهذا الكلام غير صحيح ، لأنّ ما ورد في الآيات السابقة يدل على أنهم كانوا عالمين بذلك فقوله تعالى:"وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تُولّوا مُدبرين "(٣) وقولهم بعد رؤيتهم الأصنام مكسّرة كما ورد في الآية :" قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم " فالظاهر أنهم قد علموا ذلك من قسم ابراهيم عليه السلام الوارد في الآية السابقة ومن ذمه للأصنام (٤). ويضيف التفتازاني تفسيرا آخر." وهو ما يروى أنّ قوم إبراهيم قد هربوا وتركوه في بيوت الأصنام ليس معه أحد فلما أبصروه يكسرا لأصنام ليس معه أحد أقبلوا إليه يسرعون ليمنعوه(٥)".

فكيف غاب كل ذلك عن القزويني عندما قال : لايوجد في النص ما يشعر أنهم كانوا عالمين بذلك ؟! وعند القزويني : والذي يسأل عنه بالهمزة هو ما يليها ، كالفعل في أضربت زيدا ، والفاعل في أأنت ضربت زيدا (٦) ، وبناء عليه يكون ما ورد في قوله تعالى عن

---

(١) المطول ، ٢٣٦ .

(٢) الايضاح ، ٣/٧١ .

(٣) الأنبياء ، الآية ٥٧ .

(٤) المطول ، ٢٣٦ .

(٥) السابق ، ٢٣٦ .

(٦) الايضاح ، ٣/٥٧ - ٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

آراء التفتازاني وأثرها في البلاغيين اللاحقين

آراء للتفتازاني :

يتمتع التفتازاني بشخصية متميزة، تتبدى بوضوح فيما ذكره من آراء، واضافات لم ترد عند السكاكي والقزويني، حفل بها "المطول"، ولكنها كانت متناثرة ، وجاءت في أثناء عرضه للقضايا البلاغية وتوجيهاته ومناقشاته لغيره من البلاغيين، وهذا يعني أن من يقرأ "المطول" قراءة متأنية سيظفر بها.

وفيما يلي عرض لبحث التفتازاني للطباق؛ ليكون نموذجا لكيفية عرض التفتازاني لآرائه.

اتفق التفتازاني مع القزويني على أن الطباق جمع بين متضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة (١)، ثم وضح مقصود القزويني من مراده بالمتضادين، ليس فقط الأمرين اللذين بينهما خلاف تام كالسواد والبياض بل أعم من ذلك، وهو ما يكون بينهما تقابل وتناف في الجملة وفي بعض الأحوال سواء كان التقابل حقيقيا أو اعتباريا وسواء كان تقابل التضاد أو تقابل الايجاب والسلب أو تقابل العدم أو غير ذلك (٢). وبهذا يتضح أنه وسع مفهوم الطباق ليشمل ما عده غيرهما قسما برأسه من المحسنات البديعية، كما في تدبيج الكناية ومثاله قول أبي تمام :

تردى ثياب الموت حُمْرا فما أتى
لها الليل إلا وهي من سُنْدس خُضْر (٣).

---

(١) التلخيص، ٣٤٨ .

(٢) المطول، ٤١٧ .

(٣) ديوان أبي تمام، ٤ / ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالثياب الحمر كناية عن القتل، والثياب الخضر كناية عن دخول الجنة، ويعدّ هذا من الطباق لما بين اللونين من التقابل (١). وهذا ما وافقه عليه طاشكبري زادة، والسيوطي الذي أضاف حديثا للرسول عليه السلام، وجزءا من إحدى مقاماته كأمثلة على تدبيج الطباق (٢).

ويظهر أثر ذلك في اعتبار ما ورد في قوله تعالى: "أشداء على الكفار رحماء بينهم" (٣) من ملحقات الطباق، فإنّ الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدّة، لكنها مسببة عن اللين الذي هو ضد الشدّة. وهذا ما قاله طاشكبري زادة والسيوطي (٤).

ويدخل في الطباق أيضا بناء على التفسير السابق المقابلة، وهي " أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل المعنين المتوافقين أو المعاني المتوافقة "(٥).

وتختلف المقابلة عن الطباق باضافة العدد إليها، فنقول مقابلة الاثنين بالاثنين، أو مقابلة الثلاثة بالثلاثة وهكذا. بينما الطباق لا يكون إلاّ بين معنى واحد وما يقابله، فالطباق والمقابلة من حيث الموضوع شيء واحد، كل ما في الأمر أنّ الطباق يكون بين معنيين، فلما لا تكون المقابلة والمطابقة شيئا واحدا، وتكون بين المعنى وما يقابله أو بين معنيين وما يقابلهما، أو بين ما يزيد على اثنين، والعدد ليس مهما بحد ذاته، وإنما المهم

---

(١) المطول، ٤١٨ .

(٢) شرح الفوائد الغياثية لطاشكيري زادة، مطبعة عامر عثمان حلمي قرة، ١٣١٢ هـ، ٢٧١ وشرح عقود الجمان للسيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٩ م، ١٠٥ - ١٠٧ .

(٣) الفتح، الآية ٢٩ .

(٤) شرح الفوائد الغياثية، ٢٧١ وشرح عقود الجمان، ١٠٧ .

(٥) التلخيص، ٣٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن يحسن المبدع توظيف هذا التضاد سواء على مستوى المفردات أو الجمل مجلتيا تلك الحركة التي تموج بها المعاني داخل النص كله عندما يصبح التقابل مرتكزا بنائيا يتكيء عليه النص في مكوناته وعلاقاته (١).

ولكن السكاكي قال في تعريف المقابلة : " هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما "(٢)، وعلى هذا التفسير لا يكون بيت أبي دلامة :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

واقبح الكفر والافلاس بالرجل (٣)

من المقابلة؛ لأنه اشترط في الدين والدنيا الاجتماع ولم يشترط في الكفر والافلاس ضده وهذا ما نبته إليه طاشكبري زادة والسيوطي(٤).

وعلى تفسير القزويني يكون البيت السابق من المقابلة؛ لأنه قابل الحسن والدين والغنى بالقبح والكفر والافلاس على الترتيب (٥).

وأدخل التفتازاني في الطباق قول الشاعر :

---

(١) في البنية والدلالة لسعد أبو الرضا، منشأة المعارف - الاسكندرية، ١٩٧٧م ، ٤١ .

(٢) المفتاح، ٤٢٤ .

(٣) ديوان أبي دلامة، اعداد الدكتور رشدي علي حسن، مؤسسة الرسالة - بيروت ودار عمار - عمان ، ط١ ، ١٩٨٥ م، ٧٧ .

(٤) المطول، ٤١٩ وشرح الفوائد الغياثية، ٢٧٢ وشرح عقود الجمان، ١٠٧ .

(٥) التلخيص، ٣٥٢ - ٣٥٣ والمطول، ٤١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحلَّ وامرُرْ وضرّ وانفعْ ولِنْ واخْ
شُن ورِشْ وابْرِ وانتدِب للمعالي (١)

لكونه جمعا بين الأمور المتقابلة (٢).

وإن كان لنا كلمة في هذا المجال فإننا نقول : المهم أن يحسن الأديب توظيف هذا التضاد أو التطابق للكشف عن الحركة الفكرية الكامنة في التركيب والنص كله، عندما تختلط هذه المتناقضات كاشفة عن قدرة الكاتب أو الشاعر في التعامل مع اللغة، وفي الكشف عن الدلالة بأبعادها المختلفة خلال هذه البنية اللغوية (٣). فالطباق إذن وسيلة فعالة يستطيع الأديب حين يحسن استخدامها التعبير عن الموقف بصورة درامية مؤثرة، ففي قول الشاعر :

لا تعجبي يا سَلْم من رجل
ضَحِك المشيب برأسه فبكى (٤)

نلحظ أنّ البكاء والضحك تحولا إلى طاقة تعبيرية تصويرية فاعلة، حين أحسن الشاعر استعمالها، فهو لا يستطيع أن يقول "ظهر" المشيب أو كثر أو غيرهما ولكنه قال "ضحك" لأنّ المشيب بداية الطريق نحو الفناء، بداية هدم الحياة التي دعت الشاعر إلى البكاء، فالهدم والافناء وعدم التعاطف في طريق الفناء والتلاشي تجعل المشيب طرفا شامتا حتى الضحك (٥).

---

(١) ديوان ديك الجن الحمصي، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، دار الثقافة - بيروت، ١٢٠ .

(٢) المطول، ٤٢١ - ٤٢٢ .

(٣) في البنية والدلالة، ٤٠ .

(٤) ديوان دعبل الخزاعي، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار الثقافة - بيروت، ١٩٦٢ م، ١١٧ .

(٥) مجلة الفكر العربي، المحسنات البديعية محاولة لدراسة بعضها بين الصيغ والوظيفة، للدكتور قصي سالم علوان، ٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الآراء التي وجدناها في "المطول" ولم ترد عند السكاكي والقزويني :

يرى التفتازاني أنّ منشأ الثقل في كلمة مستشزرات في قول امرىء القيس :

غدائره مُستشزِرَات إلى العلا

تضلّ المَدارى في مُثَنّى ومُرسَل (١)

يعود لاجتماع هذه الحروف المخصوصة، وليس لذلك علاقة بمخارج الحروف، أو كون الحروف مهموسة أو مجهورة أو غير ذلك من الآراء التي قيلت في هذا المجال التي رفضها التفتازاني؛ لأنّ الفيصل في تنافر الحروف هو الذوق الصحيح فكل ما عدّه ثقيلا متعسر النطق، فهو متنافر (٢). والذي يدعم وجهة النظر هذه ورود كلمات فيها حروف متقاربة في المخارج في آيات قرآنية كما في قوله تعالى : "فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم" (٣) وقوله تعالى : "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض" (٤) وقوله تعالى : "وعلى أمم ممن معك" (٥).

وقال عن فصاحة المفرد خلوصه من الغرابة وهو أن تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال، والوحشي يقسم إلى: غريب حسن مثل اشمخرّ وشرنبث وهذا لا يعاب استعماله على العرب؛ لأنه لم يكن وحشيا عندهم ومنه غريب القرآن والحديث، والنوع الثاني : غريب قبيح وهذا مما يعاب استعماله مطلقا؛ لأنّ فيه ثقلا

---

(١) ديوان امرىء القيس، ١٧ .

(٢) المختصر، ١ / ٨٤ - ٨٥ .

(٣) البقرة، الآية ١٣٧ .

(٤) النور، الآية ٥٥ .

(٥) هود، الآية ٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على السمع ويكون كريها على الذوق (١)، ومثاله : اطلخمّ الأمر *، وجفخت **.

وعدّ ما ورد في قول الشاعر :

مبارك الاسم أغرّ اللقب

كريم الجرشي شريف النسب (٢)

من قبيل تكأكأتم، فهي غير ظاهرة المعنى، ولا مأنوسة الاستعمال، لذا تدخل ضمن الغرابة المفسرة بالوحشية (٣)، ويرفض ما قيل فيها من تفسيرات أخرى.

أمّا فيما يتعلق بالتمني فقد عرّفه :" بأنه طلب حصول شيء على سبيل المحبة" (٤)، وهذا تعريف غير مانع، لذا كان يجدر به أن يضيف إلى تعريفه السابق عبارة ولا يتوقع حصوله، لأنّ التمني لا يكون إلاّ في الأشياء المستحيلة التحقق، وأنه رغم امكان تحققه إلاّ أنه بعيد الوقوع وغير مطموع في نيله (٥).

وبيّن أنّ الغرض من التمني بهل، ابراز المتمنى - لكمال العناية به - في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه(٦) ، ومثاله

---

(١) المطول، ١٨ .

* في قول أبي تمام : قد قلت لمّا اطلخمّ الأمر وانبعثت

عشواء تالية عبسا دهاريسا

** في قول المتنبي : جفخت وهم لا يجفخون بها بهم

وشيم على الحسب الأغرّ دلائل

(٢) ديوان أبي الطيب، ١ / ٩٩ .

(٣) المطول، ١٩ .

(٤) السابق، ٢٢٥ .

(٥) البلاغة الاصطلاحية، للدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، ١٩٨٧ م، ١٨١ .

(٦) المطول، ٢٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوله تعالى : "هل لنا من شفعاء" (١) حيث يعلم أنه لا شفيع، ولكن حاجة المتمني إلى شفيع قد غلبت على نفسه، وتعلّق بها حتى أدّى ذلك إلى افتراض غير الواقع واقعا.

أمّا التمني بلعل فيكون لبعد المرجو عن الحصول، فيكون أشبه بطلب المحال أو ممكن لكن لا طمع في وقوعه فيتولّد منه التمني فيعطى له حكم "ليت". وينصب الفعل المضارع في جوابه على اضمار أن ومثاله : لعلي أحج فأزورك (٢). ولكن ما المستحيل في هذا المثال أو الممكن الذي لا طماعية في وقوعه؟

والترجي عنده هو ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله، ولهذا لا يقال : لعل الشمس تغرب. ويدخل في الارتقاب الطمع بوقوع أمر محبب كقولك : لعلك تعطينا، ويدخل فيه الاشفاق من وقوع المكروه ومثاله : لعلي أموت الساعة (٣).

وغرض امرىء القيس من قوله :

ألا أيها الليل الطويل انجلي

بصبح وما الا صباح منك بأمثل (٤)

ليس طلب انجلاء الليل؛ لأنه لا يقدر على ذلك، لكنه يتمنّى ذلك تخلصا لما عاناه من ألم واشتياق واستطالة تلك الليلة، فكأنه لا يترقب انجلاءها، وليس له طماعية في ذلك، ولا توقع ؛ فلهذا يحمل على التمني دون الترجي (٥).

ومن الأبيات الشعرية التي توقّف التفتازاني عندها ليظهر مواطن الجمال فيها قول الشاعر :

---

(١) الأعراف، الآية ٥٣ .

(٢) المطول، ٢٢٦ .

(٣) السابق، ٢٢٦ .

(٤) ديوان امرىء القيس، ١٧ .

(٥) المطول، ٢٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسكان نعمان الأراك تيقنوا

بأنكم في ربع قلبي سكانا (١)

ففرضه التنبيه على أنّ المنادى وإن كان بعيدا إلاّ أنه حاضر في القلب ولا يغيب عنه أصلا (٢).

بينما كان غرض الشاعر من استخدام النداء في قوله :

فيا قبر معن كيف واريت جوده

وقد كان منه البر والبحر قديما (٣)

التحسّر والتوجع (٤)، فيكون النداء هنا قد استعمل في غير معناه.

وقد يكون النداء للتضجر كما في نداء الأطلال والمنازل، ومثاله :

* أيا منازل سلمى أين سلماك * .

وعندما تحدّث التفتازاني عن علاقات المجاز المرسل اشترط في الجزء المطلق على الكل أن يكون له مزيد اختصاص بالمعنى الذي قصد بالكل، ومثاله : اطلاق العين على الربيئة، ولا يجوز اطلاق اليد أو الإصبع على الربيئة ، وإن كان كل منهما جزءا منه(٥). وهذا صحيح ، لأنّ العين من أهم الأجزاء ، وأخطرها شأنا لمن أراد مراقبة الأعداء.

ثم بيّن أنّ الغرض من تسمية الشيء باسم كله كالأصابع في الأنامل* للمبالغة ، فكأنه جعل جميع الأصابع في الأذن لئلا يسمع

---

(١) المطول، ٢٤٤ .

(٢) السابق، ٢٤٤ .

(٣) شرح ديوان الحماسة، ٢ / ٩٣٦ .

(٤) المطول، ٢٤٥ .

(٥) السابق، ٣٥٥ - ٣٥٦ .

* اشارة إلى قوله تعالى : "ويجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت" البقرة ، الآية ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شيئا من الصاعقة (١).

وليته حدّثنا عن باقي علاقات المجاز المرسل بالأسلوب نفسه ، لأنّ مثل هذا التحليل هو الذي يكسب الذوق ويساعد في تنميته وليس مجرد ذكر الأمثلة دون تحليل لها . كما أنّ باقي علاقات المجاز المرسل لا تخلو من لفتات بلاغية .

وفيما يتعلق بالمحسنات البديعية فهو يرى - وإن كان مسبوقا في هذا الرأي - أنّ أصل الحسن في جميع ما ذكر من المحسنات اللفظية ، أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني دون العكس . كأن يؤتى بألفاظ متكلفة مصنوعة فيتبعها المعنى كيفما كانت ، كما فعل ذلك بعض المتأخرين الذين لهم شغف بإيراد المحسنات اللفظية فيجعلون الكلام كأنه مسوق لإفادة المعنى فلا يبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعنى فيصير كظاهر مموّه على باطن مشوّه ، وكغمد من ذهب على سيف من خشب . والوجه أن تترك المعاني على سجيتها فتطلب لأنفسها ألفاظا تليق بها ، وبهذا يتميّز البليغ عن غيره (٢).

وليت الأمر وقف عند حدّ الإكثار من الألوان البديعية ، بل تعدّاه إلى كثرة التقسيمات والتفريعات داخل كل لون من هذه الألوان البديعية ، وهذا يذكّرنا بتحذير ابن المعتز من خطورة الإكثار من هذه الألوان ، ويوصي بحسن الاستخدام لمثل هذه الفنون .

ومن الألوان البديعية التي توقّف عندها ، بيانه أنّ مراعاة النظير يسميها بعضهم تشابه الأطراف . وهو " أن تختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى "(٣). وهذا التناسب قد يكون ظاهرا ، وقد يكون خفيّا كما في قوله تعالى : " إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن

---

(١) المطول ، ٣٥٦ .

(٢) السابق ، ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٣) السابق ، ٤٢٠ والتلخيص ، ٣٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم "(١) فإنّ قوله تعالى إن تغفر لهم يوهم إلى الفاصلة الغفور الرحيم ، لكن يتضح بعد التأمل في الآية السابقة أنّ الواجب هو العزيز الحكيم ، لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب ، ثم وجب أن يوصف بالحكيم على سبيل الاحتراس ، لئلا يتوهّم أنه خارج عن الحكمة إذ الحكيم من يضع الشيء في محله ، أي إن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا اعتراض لأحد في ذلك (٢).

وعدّ ما ورد في قول الشاعر في وصف سحابا :

تَسَرْبَلَ وَشْيا من خُزُوز تطرزت

مطارفها طرزا من البرق كالتِبْر

فوشي بلا رَقْم ونقش بلا يد

ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

من مراعاة النظير ، لكونه جمعا بين أمور متناسبة (٣).

وألحق بمراعاة النظير ايهام التناسب وهو :" الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين لهما معنيان متناسبان ، وإن لم يكونا مقصودين هنا "(٤) كما في قول الشاعر :

وحرف كنون تحت راء ولم يكن

كدال يؤم الرسم غيّره النقط(٥)

فالحرف الناقة المهزولة وهي معطوفة على كلمة الرهط الواردة في البيت السابق :

تجل عن الرهط الأمائي غادة

لها من عقيل في ممالكها رهط

---

(١) المائدة ، الآية ١١٨ .

(٢) المطول ، ٤٢٠ - ٤٢١ .

(٣) السابق ، ٤٢١ - ٤٢٢ .

(٤) السابق ، ٤٢١ .

(٥) ديوان سقط الزند ، ١٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنون أحد الحروف الهجائية، وشبّه به الناقة في الدقة والانحناء وليس المراد بها الحوت كما توهّم بعضهم (١)، ثم قام بشرح البيت .

وعلّل اعتبار ما بني على الشك من الملحق بحسن التعليل ، ولم يجعل منه ، لأنّ في حسن التعليل ادعاء واصرارا ، والشك ينافي ذلك(٢)، ومثاله قول أبي تمام :

كأن السحاب الغُر غَيَّبن تحتها

حبيبا فما ترقا لهن مدامع (٣)

وبيّن أنّ الضمير في كلمة (تحتها) عائد على كلمة (الربا) الواردة في البيت السابق وهو :

ربا شفعت ريح الصبا لرياضها

الى المزن حتى جادها وهو هامع

فقد علّل أبو تمام على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيّبت حبيبا تحت تلك الربا فهي تبكي عليه .

وتطرّق التفتازاني إلى تسمية تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وفضّل أن نسميه تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه ، لأنّ التسمية المشهورة هي على الأعم الأغلب ، وإلاّ فقد يكون ذلك في غير المدح والذم(٤) ، كما في قوله تعالى : " ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلاّ ما قد سلف "(٥) يعني إن أمكن لكم أن تنكحوا ما قد سلف . فانكحوه فلا يحل لكم غيره، وهذا غير ممكن، والغرض المبالغة في تحريمه (٦). فهو لم يكتف برفض التسمية المشهورة ، وإنما علل

---

(١) المطول ، ٤٢١ .

(٢) السابق ، ٤٣٨ .

(٣) ديوان ابي تمام ، ٤/٥٨٠ .

(٤) المطول ، ٤٣٨ - ٤٣٩ .

(٥) النساء ، الآية ٢٢ .

(٦) المطول ، ٤٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رفضه لها ، ومثّل بنص قرآني ، ليكون دليلا على صحة ما ذهب إليه .

وبيّن أنّ تجاهل العارف قد يكون للتدلّه في الحب . كما في قول الحسين بن عبدالله* :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا

ليلاي منكن أم ليلى من البشر(١)

ففي اضافة ليلى إلى نفسه أو لا ،والتصريح باسمها الظاهر ثانيا تلذذ وهذا نموذج من نكت التجاهل ، وهذه النكت أكثر من أن يضبطها القلم(٢) .ومن هذا القبيل خطاب الأطلال والرسوم والمنازل والاستفهام عنها كقوله :

أمنزلتي مي سلام عليكما

هل الأزمن اللاتي مضين رواجع

وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى

ثلاث الأثافي والديار البلاقع(٣)

وقد يكون تجاهل العارف للتحقير ومثاله قوله تعالى حكاية عن الكفار:"هل ندلّكم على رجل ينبّئكم إذا مُزِّقْتُم كل مُمَزَّق أنكم لفي خلق جديد " (٤) ويعنون محمدا عليه السلام كأنهم لم يكونوا يعرفون منه إلاّ أنه عندهم رجلا ما ، وهو عندهم أظهر من الشمس (٥).

وقد يكون للتعريض كما في قوله تعالى:" وإنّا أو إيّاكم لعلى

(*) وفي معاهد التنصيص اختلف في نسبته فنسب للمجنون ولذي الرمّة وللعرهي وللحسين بن عبدالله الغزي،والأكثرون على أنه للعرجي.

(١) المطول ، ٤٤٣ .

(٢) المختصر ، ٣٣٢/٢ .

(٣) المطول ، ٤٤٤ .

(٤) سبأ ، الآية ٧ .

(٥) المطول ، ٤٤٢ .

(٦) سبأ ، الآية ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هدى أو في ضلال مبين"(٦)،وما عرضناه سابقا يبيّن أنه قد أحسن عرض تجاهل العارف .

ومما يحمد له أنه نجح في حل الاشكال في عدد من القضايا البلاغية التي كانت موضع نقاش بين البلاغيين منها : نجاحه في حل الاشكال الوارد حول حرف العطف " أم " الوارد في قوله تعالى : "أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون"(١) فأم هنا بمعنى " بل " التي تكون للانتقال من كلام إلى آخر من غير اعتبار استفهام (٢) . كما في قوله تعالى : " أم أنا خير من هذا الذي هو مهين " (٣) ويرفض ما قيل حول هذه الآية من تفسيرات أخرى لا يراها مقبولة .

ونجح أيضا في حل الاشكال الذي يرد على وقوع المفعول المطلق بعد إلاّ كما في قوله تعالى : " إن نظن إلاّ ظنا " (٣). فتنكير المسند اليه هنا للتحقير ، ويكون المعنى نظن ظنا حقيرا ضعيفا ، فالمفعول المطلق للنوعية وليس للتأكيد (٥) ، كما ادّعى بعضهم.

وعلّل اجتماع " كلهم وأجمعون " في قوله تعالى : " فسجد الملائكة كلهم أجمعون " (٦) للدلالة على كثرة الملائكة واستبعاد سجودهم جميعهم مع تفرقهم ، واشتغال كل منهم بشأن ، وبهذا يزداد التعيير والتقريع على ابليس (٧).

ويثني على البلاغيين الذين عدّوا ما ورد في قوله تعالى :

---

(١) النحل ، الآية ٨٤ .

(٢) المطول ، ٢٣٥ .

(٣) الزخرف ، الآية ٥٢ .

(٤) الجاثية ، الآية ٣٢ .

(٥) المطول ، ٩٠ .

(٦) الحجر ، الآية ٣٠ .

(٧) المطول ، ٩٥ - ٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"مثلهم كمثل الذي استوقد نارا" (١)، وقول الشاعر :

كأنما المريخ والمشتري

قدامه في شامخ الرفعة

منصرف بالليل من دعوة

قد أُسرجت قدامه شمعة (٢)

من التشبيهات المركبة ، لأنّ هذا هو "القول الفحل والمذهب الجزل ، أمّا إذا جعل من التشبيهات المفردة فلا يخلو من تكلف (٣)."

وعدّ ما ورد في قول امرىء القيس :

فقلت لمّا تمطّى بصُلبه

وأردف اعجازا ونآء بكَلْكَل(٤)

من الاستعارة بالكناية ؛ لأنه لمّا أراد وصف الليل بالطول استعار له صلبا يتمطّى به ، ثم بالغ فجعل له اعجازا يردف بعضها بعضا ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره فاستعار له كلكلا ينوء به(٥).

وفسّر الاستعارة الواردة في قوله تعالى : " وضربت عليهم الذلة " (٦) تفسيرين . الأول : أن تكون استعارة تبعية تصريحية ، ويكون المستعار منه حسي وهو ضرب القبة على الشخص أو ضرب الطين على الحائط . والمستعار له عقلي وهو تثبيت الذلة والصاقها بهم . والجامع عقلي وهو الإحاطة أو اللزوم بالقبة. ويحتمل أن يشبه الذلة بالقبة أو الطين، وتكون القرينة اسناد الضرب المعدى بعلى

---

(١) البقره ، الآية ١٧ .

(٢) المطول ، ٣٣٦

(٣) السابق ، ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٤) ديوان امرىء القيس ، ١٨ .

(٥) المطول ، ٣٦٨ .

(٦) البقرة ، الآية ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليها، فتكون استعارة بالكناية (١).

وعدّ التفتازاني ما ورد في قوله تعالى : " فأذاقها الله لباس الجوع والخوف "(٢) استعارة مجردة ، ولكن لمّا كانت الاستعارة المرشحة أبلغ الاستعارات ، وجد التفتازاني مخرجا بأن قال :" لم يقل فكساها ، لأنّ الترشيح وإن كان أبلغ ، لكن الادراك بالذوق يستلزم الادراك باللمس من غير عكس ، فكأن في الإذاقة اشعارا بشدة الإصابة ، بخلاف الكسوة ، ولم يقل طعم الجوع، لأنه وإن ناسب الإذاقة فهو مفوّت لما يفيده لفظ اللباس ، من بيان أنّ الجوع والخوف عمّ أثرهما جميع البدن عموم الملابس(٣)".

وما عرضناه سابقا هو نماذج لآراء توصّل إليها التفتازاني بعد تأمله فيما قاله البلاغيون . ومن أراد الاستزادة فعليه العودة الى " المطول " (٤).

---

(١) المطول ، ٣٧١ .

(٢) النحل ، الآية ١١٢ .

(٣) المطول ، ٣٧٧ - ٣٧٨ .

(٤) ينظر ، ٧٣ ، ٧٥ ، ١٢٨ ، ١٩٩ ، ٢٥٦ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩ ، ٣٧٩ ، ٤٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اضافات التفتازاني :

وفيما يلي عرض لنماذج من الإضافات التي ظفرنا بها خلال مطالعتنا " للمطول " ، وهي اضافات لم ترد عند السكاكي والقزويني.

قال التفتازاني قد يحذف المفعول للبيان بعد الإبهام كما في قوله تعالى : " وأمرنا مترفيها ففسقوا فيها " (١) أي أمرناهم بالفسق ، وهو مجاز عن تمكينهم واقدارهم (٢). وقال أيضا : قد يحذف المفعول لنكتة كاخفائه أو التمكّن من انكاره إن مسّت الحاجة إليه أو لتعيّنه أو ادعاء تعيّنه ، فالحذف في قوله تعالى : " لينذر بأسا شديدا " (٣) حذف المفعول لتعيّنه ، ولأنّ الغرض هو ذكر المنذر به ، والتقدير لينذر الذين كفروا (٤).

وعند حديثه عن خروج الكلام على مقتضى الظاهر ، أضاف الآيات التالية : قوله تعالى : " وما أُبَرِّئ نفسي إنّ النفس لأمّارة بالسوء " (٥) وقوله تعالى : " وصلِّ لهم إنّ صلاتك سَكَنٌ لهم " (٦) وقوله تعالى : " يا أيها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم " (٧). كأمثلة على جعل غير السائل كالسائل إذا قدّم إليه ما يلوح له بالخبر . ثم قال وغير ذلك مما يأتي بعد الأوامر والنواهي وهو كثير في التنزيل (٨).

---

(١) الإسراء ، الآية ١٦ .

(٢) المطول ، ١٩٤ .

(٣) الكهف ، الآية ٢ .

(٤) المطول ، ١٩٧ - ١٩٨ .

(٥) يوسف ، الآية ٥٣ .

(٦) التوبة ، الآية ١٠٣ .

(٧) الحج ، الآية ١ .

(٨) المطول ، ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثل بقوله تعالى : " ثم إنكم بعد ذلك لميتون " (١) لجعل غير المنكر كالمنكر إذا لاح عليه شيء من امارات الإنكار ، فقد جاء الحكم في الآية السابقة مؤكدا بإنّ واللام مع أنه مما لا ينكر ، ولكن تماديهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده ، من امارات الإنكار (٢).

بيّن التفتازاني أنّ حذف المسند إليه قد يكون للإشعار بأنه بلغ من الفخامة مبلغا لا يمكن ذكره ، ومثاله قوله تعالى : " إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " (٣) أي الملّة التي أو الطريقة، ففي الحذف فخامة لا توجد في الذكر (٤). وقد يحذف المسند إليه لأنه بلغ من الفظاعة بحيث لا يستطيع المتكلم لفظه أو اجراءه على لسانه ، أو السامع على استماعه ومثاله : إذا قلت : كيف فلان ؟ سائلا عن الواقع في مصيبة يقال : لا تسأل عنه (٥).

وعند حديثه عن التعريف بالاسم الموصول ، بيّن أنه قد يكون للتهكم ومثاله قوله تعالى : " يا أيها الذي نُزّل عليه الذكر إنك لمجنون " (٦) وقد يجعل الاسم الموصول ذريعة للإهانة والتقليل من شأن الخبر كما في قولنا : إنّ الذي لا يعرف الفقه قد صنّف فيه(٧). وقد يقصد بالاسم الموصول الحث على التعظيم أو التحقير أو الترحم أو نحو ذلك ، كما في قولنا : جاءك الذي أكرمك أو أهانك أو

---

(١) المؤمنون ، الآية ١٥ .

(٢) المطول ، ٥٠ .

(٣) الإسراء ، الآية ٩ .

(٤) المطول ، ٦٩ .

(٥) السابق ، ٦٩ .

(٦) الحجر ، الآية ٦ .

(٧) المطول ، ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي سبي أولاده ونهبت أمواله(١) واختتم اضافاته السابقة بقوله: "ولطائف هذا الباب لا تكاد تضبط (٢)".

ولمّا تحدّث عن التعريف بالإضافة بيّن أنّ التعريف بالإضافة يكون للإغناء عن تفصيل متعذّر نحو : اتفق أهل الحق على كذا. وقد يكون لوجود مانع يمنع من التفصيل ، كتقديم بعض على بعض من غير مرجّح ، ومثاله : حضر اليوم علماء البلد . أو للتصريح بذمهم واهانتهم نحو : علماء البلد فعلوا كذا(٣). أو لتضمّن الإضافة تحريض على اكرام أو اذلال أو نحوهما ، ومنه قوله تعالى : " ولا تضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده " (٤) فإنه لما نهيت المرأة عن المضارة أُضيف الولد اليها استعطافا لها عليه وكذا الوالد (٥). أو لتضمّن الإضافة استهزاء وتهكّما نحو : " إنّ الذي أُرسل اليكم لمجنون " (٦).

ومن اضافاته في تنكير المسند إليه :

قوله : قد ينكّر المسند اليه لعدم علم المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقة أو تجاهلا ، أو لوجود مانع يمنع من التعريف ، كما في قول الشاعر :

إذا سُمتْ مهنّده يميـــــنٌ

لطول الحمل بدله شمالا (٧)

فلم يقل بيمينه احترازا عن التصريح بنسبة السآمة إلى يمين

---

(١) المطول ، ٧٧ .

(٢) السابق ، ٧٧ .

(٣) السابق ، ٨٨ .

(٤) البقرة ، الآية ٢٣٣ .

(٥) المطول ، ٨٨ .

(٦) الشعراء ، الآية ٢٧ .

(٧) المطول ، ٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الممدوح (١) .

وذكر النصوص التالية كأمثلة لتنكير غير المسند إليه :

فقد ينكّر لعدم التعيّن كقوله تعالى " واطرحوه أرضا " (٢) أي أرض نكرة مجهولة بعيدة عن العمران . أو للتقليل كما في قول الشاعر:

فيوما بخيل تطرد الروم عنهم

ويوما بجود تطرد الفقر والجدبا(٣)

أي بعدد قليل من خيولك وفرسانك ، وشيء يسير من فيض جودك وعطائك(٤) .

وبيّن أنّ المسند إليه قد يقدّم لاظهار تعظيمه نحو : رجل فاضل في الدار ، وعليه قوله تعالى : " وأجل مسمّى عنده " (٥) أو لتحقير المسند إليه . نحو رجل جاهل في الدار (٦).

وأضاف عددا من الآيات كأمثلة لخروج الاستفهام عن معناه الحقيقي منها : قوله تعالى : " حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله "(٧). فالاستفهام للاستبطاء ، وقوله تعالى : " مالي لا أرى الهدهد "(٨) للتعجّب ، وقوله تعالى : " فأين تذهبون "(٩) للتنبيه على الضلال . وقد يكون للوعيد كما في قولنا لمن يسيء

---

(١) المطول ، ٨٩ .

(٢) يوسف ، الآية ٩ .

(٣) المطول ، ٩٠ .

(٤) السابق ، ٩٠ .

(٥) الأنعام ، الآية ٢ .

(٦) المطول ، ٩٠ .

(٧) البقره ، الآية ٢١٤ .

(٨) النمل ، الآية ٢٠ .

(٩) التكوير ، الآية ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأدب : ألم أؤدّب فلانا (١).

وأضاف البيتين التاليين وهما من نظمه :

طويت باحراز الفنون ونيلها

رداء شبابي والجنون فنون

فحين تعاطيت الفنون وحظها

تبين لي أن الفنون جنون (٢)

مثالا للعكس ، عندما يقع بين لفظين في طرفي الجملة (٣).

ومما سبق ذكره يتضح لنا ما يلي :

إنّ اضافات التفتازاني لم تكن في الكليات وإنما كانت في الجزيئات فهي اضافات ضمن الإطار الذي رسمه السكاكي والقزويني من بعده.

والتفتازاني في اضافاته كان يستند إلى النصوص المتنوعة ، فيبدأ بالآية الكريمة ثم الحديث النبوي الشريف وبعد ذلك بيت من الشعر ، وإن لم يظفر بالنصوص المناسبة يلجأ إلى المثال المصنوع، ولكن يلحظ على بعض أمثلته المصنوعة أنها تخلو من الجمال ، ومتكلفة ، لأنّ همّه الأول ذكر مثال تنطبق عليه القاعدة.

وهو لم يكن يكتف بمجرد ايراد النصوص ، بل كان يقوم بتوضيح ما فيها من مواقف بلاغية ، ثم يوضّح هدفه من الاستشهاد بها.

وفي ذكر هذه الإضافات رد على من يقول : إنّ أصحاب المدرسة الكلامية لا يهتمون بالنصوص ، وإنما يكتفون بأقلها. وما عرضناه سابقا هو نماذج فقط من اضافات التفتازاني وليس استقصاء كل ما ورد في " المطول " *.

---

(١) المطول ، ٢٣٥ .

(٢) السابق ، ٤٢٤ .

(٣) السابق ، ٤٢٤ .

* ينظر ، ٦٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ١٠١ ، ١٣٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٩٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثر التفتازاني في البلاغيين اللاحقين له

أثار التفتازاني حركة قوية في التأليف في البيئة الفارسية والبيئة العربية على حد سواء، ويتضح ذلك من كثرة الحواشي التي وضعت على كتابيه ، ومن أوائل الذين اهتموا به علي بن محمد بن علي السيد أبو الحسن الحسيني الجرجاني الاسترابادي الشهير بالسيد الشريف (- ٨١٦ هـ) ، وهو أحد معاصريه ، وكانت تجري بينهما مناظرات كثيرة ، منها بحث اجتماع الاستعارة التبعية والاستعارة التخييليه في كلام الزمخشري الوارد في تفسير قوله تعالى : "اولئك على هدى من ربهم"(١). وانتهت المناظرة بانتصار الشريف ، لأن من تولى الفصل بينهما وهو نعمان الدين الخوارزمي المعتزلي رجّح رأي الشريف (٢) ، وجمع الشريف اعتراضاته وردوده في حاشيته التي وضعها على " المطول ".

ولعز الدين بن جماعة وحده (- ٨١٩ هـ) ثلاث حواش على "المطول" وحاشية على " المختصر "(٣).

وألّف إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الإسفراييني (-٩٥١ هـ) كتابا سمّاه " الأطول " ناقش فيه التفتازاني في كثير من آرائه .

وبقي تأثير التفتازاني واضحا حتى في عصور متأخرة ، حيث وضع الدسوقي (-١٢٣٠ هـ) حاشية على " المختصر " ، وهي من أحسن الحواشي وأروعها (٤)، وقام محمد بن محمد الأنبابي شيخ الجامع الأزهر

---

(١) البقرة ، الآية ٥ .

(٢) القزويني وشروح التخليص ، ٥٨١ وينظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لإبن العماد الحنبلي، دار الميسرة، ط ٢ ، ١٩٧٩م، ٦/٣٢١ .

(٣) مناهج التجديد ، ٢٤٢ .

(٤) القزويني وشروح التلخيص ، ١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(-١٣١٢ هـ) بوضع تقرير على " المختصر " ، وله أيضا تقرير على "المطول" ، وهناك تقرير على " المطول " لعبد الرحمن الشربيني (-١٣٢٠ هـ) شيخ الجامع الأزهر (١).

وبقي أثره في العصر الحديث حيث كانت كتب التفتازاني تدرّس في الأزهر ، إلى أن جاء محمد عبده ورشيد رضا ، فأعادا الى كتب عبدالقاهر - كما يقول أمين الخولي - البريق وما تستحقه من البحث والدراسة فاستبعد الأزهريون كتب التفتازاني .

ومما يؤكد أهمية " المطول " و " المختصر " لدارسي البلاغة أنّ الدكتور عبدالمنعم خفاجي شارح ومنقّح " الإيضاح " قد اعتمد على كثير من الآراء التي ذكرها التفتازاني ، ليوضّح القضايا البلاغية الواردة في " الإيضاح " . ولكن مما يؤخذ على الدكتور خفاجي في هذا المجال أنه أحيانا كان يتبنّى ما يقوله التفتازاني دون أن يصرّح باسمه (٢).

ومن الحواشي التي وضعت على " المطول " و " المختصر "(٣).

حاشية الشيخ يحيى بن سيف السيرامي المصري الحنفي (-٨٣٣ هـ).

حاشية شمس الدين محمد بن أحمد البسطامي (-٨٤٢ هـ).

حاشية المولى أحمد بن عبدالله القريحي (-٨٦٢ هـ).

حاشية حاشية علاء الدين علي بن محمد الشاهرودي البسطامي (-٨٧١ هـ).

---

(١) القزويني وشروح التلخيص ، ١٧٧ .

(٢) هامش الإيضاح ، ٩/٣ ، ١٠ ، ١٢ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٣٣ و ١١٩/٥ ١٣١ ، ١٤١ ، ١٤٢ .

(٣) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد بن فضل الله المحبي، مكتبة خياط - بيروت ، ٣٣١/١ - ٣٤٣ و ٣١٨/٢ - ٣١٩ . وكشف الظنون ، ٤٧٤/١ - ٤٧٦ والإيضاح ، ١٦٢/٦ والقزويني وشروح التلخيص ، ١٧٥ - ١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاشية محمد بن حراموز الشهير بملا خسرو (-٨٨٥ هـ).

حاشية حن بن محمد شاه الفناري (-٨٨٦ هـ).

حاشية المولى حسن بن عبدالصمد السامسوني (-٨٩١ هـ).

حاشية نظام الدين بن عثمان الخطابي (-٩٠١ هـ).

حاشية شيخ الإسلام في مدينة هراة أحمد بن يحيى الجغميد (-٩٠٦ هـ).

حاشية مصلح الدين محمد اللاري (-٩٧٩ هـ).

حاشية ميرزا جان حبيب الله الشيرازي (-٩٩٤ هـ).

حاشية عبدالحكيم بن شمس الدين السيالكوتي (-١٠٦٧هـ)

ومن الحواشي على " المختصر ":

حاشية المولى محمد بن الخطيب الشهير بزاده الرومي (-٩٠١ هـ).

حاشية شهاب الدين أحمد بن قاسم العبادي الأزهري (-٩٩٤ هـ).

حاشية الصفوي القلعاوي (-١٠٢٥هـ).

حاشية ياسين العليمي (-١٠٦١هـ).

حاشية الخفاجي (-١٠٦٩هـ).

حاشية الحنفي (-١١٨١هـ).

حاشية العلامة البناني من علماء القرن الثالث عشر.

إنّ نظرة على السنين التي وضعت فيها تلك الحواشي ، تظهر أنه شغل الدارسين فترة طويلة من الزمن ، ولكننا لم نقف على هذه الحواشي ، لأنّ معظمها مخطوطات لم تتوافر لدينا ، ولم نستطع الحصول عليها ولكننا عثرنا على أسمائها من الكتب التي تولت الترجمة للقزويني والتفتازاني وللأعلام الذين تولّوا شرح أو اختصار " التلخيص " و " المطول " ومن الكتب التي تولّت الحديث عن المدرسة الكلامية في البلاغة .

وسنقتصر في هذا الفصل على بيان أثر التفتازاني في ثلاثة علماء ، يمثّلون ثلاثة عصور مختلفة ، وهم جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي (- ٩١١ هـ) صاحب " شرح عقود الجمان في علم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعاني والبيان " وعصام الدين أحمد بن مصطفى الشهير بطاشكبري زاده (-٩٦٨ هـ) شارح "الفوائد الغياثية من علمي المعاني والبيان" وابن يعقوب المغربي (-١١١٠ هـ) صاحب " مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ".

أثر التفتازاني في السيوطي :

وميزة السيوطي تكمن في أنه على طرف النقيض من أتباع المدرسة الكلامية . ليس هذا فحسب بل إنه نعى على من يدخل الفلسفة والمنطق في البحث البلاغي ، وحمل عليهم بشدة ، وحمد الله سبحانه وتعالى؛ لأنه نزّه كتابه عن الفلسفة والمنطق . جاء ذلك أثناء تفضيله لرأي عبدالقاهر في تقديم المسند إليه لافادة العموم ، على رأي القزويني ، وعلّل رفضه لرأي القزويني ؛ "لأنا معاشر أهل السنة لا ننجس تصانيفنا بقذر المنطق ، الذي اتّفق أكثر المعتبرين خصوصا المحدّثين والفقهاء من كل المذاهب خصوصا الشافعية ، وأهل المغرب على تحريمه والتغليظ على المشتغلين به واهانتهم وعقوبتهم ، وقد نصّ أئمة الحديث كالسلفي والذهبي على عدم قبول رؤية المشتغلين به (١)".

وعندما اضطر إلى الأخذ بمصطلحات المناطقة وتقسيماتهم اعتذر للقارىء عن ذلك ، وجاء اعتذاره على هيئة سؤال توقّع أن يوجّه إليه وهو :" فإن قلت ما بالك تكلّمت على تقسيم الدلالة ، وذلك من علم المنطق ؟ قلت : ليس منه بل هو أمر لغوي ، وهم يصرّحون بأنه ليس من علمهم ، وأنهم إنما يذكرونه في كتبهم لاحتياجهم إليه(٢)". ولكنه تفسير غير مقنع ، وفيه تكلّف ، لأنه لا ضير في استخدام الفلسفة والمنطق في البحث البلاغي ، بشرط ألا يطغى ذلك على

---

(١) شرح عقود الجمان ، ٢٩

(٢) السابق ، ٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلاغة .

وعندما تحدّث عن الطرد والعكس رفض هذه التسمية ، لأنها من تسميات المناطقة ، فإذا وقع لأرباب الحديث والسنة مثل هذا فإنهم يتحاشون عن التعبير عنها باصطلاح المناطقة ، وقد وسّع الله لهم في العبارة (١).

ولكن موقف السيوطي من استخدام الفلسفة والمنطق في البحث البلاغي ، لم يمنعه من الاستفادة بما ورد في كتب أتباع المدرسة الكلامية ، فهو لم يخرج عن التقسيمات الأساسية التي وضعتها هذه المدرسة ، وطريقته لا تختلف عما وجدناه عند التفتازاني ، فهو يذكر القضية البلاغية ثم يوضّحها ويمثّل لها بالنص المناسب ، مكثرا من الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، متجنّبا المناقشات والخوض في التفاصيل ، وتشعّب الآراء أو محاولة التوفيق بينها .

وكان للتفتازاني أثر واضح في " شرح عقود الجمان " يتضح فيما يلي : وافق السيوطي التفتازاني وأتباع المدرسة الكلامية على تقسيم البلاغة إلى علمي المعاني والبيان . أمّا البديع عنده فهو تابع للبلاغة ، فقد قال عنه : وتتبع بلاغة الكلام وجوه أخر سوى المطابقة والفصاحة ، تورث الكلام حسنا ، وهي لا تعدّ محسّنة إلاّ بعد رعاية البلاغة ، ولا يوصف بهذه الوجوه إلاّ الكلام ، ولهذا هي تابعة لبلاغة الكلام دون المتكلّم (٢). وأهم اختلاف بينه وبين التفتازاني في هذا المجال أنه زاد في تقسيمات البديع زيادة مفرطة.

ولم يختلف موقفه من التشبيه عما فعله التفتازاني ، حيث أخرج من التشبيه - كما فعل التفتازاني والقزويني - الاستعارة

---

(١) شرح عقود الجمان ، ١٣٤ .

(٢) المطول ، ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التحقيقية ، والاستعارة بالكناية والتجريد ، وأدخل فيه التشبيه الذي حذفت منه الأداة أو ما في حكمه كما في قوله تعالى : " صم بكم عمي " (١) ويتفق مع التفتازاني على أنّ ما ورد في الآية السابقة تشبيه لا استعارة ، لأنّ المستعار له مذكور تقديرا وهم المنافقون . ووافق على أنّ مثل قولنا : زيد أسد من باب التشبيه ، والتعليل الذي ارتضاه لذلك هو قول التفتازاني :" تطلق الاستعارة حيث يطوى ذكر المستعار له ، ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا؛ لأن يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام (٢). وهذا رأي الزمخشري إلا أن التفتازاني لم يصرح بنقله عنه .

ووافق التفتازاني في اعتراضه على قول القزويني : إنّ أغراض التشبيه الأربعة تقتضي أن يكون وجه التشبيه في المشبّه به أتم ، وأن يكون المشبه به بوجه الشبه أشهر وأعرف (٣). وهذا الكلام على اطلاقه غير دقيق؛ لأنّ بيان الإمكان والحال لا يقتضيان الأشهرية؛ وليصح القياس ويتم الاجتماع في الأول ، ويعلم الحال في الثاني ، وكذا بيان المقدار لا يقتضي الأتميّة بل ينبغي أن يكون المشبه به على حد مقدار المشبه لا أزيد ولا أنقص لتعيّن مقدار المشبه على ما هو عليه . وأما تقرير الحال فيقتضي الأمرين جميعا ؛ لأنّ النفس إلى الأتم و الأشهر أميل فالتشبه به لزيادة التقرير والتقوية أجدر (٤). وهذا ما نقله السيوطي عن " المطول " وبعد العودة الى " المطول " تبيّن أنّ أسلوب التفتازاني كان أوضح من عبارات السيوطي ، ومؤدّيا الغرض بأقصر العبارات .

---

(١) البقرة ، الآية ١٨ .

(٢) شرح عقود الجمان ، ٧٨ والمطول ، ٣١٠ - ٣١١ .

(٣) التلخيص ، ٢٦٤ .

(٤) شرح عقود الجمان ، ٨٥ والسابق ، ٣٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن السيوطي أيّد التفتازاني في انتقاده لقول القزويني : "وقد يذكر فعل ينبيء عن التشبيه كما في : علمت زيدا أسدا ، إن قرب . وحسبت زيدا أسدا إن بعد (٢)".

واعتراض التفتازاني أن لا دلالة للفعل علم وحسب على التشبيه، والذي يدل على التشبيه علمنا بأنّ أسدا لا يمكن حمله على زيد تحقيقا، وانما يكون على تقدير أداة التشبيه ، سواء ذكر الفعل أو لم يذكر كما في قولنا : زيد أسد (٣) . ولو قال القزويني إنّ هذين الفعلين ينبئان عن حال التشبيه من القرب والبعد لكان أصوب (٤).

ولكن السيوطي ذكر الاعتراض السابق بصيغة المبني للمجهول ، ولم يشر الى أن التفتازاني هو القائل .

وبيّن السيوطي أنّ في قوله تعالى : " ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله " (٥) مساواة وليس كما قيل إنّ فيه ايجازا مستدلا بما قاله التفتازاني . كما رد على من يقول بأن في قوله تعالى : " وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا " (٦) حذفا للموصوف " الذين " مجيبا بما ذكره التفتازاني (٧).

وفضّل السيوطي تمثيل التفتازاني بقولنا لمنكر الإسلام: الإسلام حق ، بلا تأكيد ، لأنّ مع المنكر دلائل دالة على حقيقة الإسلام . فضّله على تمثيل القزويني بقوله تعالى : " لا ريب فيه"(٧) ، لأنّ ما ورد في الآية فيه تنظير للمسألة بتنزيل وجود

---

(١) التلخيص، ٢٦٣ .

(٢) شرح عقود الجمان، ٨٤ والمطول، ٣٣٠ .

(٣) المطول، ٣٣٠ .

(٤) فاطر، الآية، ٤٣ .

(٥) الأنعام، الآية، ٦٨ .

(٦) المطول، ٢٨٦ وشرح عقود الجمان، ٦٨ .

(٧) البقرة ، الآية ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيء منزلة عدمه بناء على وجود ما يزيله ، فإنّه نزّل ريب المرتابين منزلة عدمه تعويلا على ما يزيله حتى صحّ نفي الريب على سبيل الاستغراق ، كما نزّل الانكار منزلة عدمه ولهذا صحّ ترك التأكيد (١).

وتبنّى السيوطي تعريف التفتازاني للحقيقة (٢)، وللاستعارة (٣) ، وتعليله لامتناع مجيء الاستعارة علما (٤) ، وكذا تقسيمه للاستعارة باعتبار الجامع الى قسمين :

الأول : ما يدخل في مفهوم الطرفين ومثّل له بقوله عليه السلام: " خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متن فرسه فالتمس القتل أو الموت ".*

والثاني : وهو غير داخل في مفهوم الطرفين كما في استعارة الأسد للرجل الشجاع، لأنّ الشجاعة عارض للأسد وليست داخلة في مفهومه، وهو بذلك يتّفق مع التفتازاني خلافا لعبد القاهر الذي يراه داخلا في مفهوم الطرفين(٥).

كما أنّ السيوطي نقل ما ذكره التفتازاني حول الحذف الوارد في قوله تعالى : " فصبر جميل " (٦) فهو يحتمل أن يكون من حذف المسند

---

(١) شرح عقود الجمان ، ١٢ والمطول ، ٥٠ .

(٢) السابق ، ٩١ والسابق ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٣) السابق ، ٩٣ و السابق ، ٣٥٧ .

(٤) السابق ، ٩٣-٩٤ و السابق ، ٣٦٣ .

* هذا نص الحديث كما ورد عند السيوطي ، وورد عند التفتازاني بنص آخر . وبعد العودة الى كتب الحديث النبوي الشريف تبيّن أنّ له رواية أخرى وردت في صحيح مسلم.

(٥) شرح عقود الجمان ، ٩٤ وينظر ٧٤ - ٧٦ هذه الدراسة .

(٦) يوسف ، الآية ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليه أي أمري صبر جميل ، وأن يكون من حذف المسند أي فصبر جميل أصبر ، وبيّن أنّ في الحذف هنا تكثيرا للفائدة لإمكان حمل الكلام على كل من المعنيين بخلاف ما لو ذكر فإنه يكون نصا في أحدهما (١). وامتاز التفتازاني عن السيوطي هنا بنقاشه لعدد من الآراء التي قيلت حول الحذف الوارد في الآية السابقة .

وأضاف السيوطي قوله تعالى : " قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا " الى قوله تعالى : " فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته " (٢)، كمثال لوضع الظاهر موضع المضمر . وقال السيوطي بأنّ اضافة الآية من زيادته (٣)، وهذا غير صحيح ؛ لأنّ التفتازاني ذكر الآية نفسها ، وقام ببيان مواطن الجمال فيها (٤).

أثر التفتازاني في طاشكبري زادة :

ومن البلاغيين الذين تأثروا بالتفتازاني ، أحمد بن مصطفى الشهير بطاشكبري زادة (-٩٦٨ هـ) من خلال شرحه"الفوائد الغياثية في علمي المعاني والبيان"للقاضي عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي (-٧٥٦ هـ) وسمّاه الفوائد الغياثية نسبة الى الوزير غياث الدين.

ويتضح تأثر طاشكبري زادة بمنهج التفتازاني وسيره على خطاه في المواقف التالية :-

اهتمامه بالتعليل فقد علّل تقديم بحث الإسناد على طرفيه (المسند والمسند اليه) مع تأخره عنهما في الوجود ، إمّا لشرف مباحثه . أو لتقدمه عليهما لكون البحث عنهما من حيث قيام الإسناد

---

(١) شرح عقود الجمان ، ٣١ والمطول ، ١٤٢ .

(٢) الأعراف ، الآية ١٥٨ .

(٣) شرح عقود الجمان ، ٣٨ .

(٤) المطول ، ١٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بهما (١).

وإذا شعر أنه قد ابتعد عن البلاغة أثناء حديثه عن قضية ما ، كان يعتذر للقارىء عن ذلك . ومن أمثلة ذلك قوله : " وإنما أطنبنا في الكلام بحيث أورث الإسهاب ، مع أنّ تصحيح عبارة السكاكي خارج عن شرط هذا الكتاب ، لأنّ هذا المقام من محار الأفهام ومزال الأقدام(٢) " وقوله : " ولعمري لقد بعثني الحدب على الطلاب إلى هذا الحد من الإطناب ، والمأمول من أجلّة الأصحاب ترك اللوم والعتاب(٣).

وكان يختتم نقاشه للقضية البلاغية التي هو بصدد الحديث عنها، بعبارات مشابهة لما وجدناه عند التفتازاني منها قوله : " فاحفظ هذا الكلام إذ قد اشتبه الحق على أقوام "(٤) وقوله : " فاحفظ ما ذكرنا من التحقيق فإنه من المهمات " (٥).

والقارىء لمقدمة " شرح الفوائد الغياثية " ، يجد الشكوى المرة من سوء الأحوال التي منعته فترة من الزمن من اتمام ما بدأ به ، ووجدنا هذه الشكوى عند التفتازاني (٦).

والناظر في " شرح الفوائد الغياثية " ، يلمس بوضوح مدى اعجاب طاشكبري زادة بالتفتازاني ، فقد وصفه بعدة صفات منها : العلاّمة، وسعد الملة والدين، وجامع المعاني وسيبويه الثاني، وببعض الفضلاء المحققين. وغير ذلك من أمثال هذه العبارات الواردة في شرحه (٧).

---

(١) شرح الفوائد الغياثية ١٦ ، ٢٧ والمطول ، ٣٣ ، ٤٣ .

(٢) السابق ، ٥١ وينظر ١٠ هذه الدراسة .

(٣) السابق ، ١٦٤ .

(٤) السابق ، ١٢ والمطول ، ٨٧ .

(٥) السابق ، ٢٣ والمختصر، ٢/٨٠ .

(٦) السابق ، ٢ والمطول ، ٤ .

(٧) السابق ، ٢٥ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٢٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورغم التشابه الكبير الذي وجدناه بينهما إلا أنّ هناك اختلافا واضحا في شخصيتهما ، فالتفتازاني يمتاز بتواضعه الذي ظهر أثناء تحقيقه لكثير من القضايا البلاغية ، بينما يمتاز طاشكبري زادة باعجابه بنفسه الى درجة الغرور . ومما يؤيد ذلك قوله : " واعلم أنّ هذا التنبيه أصل عظيم في بحث التعريف باللام، لم يقدر على تلخيصه بهذا الايجاز أحد من العلماء الأعلام ، ومن لم يصدّقني فعليه بتتبع كتب القدماء "(١). وقوله : " فاحفظ هذا التحقيق الوثيق ، والتفصيل الدقيق فإنه موهبة عظيمة من الملك القادر، ومن اهتدى لذلك إمّا مفقود أو نادر ، وقد عجز عن ذلك الأئمة الفواضل ، والفحول البوازل " (٢).

وفيما يتعلق بالهدف من التأليف فكلاهما كان يهدف الى الكشف عن وجوه الاعجاز في القرآن الكريم،بالاضافة إلىالهدف المباشر وهو توضيح ما غمض من الكتابين اللذين تولّيا شرحهما ، والسبيل إلى معرفة الاعجاز هو علم البلاغة وبخاصة المعاني والبيان ، حيث صرّح طاشكبري زادةبأهمية هذين العلمين لمفسّرالقرآن الكريم؛ لأنّ من شرع في تفسيرالقرآن واستخراج لطائفه،ولم يعرف قواعدهما أخطأ غالبا ، وإن أصاب - نادرا - كان مخطئا في اقدامه على تفسيره برأيه (٣).

ومثّل للجمع مع التقسيم بقول المتنبي :

الدهر معتذر والنصر منتظـــــــر

وأرضهم لك مصطاف مرتبع

للسبي ما نكحوا والقتل ماولدوا

والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا(٤)

---

(١) شرح الفوائد الغياثية ، ٧٤ .

(٢) السابق ، ٢٠٩ .

(٣) السابق ، ٨ ، ١٦ .

(٤) ديوان المتنبي ، ٢٢٤/٢ ، ٢٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم بيّن أنّ المشهور في نسخ ديوان المتنبي قبل قوله : للسبي ما نكحوا هو قوله :

حتى أقام على ارباض خرشنة

تشقى بها الروم والصلبان والبيع(١)

وعلى المشهور فالجمع هو شقاء الروم بالممدوح اجمالا ، فإنه يتناول السبي والقتل والنهب والإحراق ، وهذا ما قاله التفتازاني، ونبّه كلاهما إلى أنّ الشاعر عبّر عن الأولاد ب " ما " التي تستعمل لغير العاقل احتقارا لهم أو للتوفيق في العبارة بينهما وبين ما جمعوا وما زرعوا(٢).

بيّن السيوطي أنّ السكاكي سمّى تجاهل العارف بسوق المعلوم مساق غيره ، تأدّبا لوروده في القرآن الكريم ، وهذا ما أشار اليه التفتازاني (٣) ثم لفت الانتباه إلى أن السكاكي قد تحدّث عنه في علم المعاني ، وتعليله لذلك أنه إذا ذكر في علم المعاني فباعتبار مقتضى المقام ، أمّا إذا ذكر في البديع فباعتبار تحسين الكلام فيلاحظ هذا التغاير في مسألة واحدة باعتبارين (٤).

وحديثه عن الدلالات وأنواعها وأمثلة كل نوع، لا يختلف عما ورد عند التفتازاني (٥)، وامتاز طاشكبري زادة بحديثه عن الفرق بين مفهوم الدلالات عند أهل الميزان وأرباب البيان، وماذا ترتب على الفرق بينهما (٦).

---

(١) ديوان المتنبي ، ٢/٢٢٤ .

(٢) شرح الفوائد الغياثية ، ٢٧٤ ، والمطول ، ٤٣٠ .

(٣) السابق ، ٤٤٣ والسابق ، ٤٤٣ .

(٤) السابق ، ٢٧٦ .

(٥) السابق ، ١٩١ والمطول، ٣٠١ - ٣٠٦ .

(٦) السابق ، ١٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبيّن طاشكبري زادة أنّ وجه الشبه هو المعنى الذي قصد اشتراك الطرفين فيه، وإن لم يشمل الطرفين فسد التشبيه، ولهذا فإنّ وجه الشبه في قولنا : النحو في الكلام كالملح في الطعام، لا يقصد به القلة أو الكثرة؛ لأنّ المشبه (النحو) لا يشترك في هذا المعنى. ويقصد بالقول السابق كما أنّ الطعام يصلح باستعمال الملح ويفسد بتركه، كذلك الكلام يصلح بالنحو إذا استعمل ويفسد بتركه (١). وهذا ما رآه التفتازاني أيضا. وهذا رأي أصله لعبد القاهر ولكنه شاع بين البلاغيين .

واتّفق مع التفتازاني في اعتبار ما ورد في قوله تعالى : "أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم حذر الموت" (٢). وقوله تعالى : "واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء" (٣) من التشبيه المركّب، فالمشبه به مركّب ووجه الشبه منتزع من متعدد، ففي الآية الأولى المشبه به محذوف تقديره مثل ذوي صيب، فحذف "ذوي" لدلالة يجعلون عليه، وحذف "مثل" لدلالة عطفه على قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا عليه؛ لأنه لا يصح التشبيه بين صفة المنافقين وبين ذوات ذي الصيب. فههنا حذف المضاف والمضاف إليه.

وفي الآية الثانية المشبه به مثل الحياة الدنيا،أي حالها العجيبة الشأن التي هي تقضيها بسرعة وزوال نعمها بغتة بعد ظهور قوتها واغترار الناس بها واعتمادهم عليها، فالمشبه به مركّب من عشر جمل تداخلت حتى صارت كأنها جملة واحدة فيكون مركّبا عقليا(٤)، وقد أطنبنا في شرح ما ورد في الآيتين السابقتين وذلك لأنّ هذا هو رأي

---

(١) شرح الفوائد الغياثية . ٢٠١ والمطول ، ٣١٥ .

(٢) البقرة، الآية ١٩ .

(٣) الكهف، الآية ٤٥ .

(٤) شرح الفوائد الغياثية، ٢١٣ - ٢١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التفتازاني والسيوطي أيضا (١).

وعندما تحدّث عن علاقات المجاز المرسل اتّفق مع التفتازاني على أنّ تسمية الشيء باسم جزئه لا يصحّ إلاّ إذا كان لذلك الجزء مزيد اختصاص بالكل، ومثاله : اطلاق العين على الربيئة، فلا يجوز اطلاق اليد أو الاصبع على الربيئة (٢).

وقال عن التاء الواردة في كلمة الحقيقة إنها للتأنيث، ثم نقل رأيا آخر وصفه بأنه أسهل من الرأي الأول، وهو أن تكون التاء للنقل من الوصفيّة إلى الإسميّة كما في الأكيلة والذبيحة، وهذا ما اختاره التفتازاني أيضا (٣).

واتّفق مع التفتازاني على أنّ التقديم في قول الشاعر :

متى تهزز بني قطن تجدهم

سيوفا في عواتقهم سيوف

جلوس في مجالسهم رزان

وإن ضيف ألمّ فهم خفوف (٤)

يفيد زيادة تخصيص (٥)، ورفض كما رفض التفتازاني اشتراط دعوى كون الخبر فعلا حتى يصح الحصر، لأنّ أئمة التفسير يقولون بوجود الحصر في المشتقات، كما في قوله تعالى : "وما أنت علينا بعزيز" (٦) ورفض قول القزويني إنّ كلام السكاكي : " هذا تفسير للشيء باعادة لفظه "(٧)؛ لأنّ مراد السكاكي من قوله المراد هم خفوف، يعني هم

---

(١) المطول، ٣٢٨ - ٣٢٩ وشرح عقود الجمان، ٨٤ .

(٢) شرح الفوائد الغياثيه، ٢٢٧ والمطول، ٣٥٦ .

(٣) السابق ، ٢٢٢ والمطول، ٣٤٨ .

(٤) المطول، ٣٤٨ .

(٥) شرح الفوائد الغياثية، ١٠٤ والمطول، ١٠٨ .

(٦) هود، الآية ٩١ .

(٧) الايضاح، ٢ / ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خفوف لا غير بناء على أنّ المقام يقتضي معنى الحصر، ولا يقصد بالتخصيص ههنا الحصر بل التخصيص بالذكر، ثم بيّن أنّ مراد الشاعر من البيت السابق- وهذا لم يفعله التفتازاني -أنّ بني قطن يتصفون وهم في مجالس الحكم بالهيبة والوقار، وعند مجيء الضيف عليهم هم خفوف في خدمة الأضياف دون من عداهم (١).

بيّن طاشكبري زادة أنّ "مَن" تستخدم للسؤال عن جنس ذوي العلم كالبشر والملك والجن، حتى إذا قيل مَن جبرائيل أُجيب بما يفيد تعيينه وتشخيصه أنه ملك يأتي بالوحي (٢) كما في قوله تعالى : "فمن ربكما يا موسى" (٣). وهذا من المواضع التي اتّفق فيها القزويني والتفتازاني وخالفا بذلك رأي السكاكي في استعمال "من" والدليل الذي استندا إليه هو اجابة موسى عليه السلام الوارد في قوله تعالى : "ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى" فإنه قد أجاب بما يفيد تعيينه وتشخيصه (٤).

ورفض طاشكبري زادة اعتراضات القزويني التي أوردها في بحث الاطناب على ما قاله السكاكي، وهذا ما وجدناه عند التفتازاني(٥)، ولكنه التفت إلى أمر هام وهو أنّ الواسطة بين الكلام الطويل والقصير أمر يحكم الذوق والعرف بمقداره (٦).

ويبدي اعجابه بالتفتازاني - دون أن يصرّح باسمه متكفيا بقوله : كما حققه بعض الفضلاء - لأنه ميّز بين استعمال اسم الاشارة في اللغة واستعماله في علم المعاني، فأسماء الإشارة

---

(١) شرح الفوائد الغياثية، ١٠٤ والمطول٧ ١٠٨ .

(٢) السابق، ١٧٦ السابق، ٢٣٤ .

(٣) طه، الآية ٥٠ .

(٤) المطول، ٢٣٤ .

(٥) السابق، ٢٨٢ .

(٦) شرح الفوائد الغياثية، ١٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تستخدم في اللغة لبيان حال المسند إليه في القرب أو البعد أو التوسط، وهذا لا مجال لبحثه في علم المعاني، لأنه علم يبحث فيه عن زائد على أصل المراد. وتحقيق هذا الأمر أن نقول : إنّ اللغة تنظر فيه من حيث أنّ "هذا" للقريب مثلا، وعلم المعاني ينظر فيه من حيث أنه إذا أُريد بيان قرب المسند إليه يؤتي بهذا، وهو زائد على أصل المراد الذي هو الحكم على المسند إليه المذكور المعبّر عنه بشيء يوجب تصوره أيا كان (١). وبتمييزه السابق يكون قد نجح في حل اشكال لم يسلم من الوقوع فيه مَن له يد طولى في التدقيق، وممن علا كعبه في علوم العربية (٢)

ومن المواضع التي خالف فيها التفتازاني :

عندما علّق على رأي النّظّام حول صدق الخبر وكذبه، الذي توصل إليه بناء على ما فهمه من قوله سبحانه وتعالى على لسان المنافقين : "إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون" (٣) نقل رأيين للتفتازاني في هذا المجال وهما : إنّ تسمية الاخبار الخالي عن المواطأة شهادة يكون غلطا في اطلاق اللفظ، وليس من الكذب في شيء، والثاني لا نسلم أنّ قولهم "نشهد" خبر بل إنشاء (٤)، وردّ عليه الرأيين وبيّن خطأهما (٥).

ولكن التفتازاني انفرد بذكر رأي خاص به لم يذكره غيره من البلاغيين كما يقول. وهو أن يكون التكذيب راجعا إلى قسم المنافقين وزعمهم أنهم لم يقولوا لا تنفقوا على من عند رسول

---

(١) المطول، ٧٧ .

(٢) شرح الفوائد الغياثية، ٧١ .

(٣) المنافقون، الآية ١ .

(٤) المطول، ٤٠ .

(٥) شرح الفوائد الغياثية، ٢٥ - ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله عليه السلام حتى ينفضوا من حوله. مستندا إلى ما ورد في صحيح البخاري من حديث عن مناسبة نزول هذه الآية (١).

وبالاضافة إلى ما ذكر سابقا يمكننا القول : إنّ الله تعالى كذّب المنافقين، لا لقولهم (إنك رسول الله) ، انما لقولهم "نشهد" ونحن نعلم أنّ الشهادة لا تسمى شهادة إلاّ إذا وافق اللسان فيها القلب، ولهذا أُختيرت هذه الكلمة في الشهادتين فالله تبارك وتعالى كذّبهم، لأنهم قالوا نشهد، فلو أنهم قالوا مثلا : أنت رسول الله دون كلمة "نشهد" ما كانوا ليكذّبوا في هذا القول (٢).

ورفض طاشكبري زادة كل ما قاله التفتازاني في تفسير كلامي السكاكي والزمخشري في قوله تعالى : "رب إني وهن العظم مني" (٣) والصواب هو ما قاله السكاكي وإليه يؤول ما وقع في " الكشاف ". وظنّ التفتازاني أنهما متغايران، لذا زيّف كلام السكاكي وقرّر كلام الزمخشري (٤).

وأمّا رأي التفتازاني فكان يتمثّل في أنّ ما قاله السكاكي غير صحيح مستندا في رفضه إلى رأي أئمة التفسير، وما دلّ عليه الاستقراء (٥)، ولهذا اختار ما قاله الزمخشري (٦). وبيّن أنه لا مجال للتوفيق بين الرأيين فالتنافي كبير بينهما، فكلام السكاكي صريح في "وهنت العظام" باعتبار وهن بعض العظم دون كل فرد، وكلام

---

(١) المطول، ٤٠ وصحيح البخاري، دار الجليل بيروت، المجلد الثاني، ٤ / ١٨٩ - ١٩٠ .

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها، ١٠٢ .

(٣) مريم، الآية ٤ .

(٤) شرح الفوائد الغياثية، ٧٨ .

(٥) المفتاح، ٢١٦ والمطول، ٨٤ .

(٦) الكشاف، ٣ / ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزمخشري في "وهنت العظام" يفيد شمول الوهن لكل من العظام بحيث لا يخرج منه البعض (١).

ومن الآراء التي تميّز طاشكبري زادة عما ورد عند التفتازاني، أنه لم يقتنع باعتراض البلاغيين على ما ورد في بيت أبي تمام :

لا والذي هو عالم ان النوى
صبر وان أبا الحسين كريم (٢)

بأنه لا يوجد مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة الفراق، وعنده يمكن القول إنّ المرء إذا اشتكى من الألم ربما يسلي نفسه بكرم الأحباب، فاجتمع في خاطره هذان الأمران، وهذا من قبيل الارتباط الخيالي (٣). بينما تبنّى التفتازاني الرأي الشائع عند البلاغيين بأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، وأنّ العطف غير مقبول سواء جعل عطف مفرد على مفرد أو من باب عطف الجملة؛ لأنّ وجود الجامع شرط فيهما (٤).

---

(١) المطول، ٨٤ .

(٢) ديوان أبي تمام ، ٤/١٠٠ .

(٣) شرح الفوائد الغياثية، ١٤٨ .

(٤) المطول، ٢٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثر التفتازاني في ابن يعقوب المغربي :

أمّا تأثر ابن يعقوب بالتفتازاني فيبدو مغايرا لما وجدناه عند العالمين السابقين؛ لأنّ هدفه من تأليف كتابه "مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح" الذي حدّثنا عنه في مقدمته يختلف عما وجدناه عند السيوطي وطاشكبري زادة، فقد قال في مقدمته : "ولما وفقت بعون الله لقراءة "المختصر" مررت فيه على غوامض ربما تعتاص على بعض الأفهام، ومحال كثيرة تفتقر لا محالة إلى مزيد من الكلام، وأكثرها لا يكفي فيه ما في "المطول" فرأيت أن أضع عليه شرحا يكون لذلك "المختصر" مجاريا لقصد بيان عويصه، مع زيادة فوائد وأبحاث تتعلق بالمحل تكميلا لتحقيقه وتلخيصه" (١).

ومعنى هذا أن آراء التفتازاني كانت المحور الأساسي الذي دار عليه "مواهب الفتّاح" ومن هنا وجدنا أنفاس التفتازاني مبثوثة في ثنايا الكتاب سواء في الشرح أو في ذكر القضية البلاغية أو في النص الذي استشهد به.

وفيما يلي عرض لنماذج من تأثّر ابن يعقوب بالتفتازاني :

اتّفق معه على عدم اشتمال القرآن الكريم على كلمة غير فصيحة؛ لأنّ الجاهل أو العاجز هو الذي يرد في كلامه كلام غير فصيح، وهذا مما لا يليق وصف الله سبحانه وتعالى به (٢). وأضاف وبعدم اشتمال القرآن الكريم على كلمة غير عربية كالقسطاس* أو المشكاه** خلافا

---

(١) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، مطبعة يحيى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ١٩٣٧م ، ١ / ٤ - ٥ .

(٢) السابق، ١ / ٨٢ والمطول، ١٨ .

* اشارة إلى الشعراء، الآية ١٨٢ .

** اشارة إلى النور، الآية ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لما يقوله بعضهم (١).

واتّفق معه في تعليل اعتبار ما ورد في قول أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى

معي وإذا ما لمته لمته وحدي (٢)

مختلا بالفصاحة، ولكنه أشار إلى لفتة بلاغية وردت في البيت السابق، وهي أنّ الشاعر عبّر باللوم في مقابلة المدح تأدبا مع الممدوح، وللايحاء إلى أنّ ذمه إنما هو لوم وعتاب (٣).

واتّفق مع التفتازاني على أنّ تقديم المسند في قول الشاعر :

ومن يك أمسى في المدينة رحله

فإني وقيار بها لغريب (٤)

لبيان أنّ "قيار" وإن كان من غير العقلاء، إلاّ أنه تساوى معهم في استحقاق الاخبار عنه بالاغتراب قصدا إلى التحسّر (٥). وهذا تحليل ينم عن سعة الأفق، وتمعّن جيد في المعنى الذي أراده الشاعر. وهذا ما قاله ابن يعقوب أيضا : قدّم الشاعر "قيار" على قوله "لغريب" للاشارة إلى أنّ "قيار" ولو لم يكن من جنس العقلاء إلاّ أنه أحسّ بالغربة ومرارتها حتى صار مساويا للعقلاء في الشكوى منها ومقاساة شدائدها (٦).

واتّفق مع التفتازاني في الاعتراض الذي وجهه لتعريف القزويني لعلم البيان، بأنه لا ضرورة للتقييد بكلمة الخفاء بعد قوله في

---

(١) مواهب الفتاح، ١ / ٨٢ .

(٢) ديوان أبي تمام، ٢ / ١١٦ .

(٣) مواهب الفتاح، ١ / ١٠٠ والمطول، ١٧ .

(٤) معاهد التنصيص ، ١ / ٦٥ - ٦٦ .

(٥) المطول، ١٤٠ .

(٦) مواهب الفتاح، ٢ / ٣ وينظر فلسفة البلاغة، ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وضوح الدلالة، لأنه معلوم أنّ الواضح بالنسبة إلى الأوضح خفي(١)، بل على العكس من ذلك فإنّ في اسقاط كلمة الخفاء فائدة لا تظهر بذكرها، وهي الايحاء إلى أنّ الخفاء الحقيقي، وهو الذي ينصرف إليه اللفظ عند الاطلاق، لابد من انتفائه عن تلك الطرق، وإلاّ لكان فيما وجد فيه تعقيد معنوي (٢).

كما أنه اتفق معه في تقييم "المفتاح" حيث بيّن أنّ القزويني قد بالغ في وصف "المفتاح" بما ذكره، وبيّن أنّ عبارات القزويني فيها تعريض بـ"المفتاح" لأنه وصف "التلخيص" بأنه لا تطويل فيه ولا حشو ولا تعقيد (٣).

ومن القضايا البلاغية التي بحثها التفتازاني، الخلاف الذي دار بين السكاكي والقزويني، حول الموضع الذي ينبغي أن تبحث فيه الحقيقة العقلية والمجاز العقلي، حيث بحثها الأول في علم البيان، بينما بحثها الثاني في علم المعاني معللا ذلك : بأنّ علم المعاني يبحث أحوال اللفظ العربي من حيث مطابقتها لمقتضى الحال، والبحث في الحقيقة العقلية والمجاز العقلي ليس من هذه الحيثية(٤)، ولكنّ التفتازاني لم يقتنع بما قاله القزويني اذ لو كان الأمر كما قال فلماذا بحث الحقيقة اللغوية والمجاز اللغوي في علم البيان مع أنهما من أحوال المسند والمسند إليه؟ (٥).

ولو قرأنا ما قاله ابن يعقوب حول الموضوع نفسه لوجدنا أنّ بحث التفتازاني كان أفضل، لأنه تبنّى رأيا في هذه القضية، بعد أن ناقش القزويني فيما ذهب إليه، إلاّ أننا نأخذ عليه أنه بحثهما في

---

(١) مواهب الفتاح ، ٣ / ٢٥٩ والمطول، ٣٠١ .

(٢) السابق، ٣ / ٢٥٩ .

(٣) السابق، ١ / ٦١ وينظر٨٧. - ٨٨ هذه الدراسة .

(٤) الايضاح، ١ / ١٠٣ .

(٥) المطول، ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علم المعاني .

أمّا ابن يعقوب فقد قال : وأوردهما غير المصنف (القزويني) في علم البيان، دون أن يسمّى أحدا، ثم ذكر حجّته في ذلك. ثم بيّن أنّ القزويني بحثهما في علم المعاني ذاكرا حجّته في ذلك التي لم تسلم من انتقادات وجّهت إليها،وحاول ابن يعقوب أن يجيب عنها (١).

ولم يسلم بحث القزويني للحقيقة العقلية من انتقادات أخرى وجّهت إليه، ذكرها التفتازاني وابن يعقوب. حيث اعتبر تعريف القزويني لها بأنه غير مطرد لصدقه على ما جاء في قول الخنساء :

ترتع ما رتعت إذا ادّكرت

فإنما هي اقبال وادبار (٢)

وللرد يقال : إنّ في البيت السابق اسنادا إلى المبتدأ، والاسناد إلى المبتدأ عند القزويني ليس بحقيقة ولا مجاز (٣)، بينما نص عبد القاهر على أنها مجاز عقلي؛ لأنّ الخنساء جعلت الناقة لكثرة ما تقبل وتدبر كأنها تجسمت من الاقبال والادبار (٤). ولم يختلف رأي ابن يعقوب عما قاله التفتازاني، لكنّ ابن يعقوب لم يتطرّق إلى رأى عبد القاهر. وهذه ميزة تحسب للتفتازاني الذي كان يكثر من الاستشهاد بآراء عبدالقاهر أثناء شرحه . والتفتازاني وابن يعقوب لا يعدّان قول الجاهل : أنبت الربيع البقل، من المجاز العقلي، مع أنّ فيه اسناد الفعل إلى غير ما هو له، لأنّ القول السابق لا تأوّل فيه، فهذا مراد الجاهل ومعتقده. وأضاف ابن يعقوب ومتى أظهر القرينة على ارادة خلاف الظاهر عاد مجازا، ولا يكون حينئذ

---

(١) مواهب الفتاح، ١ / ٢٢٥ .

(٢) شرح ديوان الخنساء، تحقيق عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ ، ١٩٨٥ م، ٣٩ .

(٣) المطول، ٥٦ ومواهب الفتاح، ١ / ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٤) دلائل الاعجاز، ٣٠٠ - ٣٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موصوفا بأنه قول الجاهل، لأنه في الظاهر قول المؤمن (١).

ونادى التفتازاني بتوسيع مفهوم المجاز العقلي؛ ليشمل النسبة الايقاعية والاضافية وفيما جعل فيه الفاعل مجازا، فالمجاز العقلي أعم من أن يكون في النسبة الاسنادية فقط، على ما يفهم من كلام السكاكي والقزويني (٢). كما في قوله تعالى : "شقاق بينهما" (٣) وقوله تعالى : "مكر الليل والنهار" (٤) وقوله تعالى : "أولئك شر مكانا وأضل سبيلا" (٥). وهذا ما قاله ابن يعقوب أيضا، إلا أنه علّل اعتبار النسبة الايقاعية والاضافية من المجاز العقلي، وأضاف قد تكون النسبة كناية عن المجاز الاسنادي، ووضّح ذلك من خلال شرحه لقولنا : سل الهموم فإنّ ايقاع التسلية على الهموم مجاز، لأنها للشخص المهموم ثم فيه الكناية عن كون الهموم حزينة إذا لا يسلى إلاّ الحزين (٦).

وبيّنا أنّ المجاز العقلي يجري في الانشاء كما يكون في الخبر. كما في قوله تعالى : "يا هامان ابن لي صرحا" (٧) وقوله تعالى : "فلا يُخرِجَنّكُما من الجنة" (٨). وهذا ما نبّه إليه ابن يعقوب عندما قال :" إنّ المجاز العقلي غير مختص بالخبر لئلا يتوهم من سوقه في باب الاسناد الخبري أنه يختصّ بالخبر دون

---

(١) المطول، ٥٨ ومواهب الفتاح، ١ / ٢٤١ .

(٢) السابق ، ٥٩ .

(٣) النساء، الآية ٣٥ .

(٤) سبأ، الآية ٣٣ .

(٥) المائدة، الآية ٦٠ .

(٦) المطول، ٦٣ ومواهب الفتاح، ١ / ٢٤١ .

(٧) القصص، الآية ٣٨ .

(٨) طه، الآية ١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنشاء (١)".

وفي ختام حديثهما عن المجاز العقلي تعرّضا لقول السكاكي : إنّ هذا المجاز ضرب من الاستعارة بالكناية (٢). ورفضا هذا الرأي، لأنّ كلامه لا ينطبق على جميع الأمثلة. فماذا يقول في قوله تعالى : "فهو في عيشة راضية" (٣) فهل المراد بها صاحبها؟ وغير ذلك من الاعتراضات والردود التي قيلت في هذا المجال (٤).

وقد تميّز التفتازاني وابن يعقوب في بحثهما للالتفات، حيث ناقشا آراء السكاكي والقزويني، وأضافا ما وجداه مناسبا، ومن أولى الملاحظات التي ذكرها ابن يعقوب : أنه لا داع للقول عند تعريف الالتفات بأنّ نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة غير مختصّ بالمسند إليه، لأنه يكون في المسند إليه (٥) كما في "إلهي" في قول الشاعر :

إلهي عبدك العاصي أتاكا

مُقرا بالذنوب وقد دعاكا (٦)

ويكون في غيره كما في قوله تعالى : "فإذا عزمت فتوكل على الله" (٧) .

كما أنّ القزويني وجد من المفيد اضافة كلمة مطلقا إلى تعريف الالتفات، ويصبح التعريف : "هو نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة وهذا غير مختصّ بالمسند إليه، ولا بهذا القدر، بل التكلّم

---

(١) مواهب الفتاح، ١ / ٢٥٤ .

(٢) المفتاح، ٤٠١ .

(٣) القارعة، الآية ٧ .

(٤) المطول، ١٦ ومواهب الفتاح، ١ / ٢٢٦ - ٢٦٨ .

(٥) المفتاح / ١٩٩ والسابق . ١ / ٤٦٢ .

(٦) معاهد التنصيص . ١ / ٦١ .

(٧) آل عمران، الآية ١٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والخطاب والغيبة مطلقا ينقل كل واحد منها للآخر" (١) وبيّن التفتازاني أنّ كلمة (مطلقا) اضافة من القزويني وليست مصرّحة في كلام السكاكي (٢) وردّ عليه ابن يعقوب : "لا يقال بأنّ كلام السكاكي ليس فيه التصريح بهذا الاطلاق، فكيف حكاه القزويني عنه؛ لأنه علم من مذهب السكاكي اعتبار معناه فصحّ نسبته إليه (٣)." ولا مبرّر لاعتراض، ابن يعقوب؛ لأنّ ما ذكره هو الذي يقصده التفتازاني، فالقزويني قدّر وجود هذه الكلمة ليستقيم المعنى.

والتعريف المشهور للالتفات عند الجمهور أنسب من تفسير السكاكي له، فهم قالوا : " هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها" (٤). وبيّن التفتازاني وابن يعقوب أنّ أهمية هذا القيد تظهر في اخراج نحو قولنا : أنا زيد وأنت عمرو. وقول الشاعر :

* نحن الذين صبّحوا الصباحا * (٥)

من الالتفات. أمّا قوله تعالى : "إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" (٦) فالالتفات في الآيات السابقة إنما هو في إياك. ثم قالا ومن زعم : أنّ في مثل قوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا" (٧) التفاتا فقد سها على ما

---

(١) الايضاح، ٢ / ٨٥ .

(٢) المطول، ١٣٠ .

(٣) مواهب الفتاح، ١ / ٤٦٣ .

(٤) الايضاح، ٢ / ٨٦ .

(٥) ديوان رؤبه بن العجّاج، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي، برلين، ١٩٠٣ م، ١٧٣ وفي الديوان نحن اللذون .

(٦) الفاتحة، الآيات ٥ ، ٧ .

(٧) عدة آيات قرآنية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشهد به كتب النحو (١).

وهذا ما ذكره ابن يعقوب وبالتفصيل نفسه، والفرق بينهما أنّ التفتازاني قد ذكر عددا من الآيات التي لا تعدّ من الالتفات للسبب نفسه، وذكر عددا من الأمثلة المصنوعة، وأضاف ابن يعقوب : إنّ التعبير بالخطاب المناسب للمقام بالأصالة من الالتفات؛ لأنه مخالف لظاهر سوق الكلام كما في قوله تعالى : "وما يدريك لعله يزكى" (٢) فإنه خطاب موافق لأصل ظاهر المقام، وهو مقام الخطاب، لكنه مخالف لظاهر الكلام؛ لأنه عبّر عنه أولا بالغيبة في قوله تعالى : "عبس وتولى أن جاءه الأعمى" (٣) على خلاف مقتضى الحال، فناسب اجراؤه على مقتضى الغيبة، والغرض من ذلك تعظيم النبي عليه السلام، لما فيه من التلطف في مقام العتاب بالعدول عن المواجهة في الخطأ (٤).

وتنبّه ابن يعقوب أيضا إلى نقطة جديرة بالبحث، وهي بحث السكاكي الالتفات في موضعين، حيث تحدّث عنه حديثا مفصّلا في علم المعاني، وذكره ذكرا فقط في علم البديع، مكتفيا بعبارة : "وقد سبق ذكره في علم المعاني" (٥).

وحاول ابن يعقوب تعليل صنيع السكاكي بأنّ الغاية من الالتفات تجعله أقرب إلى علم البديع، فهو يفيد الكلام ظرافة وحسن تطرية فيصغى إليه لظرافته وابتداعه، وبالتالي يخرج عن علم المعاني الذي فيه مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فالالتفات يذكر في علم المعاني إذا اقتضى المقام فائدته من طلب مزيد الاصغاء، ولكون الكلام

---

(١) المطول، ١٣١ .

(٢) عبس، الآية ٣ .

(٣) عبس، الآيتان ١ ، ٢ .

(٤) مواهب الفتاح، ١ / ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٥) المفتاح، ١٩٩ - ٢٠٤ ، ٤٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سؤالا أو مدحا أو اقامة حجّة (١).

ولكن لمّا كان الالتفات ضربا من فنون البلاغة، له أسلوبه وله جماله، فليس من الانصاف أن يبقى مترددا فيكون في علم المعاني إذا اقتضى المقام فائدته، ويكون في علم البديع من جهة كونه طريفا. ومن الأفضل أن نفرد له بابا خاصا به، كما فعل ذلك ابن الأثير (٢). وهذا الضيم الذي لحق بالالتفات ناتج عن تقسيم البلاغة إلى علوم، وحصر كل قسم بموضوعات وأبواب خاصة، ولكن هذا التقسيم لا يمنع من بيان مواطن الجمال في الالتفات والغرض منه، سواء بحث في علم البديع أو في علم المعاني.

وأحسن ابن يعقوب بحث الاطناب، حيث ناقش ما قاله القزويني، والاعتراضات التي أوردها على ما قاله السكاكي، وهذا ما فعله التفتازاني، إلاّ أنّ ابن يعقوب فضّل اضافة عبارة مع اختلاف المنسوب إليه (٣)، على ما قاله السكاكي :" أمّا الايجاز والاطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسّر الكلام فيهما إلاّ بترك التحقيق والبناء على شيء عرفيّ" (٤). وتعليله لذلك أنّ مجرّد كونهما (الاطناب والايجاز) نسبيين لا يكفي في امتناع التحقيق، الذي يقصد به تعيين مقدار لا يزاد عليه، ولا ينقص عنه؛ لأنّ ذلك موقوف على كون المضاف إليه متحد القدر فيقال ما زاد على هذا القدر فهو اطناب، وما نقص عنه فهو ايجاز، والمنسوب إليه الايجاز والاطناب غير متحد في القدر، فلذلك نجد الكلام الواحد بالنسبة إلى قدر ايجازا وإلى قدر آخر اطنابا (٥).

---

(١) مواهب الفتاح ، ٤٦٤/١ .

(٢) البلاغة عند السكاكي، ١٣٧ - ١٣٨ .

(٣) مواهب الفتاح، ٣ / ١٦١ .

(٤) المفتاح، ٢٧٦ .

(٥) مواهب الفتاح، ٣ / ١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولمّا كان الاطناب بحاجة إلى معيار ثابت ليحكم به على طول الكلام أو قصره، كان لابدّ من أخذ أقرب معيار إلى الضبط، فكان متعارف الأوساط هو المعيار، ثم وضّح المقصود بقول السكاكي:" كلام متعارف الأوساط لا يحمد ولا يذم" (١)، بأنّ العامة تكثر حاجتهم للمعاني فلا ينتبهون للطائف، وإنما يأتون بكلام يؤدي أصل المعنى بالدلالة الوضعية وبألفاظ كيفما كانت، بينما البلغاء يذم كلامهم إذا لم يراعوا فيه مقتضيات الأحوال، ولهذا فإنّ كلام متعارف الأوساط لا يحمد منهم، وإنمّا يحمد من غيرهم لمراعاتهم تلك اللطائف ومقتضيات الأحوال، وهذا ما قاله التفتازاني (٢).

وميّز ابن يعقوب بين الكلام الذي يقتضيه المقام بحسب الظاهر، والكلام الذي يقتضيه بحسب التحقيق (الاعتبار الباطني) (٣) وقد طبّق ذلك على ما ورد في قوله تعالى : "رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا" (٤).

ومن الآراء التي تميّز بها ابن يعقوب، رأيه في التقسيمات البلاغية، حين دعا إلى الخروج عن الاطار التقليدي الذي سار عليه أتباع المدرسة الكلامية، حيث ناقشهم فيما ذهبوا إليه من تعليلهم تقديم علم المعاني على علم البيان وانتهى إلى أنّ ما أطبق عليه المحققون من تعليل موجب تأخير علم البيان عن علم المعاني ضعيف، وبيّن أنّ البيان جزء من المعاني؛ لأنه داخل في مطابقة مقتضى الحال (٥).

كما أنه أعلى من شأن البديع وردّ إليه جزءا من اعتباره عندما

---

(١) المفتاح، ٢٧٦ .

(٢) مواهب الفتاح، ٣ / ١٦٣ والمطول، ٢٨٢ .

(٣) السابق ، ٣ / ١٦٣ - ١٦٤ .

(٤) مريم، الآية ٤ .

(٥) مواهب الفتاح، ٣ / ٢٥٦ - ٢٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال : "بأنّ علمي المعاني والبيان مع العلم الذي تعرف به الوجوه المحسنة للكلام البليغ وهو البديع، من أعلى العلوم وأرفعها قدرا" (١)، وقوله : "ولمّا كانت المحسنات البديعية مؤكّدة لحسن البلاغة جعل لها مدخلا في الأجليّة؛ لأنّ المؤكد للشيء لا بأس أن يعطى حكم أصله " (٢).

ولفت الانتباه إلى أنّ المحسنات اللفظية وإن كان فيها تحسين للفظ إلاّ أنه يتبع ذلك تحسين للمعنى؛ لأنه كلما عبّر عن معنى بلفظ حسن، استحسن معناه تبعا لذلك، وكذا الأمر فيما يتعلق بالمحسنات المعنوية وإن كان الأصل فيها تحسين للمعنى، إلاّ أنّ فيه تحسينا ، للفظ لأنه كلما أُفيد باللفظ معنى حسن تبعه حسن اللفظ الدال عليه (٣).

وهذه الآراء المتميزة جعلته يتفوّق على التفتازاني في هذا الموضع، وفيها رد على من كان يقول بأنّ شروح التلخيص كلها نسخة عن "المفتاح" ولكن مما يؤخذ على ابن يعقوب أنه لم يطبّق آراءه فيما كتبه، وسار على منهج من سبقوه.

ومن القضايا البلاغية التي بحثها ابن يعقوب بحثا تقليديا، ادخال التشبيه في علم البيان، وهنا تفوّق التفتازاني على ابن يعقوب؛ لأنّ التفتازاني حسم الأمر في هذه القضية منذ البداية وأدخل التشبيه في علم البيان دون الخوض في التفاصيل التي قيلت في هذا الشأن (٤)، بينما خاض ابن يعقوب في نقاش ذهني محض لا يخلو من التكلّف في بعض العبارات. وهذا البحث لا يخدم العمل الأدبي، ولا يفيد شيئا في تذوّق النصوص الأدبية، أو بيان مواطن الجمال في

---

(١) مواهب الفتاح ، ١ / ٥٢ .

(٢) السابق، ١ / ٥٠ .

(٣) السابق ، ٤ / ٢٨٥ .

(٤) ينظر ٩٢ - ٩٣ هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشبيه، ومن الأمور التي ناقشها ابن يعقوب هل يدخل التشبيه في البيان أم لا؟ وهل يجعله بابا مستقلا؟ أم يجعله مقدمة للمجاز؟ (١) ثم أقرّ آخر الأمر بادخاله في علم البيان.

ولفت ابن يعقوب الانتباه إلى أنّ بعض علاقات المجاز المرسل، لا تفيد اللزوم، وبخاصه إذا علمنا أنّ مبنى المجاز يقوم على الانتقال من الملزوم إلى اللازم، فمثلا معنى اليتامى لا يستلزم معناه المجازي الذي هو البالغون في قوله تعالى : "وأتوا اليتامى أموالهم" (٢) وكذا النادي في قوله تعالى : "فليدع ناديه" (٣) لا يستلزم أهله لخلوه عنهم، وكذا اللسان في قوله تعالى : "واجعل لي لسان صدق في الآخرين" (٤).

وحلّ التفتازاني الاشكال السابق بقوله :" ليس معنى اللزوم ههنا امتناع الانفكاك في الذهن أو الخارج بل تلاصق واتصال ينتقل منه بسببه من أحدهما إلى الآخر في الجملة وفي بعض الأحيان، وهذا متحقق في كل أمرين بينهما علاقة وارتباط. وهذا هو التفسير الذي قبله ابن يعقوب "(٥).

وفيما يتعلق بتمثيل القزويني بفلان أكل الدم كمثال لتسمية السبب باسم المسبب، فقد قال عنه ابن يعقوب : وهو بحسب الظاهر سهو. ثم نقل ما قيل من تفسيرات لتوضيح كلام القزويني، ولكنه لم يقتنع بها، لأنها لا تخلو من تعسف، وفيها خروج إلى الاعتبارات العقلية المحضة التي لا يراعيها البلغاء (٦). وكان بامكان ابن

---

(١) مواهب الفتاح، ٣ / ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٢) النساء، الآية ٢ .

(٣) العلق، الآية ١٨ .

(٤) الشعراء، الآية ٨٤ .

(٥) المختصر، ٢ / ٢١١ ومواهب الفتاح، ٤ / ٤٣ .

(٦) مواهب الفتاح، ٤ / ٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعقوب منذ البداية أن يقول كما قال التفتازاني : أنه سهو وقع فيه القزويني (١).

ويقول الدكتور أحمد مطلوب : ومن التفاتات ابن يعقوب الحسنة، ذهابه إلى أنّ الاستعارة يمكن أن تكون مجازا مرسلا (٢)، ولكن ابن يعقوب لم يكن مبتدع هذا الرأي، فقد سبقه لذلك التفتازاني، الذي استفاد مما قاله عبد القاهر في "المشفر" و مما قاله التفتازاني: إنّ اللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد، يجوز أن يكون استعارة وأن يكون مجازا مرسلا ، ويتضح ذلك في "المشفر" فإذا اطلق على شفة الإنسان بقصد تشبيهها بمشفر الإبل في اللفظ فهو استعارة، وإن اطلق على الأنف دون قصد إلى التشبيه يكون مجازا مرسلا ، أي من باب اطلاق المقيّد على المطلق، وتابع قائلا ولهذا يجوز أن يكون في قولنا : نطقت الحال استعارة، وتفسير ذلك تشبيه دلالة الحال بنطق الناطق في ايضاح المعنى وايصاله إلى الذهن ثم تدخل الدلالة في جنس النطق فيستعار لها لفظ النطق ثم يشتق منه الفعل والصفة فتكون استعارة تصريحية، والاحتمال الثاني أن يكون اطلاق النطق عليها مجازا مرسلا باعتبار ذلك الملزوم وارادة اللازم من غير قصد إلى التشبيه (٣).

والتفتازاني يشجّع على عدم التقيد برأي واحد طالما هناك مجال لرأي آخر، شريطة أن يكون التفسير مقبولا بلاغيا، ولهذا ترك للقارىء حرية الاختيار بين التفسيرين السابقين .

وبعد أن يناقش ابن يعقوب الآراء التي قيلت في تفسير الاستعارة بالكناية، يتّفق مع التفتازاني على أن رأي السلف فيها

---

(١) المطول، ٣٥٦ .

(٢) القزويني وشروح التلخيص، ٥٨٥ .

(٣) المطول، ٣٥٧ ، ٣٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو الأقرب إلى الصواب، وأنسب بالتسمية اللغوية (١)، ثم قام بتوضيح المقصود بكلام التفتازاني بأنّ ما قاله القزويني في تفسير الاستعارة بالكناية غير صحيح، لأنه لا مستند له في كلام السلف، لأنه لم ينقل عن واحد منهم أن فسّر الاستعارة بمثل ما قاله القزويني، فعبد القاهر لم يسم الاستعارة بالكناية ولا بغيرها عندما تحدّث عن استعارة اليد للشمال في بيت لبيد بن ربيعة. والسكاكي له رأيه الخاص به (٢)، الذي كان موضع نقاش من قبل البلاغيين.

وأمّا قول التفتازاني بأنّ ما قاله القزويني غير مبنيّ على مناسبة لغوية (٣)، فصحيح لأنّ اضمار التشبيه ليس فيه نقل للفظ إلى غير معناه فيكون مناسبا لأن يسمّى بالاستعارة بالكناية، كما يناسب نقل اللفظ الذي هو المجاز اللغوي (٤).

واتّفق مع التفتازاني على أنّ لفظي الأظفار والمنيّة في قولنا : أنشبت المنية أظفارها بناء على تفسير القزويني، كل منهما حقيقة لاستعمالهما في معناهما الحقيقي وهو ما وضع له في الأصل (٥).

وما عرضناه سابقا هو نماذج من تأثر ابن يعقوب بالتفتازاني، ونحن لا نستطيع أن نحصر المواضع التي تأثر فيها ابن يعقوب بالتفتازاني فكتاب ابن يعقوب كتاب ضخم، وامتاز ابن يعقوب بتوضيحه وشرحه لكثير من القضايا التي ذكرها التفتازاني لهذا يمكن القول إنّ أثر التفتازاني في ابن يعقوب يظهر فيما يلي :

---

(١) مواهب الفتاح، ٤ / ١٥٨ والمطول، ٣٨٢ .

(٢) السابق، ٤ / ١٥٨ وينظر٩٣-٩٤و١٠٦-١٠٨هذه الدراسة .

(٣) المطول ، ٣٨٦ .

(٤) مواهب الفتاح، ٤ / ١٥٨ .

(٥) السابق ، ٤ / ١٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مواضع جاء رأي ابن يعقوب فيها موافقا لما قاله التفتازاني (١).

مواضع أضاف فيها على ما قاله التفتازاني (٢).

مواضع فسّر فيها الأبيات الشعرية كما فسّرها التفتازاني (٣).

مواضع خالف فيها آراء التفتازاني (٤).

مواضع ذكر فيها آراء خاصة به (٥).

---

(١) مواهب الفتاح، ٢ / ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٥.

(٢) السابق، ٢ / ٢٤٥، ٢٨٣ و ٣/٣٣، ١٧٣، ٢٦٢ - ٢٧٤ و ٤ / ٨٢.

(٣) السابق، ١/٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤ و م/١١٥، ١٢٩، ١٤٣ و ٣/٢٨-٢٩.

(٤) السابق، ٣ / ١٨١، ١٨٢ و ٤ / ٤٩ - ٥٠، ٥٢ - ٥٤، ١٠٠.

(٥) السابق، ١ / ٤٦٨ و ٢ / ١٤٣، ١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

تهم ودفاع

لقد هضم كثير من الباحثين أتباع المدرسة الكلامية حقهم ، وحمّلوهم مسؤولية جمود البلاغة ومن ثم انحطاطها .

وتكاد تنحصر التهم التي وجهت إليهم فيما يلي :

بلاغة السكاكيين (أتباع المدرسة الكلامية) لا تعدو أن تكون نسخة أخرى مشوهة من بلاغة عبدالقاهر . وهم نقلوا من " المفتاح " شواهده وعباراته ومصطلحاته (١) .

وكانوا يهدفون إلى عرض معارفهم ، والإعلان عن مدى إلمامهم بالفلسفة والمنطق وأصول الفقه والنحو وغير ذلك من العلوم (٢) .

لم يعد للنص عندهم قيمة ، وإنما القيمة في اثبات القاعدة ، وتحديدها تحديدا دقيقا ، باخراج المحترزات حتى يصبح التعريف على حد قولهم جامعا مانعا (٣) .

بحثهم للبلاغة أقرب إلى الدراسات النحوية ، لهذا جاءت جافة لا رواء فيها ولا رونق (٤) .

أفقدوا البلاغة قدرتها على تذوق البلاغة ، وعلى تكوين البلغاء والنقاد ، وإن استطاعت أن تكوّن طبقات من البلاغيين يقفو بعضها أثر بعض (٥) .

---

(١) مقدمة عبدالقاهر الجرجاني في أسرار البلاغة لعبدالكريم الحياري ، الجامعة الأردنية ، ١٩٧٧م .

(٢) البلاغة عند السكاكي ، ٩٣٥ .

(٣) تاريخ البلاغة العربية ، ٣١٤ .

(٤) أثر النحاة في البحث البلاغي للدكتور عبدالقادر حسين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة، ١٩٧٥ م ، ٤٠٨ .

(٥) القزويني وشروح التلخيص ، ٢٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونتيجة لما سبق ذكره فقد ضاقت دائرة البلاغة الفنية ، وأفقدوها الجمال الفني والأدبي ، بل إنّ العكوف على هذه الكتب وشروحها وتلخيصاتها مما يميت المواهب ويقضي على الذوق (١) ، ويفقد القدرة على المتعة بروائع الشعر والنثر ؛ وذلك لما فيها من غريب لا يمت إلى البلاغة بصلة ، ولأنّ أسلوبها ضعيف ركيك وفيه مخالفة للقواعد النحوية والصرفية (١) .

وما عرضناه سابقا هو جملة من التهم التي وجهها الباحثون لأتباع المدرسة الكلامية ، وأول ما يلفت الانتباه التعميم في الأحكام السابقة ، فهم يصفون جميع أتباع المدرسة الكلامية بوصف واحد ، ويصدرون عليهم حكما واحدا ، فهم لا يستثنون واحدا من أصحاب الشروح من تلك الأحكام ، فهل يعقل أن ينسحب حكم واحد على مؤلفات أكثر من خمسة قرون متتالية ! ولعشرات المؤلفين فهل كلهم سواء وبمستوى واحد ؟ ومؤلفاتهم نسخة واحدة عن " المفتاح " ؟

والقول بأنهم أفقدوا البلاغة الجمال الفني والأدبي ، فيه مبالغة ، فقد اتضح لنا أنّ التفتازاني لم يهمل الذوق أثناء الشرح(٣) . كما أنّ أتباع هذه المدرسة لهم آراء تبيّن أهمية الذوق في العمل البلاغي .

فقد قال السكاكي: " إنّ ملاك الأمر في علم المعاني هو الذوق السليم والطبع المستقيم فمن لم يرزقهما فعليه بعلوم أخر (٤)". ومن يطّلع على تحليل السكاكي لمواطن الجمال الواردة في قوله تعالى:

---

(١) البيان العربي للدكتور بدوي طبانة . المكتبة الأنجلو المصرية، المطبعة الفنية الحديثة ، ط٤ ، ١٩٦٨م ، ٣٣٦ .

(٢) القزويني وشروح التلخيص ، ٦٠٧ والبلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ م ، ٣٥٨ - ٣٧٥ .

(٣) ينظر ٣٩ - ٤٢ هذه الدراسة .

(٤) المفتاح ، ٣٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي "(١) يجد تحليلا بلاغيا رائعا (٢) .

وقال طاشكبري زادة : إنّ الذوق غير العقل ، فمن واحد كامل يجمع بينهما ، ومن آخر له حظ من الثاني دون الأول ، ولا يمكن العكس ، وعدّ الذوق نعمة من مواهب الله السنيّة ، وأنعامه الجليلة (٣) ولا بد من الاقرار بأنّ ما قالوه لا يكفي بل كان يجدر بهم الاكثار من التحليل الأدبي للنصوص .

وأتباع هذه المدرسة يردون على الذين يقولون إنّ الاعجاز القرآني يعلّل ، ومقياسهم في تحليل الآيات علوم البلاغة ، يضاف إلى ذلك الذوق الذي لا يمكن بدونه فهم روعة القرآن الكريم ، وسر اعجازه (٤).

كما أنّ الباحثين يركزون في حديثهم على ذكر سلبيات هذه المدرسة ، ويغفلون الحديث عن مزاياها التي من أهمها :

أنهم حددوا لكل علم موضوعاته الخاصة به ، بعد أنّ كان مفتوحا دون تحديد ، فمثلا جعل ابن المعتز وقدامة بن جعفر وأبو هلال العسكري وابن رشيق ، الاستعارة والمجاز والكناية والتعريض من البديع (٥) . وأصبح علم البيان يشمل الكناية والتشبيه والمجاز ، بعد أن كان بعضهم يسمي الجميع علم البيان أو البديع .

ويعود الفضل إلى أتباع المدرسة الكلامية في تحديد المصطلحات البلاغية ، وتوضيح مفاهيمها . بحيث أصبح للمفهوم الواحد اسم محدد

---

(١) هود ، الآية ٤٤ .

(٢) المفتاح ، ٤١٧ - ٤٢١ .

(٣) شرح الفوائد الغياثية ، ٤٦ .

(٤) ينظر ٨٨ - ٨٩ هذه الدراسة .

(٥) الزمخشري للدكتور أحمد محمد الحوفي، دار الفكر العربي، ط١ ، ١٩٦٦م ، ٢٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متعارف عليه بين البلاغيين ، بدلا من وجود عدّة أسماء للمفهوم الواحد . فمثلا الارصاد والتسهيم عند القزويني وشراح تلخيصه، كان يعرف بالتوشيح عند قدامة بن جعفر ، وذكر ابن رشيق تسمية قدامة وإن سمّاه تسهيما أيضا ، ورأى ابن الأثير أنّ تسميته بالإرصاد أولى . وفضّل أبوهلال أن يسميه التبيين (١) .

ويمتاز أتباع المدرسة الكلامية بعرضهم لمختلف الآراء التي تثار حول قضية بلاغية ما ، ثم يقومون بمناقشتها وتحليلها لاختيار ما يرونه مناسبا ، وهم بذلك يفتحون الذهن على مسائل كثيرة قد يغفل عنها الباحث . أو لايستطيع أن يستخرج الآراء المختلفة من كتب أصحابها ، ويستطيع أن يقف عليها في هذه الشروح . وقد نجد فيها آراء لنحاة قد ضاعت بعض كتبهم (٢) .

ولماذا يلوم الباحثون أتباع المدرسة الكلامية ، وهم قد أتوا بطريقة جديدة في البحث البلاغي ، لم تكن متداولة ، فإذا كان عبدالقاهر يمثّل اتجاها في البحث البلاغي له مزاياه الخاصة به ، فهل كان عليهم اتّباع طريقته وبالتالي يصبحون تكرارا لمن سبقهم . فهم إذن قد اختطوا منهجا خاصا بهم .

ولا يكمن الخطأ في السكاكي ، فهو ابن عصره - كما يقولون - لأنه عاش في عصر جمع وتبويب ، وتقعيد وتقنين ، فقام بجمع فنون البلاغة ، بعد أن كانت أشتاتا مفرّقة في كتب كثيرة . وأعان كتاب " المفتاح " على حفظ الصورة البلاغية القديمة وروّج لها ، لكنه لم يسع إلى تطويرها ، لأنّ مهمته الرئيسية كانت الصون والحماية ، ونشر الذوق العربي السليم في كل الأرضين التي فتحها المسلمون(٣) . فالخطأ ليس في السكاكي نفسه أو في منهجه ، وإنما في الذين

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية ، ٩٤/١ .

(٢) القزويني وشروح التلخيص ، ٦٠٧ .

(٣) السابق ، ٦٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءوا بعده ، فهم الذين اتخذوه قدوة وإماما لهم ، ولم يخالفوه إلا في النزر اليسير ، وفي بعض الاضافات في بعض الأبواب .

والقول : إنا نجد صعوبة في فهم كتبهم وأسلوبهم ، فهذا صحيح ، لأن أكثرهم من غير العرب ، فإذا كانت عجمة مع فلسفة فقد كمل البعد عن جمال الفن وروحه (١) .

فأسلوبهم يحتاج إلى تأمل وتوقف عند النص أكثر من مرة لفهم ما يقصدون . وهم كانوا علماء كلام ومنطق قبل أن يكونوا بلاغيين ، ويضاف إلى ذلك أنهم لم يشتهروا بالشعر والأدب فانعكس ذلك فيما كتبوه .

وكفى بقول الدكتور عبدالمنعم خفاجي -شارح ومنقح " الايضاح "- " أنه أوفى كتاب في بحوث البلاغة ، وهو أوضح الكتب المؤلفة فيها نظاما وأسلوبا ، وهو كثير البحث والتعمق ، والاستنباط لأسرار البلاغة العربية . وقال أيضا إنه عمل جليل في البلاغة ، سواء في ترتيبه وتقسيمه وتنظيم بحوثه ، أم في استيعابه واستقصائه وتحليله، أم في جمعه واستمداده من شتى المصادر والمراجع ، أم في أسلوبه الأدبي وكثرة تطبيقاته الأدبية ، والكتاب غزير المادة ، كبير الفائدة في الأدب والنقد والبلاغة والبيان ". دفاعا عن أتباع المدرسة الكلامية ، وتبرز أهمية الرأي السابق أنه صدر عمن قام بدراسة الكتاب دراسة تفصيلية ومتعمقة (٢) .

ويمكننا القول إن إعجاب الباحثين بكتب عبدالقاهر ومنهجه في التأليف البلاغي ، هو الذي جعلهم ينظرون هذه النظرة إلى أتباع المدرسة الكلامية ، وعبدالقاهر نفسه أخذ في التأليف وهو يسعى قاصدا إلى وضع النظريات ، وتقرير الأصول والقواعد ، مما يدفع ما قد يتوهم من أن النزعة التقريرية في البلاغة ، قد تأخرت حتى

---

(١) مناهج التجديد، ١٣٠ .

(٢) الايضاح ، ١٠/١ ، ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السكاكي ، وهو وهم وقع فيه بعض المحدثين (١) ، ولولا أنّ السكاكي قد صار إماما لجمهور البلاغيين المتأخرين ، ولولا أنّ منهجه قد طغى على التأليف البلاغي بعده ، لما كان هناك مبرر لفصله عن مدرسة عبد القاهر .

وإذا كانت المدرسة الكلامية كما يصف هؤلاء الباحثون فما سرّ انتشار طريقتهم في البحث البلاغي ؟ ولهذا لاينبغي المبالغة في الحملة على أتباع المدرسة الكلامية .

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني في أسرار البلاغة ، ٣٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المآخـــذ

مآخذ على اتباع المدرسة الكلامية :

يمكن تقسيم المآخذ التي تؤخذ على التفتازاني ومنهجه إلى قسمين :

قسم يؤخذ على أتباع المدرسة الكلامية ولم ينج التفتازاني منها .

وقسم أخذناه على التفتازاني فقط .

أولى هذه المآخذ إنّ أتباع المدرسة الكلامية يعتمدون على نصوص محدّدة للتطبيق عليها . حيث يذكرون مثالا واحدا للقضية البلاغية التي هم بصدد الحديث عنها . ثم يدور حوله النقاش ، على رغم وجود غيره من النصوص تنطبق عليها القاعدة ، وربما أكثر من النص الذي تناقلوه في كتبهم فلماذا نلزم أنفسنا بمثال واحد ؟

فهم يمثّلون لمخالفة القياس الصرفي بفك الادغام الوارد في قوله :

الحمدلله العلي الأجلل

الواحد الفرد القديم الأزلي (١)

مع أنّ في قول المتنبي :

إذا كان بعض الناس سيفا لدولة

ففي الناس بوقات له وطبول (٢)

مخالفة للقياس الصرفي لا تقل قبحا عما ورد في البيت السابق .

وهم يصرون على الاستشهاد بقول العجّاج :

ومُقْلَةٌ وحاجبا مُزَجّجا

وفاحما ومَرْسنا مُسَرّجا (٣)

---

(١) معاهد التنصيص ، ٧/١ .

(٢) ديوان المتنبي ، ١٠٨/٣ .

(٣) ديوان العجّاج ، ٣١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كمثال على الغرابة الناتجة عن خفاء المعنى الذي يقصده الشاعر ، مع أنّ ماورد في بيت أبي تمام :

لقد طلعتْ في وجه مصر بوَجْهه

بلا طائر سعْد و لا طائر كهل (١)

فيه خفاء في المعنى أكثر مما ورد في البيت السابق .

كما أننا نجد البيت الواحد يدور في كتبهم للاستشهاد به ، لمجرّد انطباق القاعدة عليه بغضّ النظر عن قيمته الفنيّة ، فمثلا وجدنا البيت التالي :

وقبر حرب بمكان قفر

وليس قرب قبر حرب قبر (٢)

الذي قال عنه التفتازاني إنّ قائله جماعة من الجن قالته بمناسبة موت حرب بن أميّة (٣) . وهذا البيت لا نكاد نظفر بمثيل له ، وكأنه مصنوع لأجل هذا الشرط ، كما أنه فارغ من المعنى .

وأمثلة المجاز العقلي التي تتوارث من بلاغي إلى آخر تكاد تمثّل جملا محددة ، وهي بذلك تكون نمطا أدائيا لا يستحق هذا الجهد ، وكأنها صيغ منحوته تصالح عليها العرف اللغوي (٤) ، ومنها قولهم : " نهارك صائم " و " ليلك قائم " مع أنّ المثالين السابقين مصنوعان .

وهم يشترطون في النصوص لتكون فصيحة خلوّها من التنافر ، وعدم مخالفتها للقياس اللغوي أو الصرفي ، وهذه الأمور من البديهي أن يتجنبها الأديب وإلاّ كيف نعدّه بليغا ؟ . وقد تتوفر الشروط التي ذكروها ليكون النص بليغا وفصيحا ، ومع ذلك إذا لم يحسن

---

(١) ديوان أبي تمام ، ٥٢٣/٤ وفي الديوان و لا طائر سهل.

(٢) المختصر ، ٨٣/١ .

(٣) السابق ، ٨٣/١ .

(٤) فلسفة البلاغة ، ٢٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأديب صياغة التركيب اللغوي ، فإنّ ذلك لن يجبر الصياغة الضعيفة. وقد تنبّه التفتازاني إلى ذلك عندما قال : قد يحصل التعقيد باجتماع عدّة أمور موجبة لصعوبة فهم المراد ، وإن كان كل واحد منها جاريا على القانون النحوي ، وقد تكون الكلمات ثقيلة على اللسان وإن كانت كل منها فصيحة (١) .

وهم قاموا بحصر مواضع التقديم والتأخير والذكر والحذف في مواطن معينة ، وكأنهم نسوا أنّ هذا يرجع إلى مهارة الفنان . والقدرات الفنية لدى الفنان أرحب من تحديدها برسوم محددة وتقعيدات ، فقد تكون هنالك أغراض أعمق وأدق من تلك التي حصروها، فنحن نستشف الغطاء الفني لنسق التركيب من داخل العمل نفسه ، ومن بنيته الفنية الخاصة به (٢) .

ونتيجة لاهتمام أتباع المدرسة الكلامية بالتقسيمات وما ينتج عنها ، فكأنهم تركوا البحث في قيمة التشبيه البلاغية ، وانصرفوا إلى تقنيات يفرعون منها تفريعات تعتمد على احصاءات غير مجدية(٣). فحديثهم عن التشبيه باعتبار طرفيه (حسيان - عقليان - مختلفان). ووجه الشبه (تحقيقي - تخييلي) . ووجه الشبه إمّا خارج عن حقيقة الطرفين وإمّا غير خارج . ووجه الشبه إمّا واحد وإمّا بمنزلة الواحد لكونه مركبا من متعدد إمّا ترتيبا اعتباريا وإمّا حقيقيا(٤) .....الخ . يثبت صحة ما ذهبنا إليه ، فكأنهم نسوا أن قيمة التشبيه تستمد من الموقف الذي يدل عليه السياق ، ويستدعيه الاحساس الشعوري المنبث خلال الموقف التعبيري ، وليس فقط من طرفيه أو من وجه الشبه القائم بينهما . وكثرة التقسيمات

---

(١) المختصر ، ٨٣/١ ، ٨٨ .

(٢) فلسفة البلاغة ، ٨١ .

(٣) السابق ، ٢٩٧ .

(٤) المطول ، ٣١١ - ٣١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتفريعات تشغل القارىء عن تلمّس مواطن الجمال في النص ، ومن قال بأنّ من ينظم قصيدة يفكّر في تلك التقسيمات أو تخطر بباله .

وبما أن أتباع المدرسة الكلامية يحرصون على وضع التعاريف الدقيقة المانعة كما يقال ، ويهتمّون بالعبارات الدقيقة ، اذن لماذا يذكرون عبارات يفهم من ظاهرها عكس ما يريدون ، أو يفهم منها شيء آخر لم يرده المؤلف الأصلي ، فنتج عن ذلك أنّ من تولى شرح كتبهم أو تلخيصها يجهد نفسه في تفسير المقصود بها ، أو بيان مراده من كلامه . وهذا بدوره أدّى إلى مزيد من الجدال والنقاش. فمثلا في بحث المجاز اللغوي نجد أنّ السكاكي قد عرّفه : "بالكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير ، بالنسبة إلى نوع حيقتها مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في ذلك النوع "(١) . ومع أنّ السكاكي نفسه قام بتوضيح مقصوده من عدة عبارات وردت في تعريفه السابق ، شعر أنها بحاجة إلى توضيح ، إلاّ أنّ هذا لم يمنع التفتازاني من مناقشته فيما ذهب إليه ، وتوصّل إلى أنّ مقصوده من عبارة " بالنسبة إلى نوع حقيقتها " (٢) بمنزلة قولنا : " في اصطلاح به التخاطب " وهذا القيد أوضح وأدل على المقصود ، ولهذا استخدمه القزويني في تعريفه عندما قال :" المجاز اللغوي الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق في اصطلاح به التخاطب مع قرينة مانعة عن إرادته"(٣) . ولمّا شعر التفتازاني أنّ عبارة السكاكي " بالتحقيق " قاصرة عن أداء المعنى المقصود بها قام بالتوضيح التالي : وضع السكاكي قيد " بالتحقيق " ليدخل بذلك الاستعارة في التعريف ، لأنه لا يصدق عليها أنها مستعملة

---

(١) المفتاح ، ٣٥٩ .

(٢) المطول ، ٣٨٧ .

(٣) التلخيص ، ٢٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في غير ما وضعت له (١) .

مآخذ على منهج التفتازاني :

ذكر التفتازاني رأيي السكاكي والقزويني في تنكير المسند إليه الوارد في قوله تعالى : " وعلى أبصارهم غشاوة "(٢) كما هما دون ترجيح لرأي على آخر .

فقد قال السكاكي : نكّر لتهويل أمرها(٣) . وقام التفتازاني بتوضيح هذه العبارة ، لأنّ المقصود بيان بعد حالهم عن الادراك . والتعظيم أدلّ عليه وأوفى (٤) . ثم ذكر ما قاله القزويني: إنّ التنكير ههنا للنوعية ، أي نوع من الأغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله (٥) .

وقد يكتفي التفتازاني بذكر القواعد البلاغية ، دون التمثيل لها بالنصوص المناسبة ، ولا حتى بالأمثلة المصنوعة . ومن أمثلة ذلك قوله : قد نضع المظهر موضع المضمر ، إذا كان المظهر اسم اشارة ، فقد يأتي للتهكم بالسامع ، والنداء على كمال بلادته ، أو فطانته ، أو ادعاء كمال ظهور المسند (٦) .

وقال : وقد يذكر المسند إليه للتهويل أو التعجب أو الاشهاد في قضية ، أو التسجيل على السامع حتى لا يكون له سبيل إلى الإنكار هذا كله مع وجود القرينة (٧) .

---

(١) المطول ، ٣٨٧ .

(٢) البقرة ، الآية ٧ .

(٣) المفتاح ، ١٩٣ .

(٤) المطول ، ٨٨ .

(٥) الايضاح ، ٣٥/٢ .

(٦) المطول ، ١٢٩

(٧) السابق ، ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال لا يكون التمني بلو إلاّ إذا كان المتمنى عزيزا صعب الوقوع ، بعيد المنال، ممثلا لذلك بالمثال : لو تأتيني فتحدثني . بنصب الفعل المضارع (١) . وعند التدقيق في المثال الذي ذكره لا نجد فيه قيمة بلاغية ، ولا يوجد فيه شيء صعب الوقوع . وكان بإمكانه أن يمثل لذلك بقوله تعالى :" لو أنّ لنا كرّة فنكون من المؤمنين "(٢) لأنّ في الآية تمني الرجوع إلى الدنيا وهذا شيء بعيد المنال .

أو بقول جرير :

بان الشباب حميدة أيامه

ولو أنّ ذلك يشترى أو يرجع(٣)

وكما يظهر فإنّ النصين اللذين ذكرا فيهما اشراق ، وبلاغة بخلاف المثال الذي ذكره التفتازاني .

وعندما تحدث التفتازاني عن الغرض من التشبيه ، عندما يكون لبيان مقدار حال المشبه به في القوة والضعف والزيادة والنقصان . مثّل لذلك بتشبيه الثوب الأسود بالغراب في شدة السواد (٤) . وكان بامكانه أن يمثل لذلك بقوله تعالى :" ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب إنّ الله على كل شيء قدير"(٥) ، فالمخاطب المسلم يعرف أمر الساعة في قربها معرفة عامة، إذ أنّ الساعة آتية ، لا ريب فيها ، وقد جاء المشبه به "لمح البصر" وحدد مقدار هذا القرب ودرجته، وبين أنّ اتيانه

---

(١) المطول ، ٢٢٥ .

(٢) الشعراء ، الآية ١٠٢ .

(٣) ديوان جرير ، شرح محمد بن حبيب ، تحقيق الدكتور نعمان حمد أمين طه ، دار المعارف - مصر ، ٩١٠/٢ .

(٤) المطول ، ٣٣١ .

(٥) النحل ، الآية ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقرب من القريب في سرعة حصوله ودنو وقوعه(١) .

واهتمام التفتازاني بالتعليل أوصله إلى التكلّف ، وإلى الاهتمام بأمور ثانوية ، كان يجدر به تجنب الخوض فيها . من ذلك اشارته إلى الاختلاف الوارد في ترتيب مواد " وصف المسند إليه " بين السكاكي والقزويني ، فالقزويني أخّر ذكر التوابع وضمير الفصل عن التنكير ؛ جريا على ما هو المناسب من ذكر التنكير بعد التعريف، بينما قدّمها السكاكي على التنكير ؛ نظرا إلى أنّ ضمير الفصل وكثيرا من اعتبارات التوابع إنما يكون مع تعريف المسند إليه دون تنكيره (٢) . فما الفائدة البلاغية التي جنيناها من بحث هذه القضية، فالبلاغة التي نقيس بها الأدب ونحكم عليه من خلالها، لا يمكن أن يعلل منهج بحثها بهذا التعليل ، وأن يصطنع لها اصطناعا مما يبعدها عن روحها الأدبية (٣).

وقال في مقدمة " المطول " أنه سيتجنّب تقليد من سبقوه ، فإذا به يقع بما قال أنه سيأتى عنه . فقد نبّه كما فعل القزويني من قبله إلى أنّ كثيرا من موضوعات " الخبر " عند السكاكي تدخل في الطلب أيضا ، مثل التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والتعريف والتنكير إلاّ أنه تابع السكاكي في تقسيمه وترتيبه (٤) ولعل ذلك عائد لشعوره بأنّ السكاكي قد حصر البلاغة حصرا منطقيا ، وضبط مسائلها ضبطا عقليا ، بحيث لم يفكّر في تعديل منهجه، أو لأنه سُحر كما سُحر غيره من البلاغيين بطريقة السكاكي، فمع تنبههم إلى ما في منهجه، من اضطراب ساروا عليه من غير أن يحاولوا اصلاحه ، إلاّ

---

(١) البلاغة والتطبيق ، ٣١٢ .

(٢) المطول ، ٩٠ .

(٣) أساليب بلاغية ، ٧٩ .

(٤) المطول، ٣٨ ، ١٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما صدر عنهم من ملاحظات لا تبعد البلاغة عن جوهر منهج السكاكي كثيرا (١) .

والاقتصار على مناقشة قضية بلاغية بالاعتماد على منهج مسبق، يضيق نطاق البحث ، ويحصر التفكير في اتجاه واحد ، فالتفتازاني عند حديثه عن " الفصل والوصل " لم يتجاوز ما قاله السكاكي والقزويني . فهو لم يتطرق إلى بحث عطف المفرد على المفرد، ولهذا لم نجد تحليلا أو تعليلا لمثل ما ورد في قوله تعالى :" يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه "(٢) وقوله تعالى :" يودّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه و صاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤيه"(٣) ففي الآيتين السابقتين المفردات المتعاطفة فيها واحدة ، ولكن الاختلاف في ترتيبها من سياق لآخر .

وكذلك الأمر فيما يتعلق بقوله تعالى: "قالوا إنما أنت من المسحّرين ما أنت إلاّ بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين"(٤) حيث جاءت " ما أنت إلا بشر مثلنا " مفصولة عما قبلها . بينما جاءت موصولة بالواو مع الجملة نفسها في قوله تعالى :" قالوا إنما أنت من المسحّرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنّك لمن الكاذبين"(٥) فبحث مثل هذه الأمور من صميم العمل البلاغي ، وفيه بيان لمواطن الاعجاز في القرآن الكريم الذي كان الهدف الأساسي وراء تأليفهم لكتبهم كما يقولون .

ومما يؤخذ عليه أيضا أنه ذكر أنواعا من المحسنات قد أهملها

---

(١) البلاغة عند السكاكي ، ١٤٦ .

(٢) عبس ، الآيات ٣٤ - ٣٧ .

(٣) المعارج ، الآيات ١١ - ١٤ .

(٤) الشعراء ، الآيتان ١٥٣ - ١٥٤ .

(٥) الشعراء ، الآيتان ١٨٥ - ١٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القزويني ، وقال التفتازاني عن قسم منها : " يتعين اهماله ويجب ترك التعرض له ، لعدم دخوله في البلاغة ، أو لعدم كونه راجعا إلى تحسين الكلام البليغ ، ثم ذكر أمثلته" (١) . وإذا كان هذا النوع كما وصف فكان الأجدر به اهمال الحديث عنه .

ولم ينج شرحه من استخدام مصطلحات الفلاسفة والمناطقة وأساليبهم ، مما أدّى إلى غموض بعض العبارات ، بحيث لا يمكن فهم المقصود بها إلاّ بعد العودة إلى كتب الفلسفة والمنطق (٢) ، وقد نجد بعض العبارات التركيبة لغويا (٣) .

وكثيرا ما وجدنا عبارات لم يحدد قائلها كأن يقول : ذكر بعض المحققين ، وذكر بعضهم ، أو أئمة التفسير والنحو ، أو عبارات مبنية للمجهول مثل : قيل وأجيب (٤) .

ومن المواضع التي أخطأ فيها التفتازاني :

أورد سهوا أنّ الحسن بن علي دخل على معاوية بن أبي سفيان (٥) وتمثّل بقول أبي ذؤيب :

* وإذا المنية أنشبت أظفارها *(٦)

والصحيح أنّ الذي دخل على معاوية هو عبدالله بن العباس ، لا الحسن ابن علي ، لأنّ وفاة الحسن كانت في (- ٤٢ هـ) ووفاة عبدالله كانت في (- ٦٨ هـ) ووفاة معاوية في (- ٦٠ هـ) (٧) .

---

(١) المطول ، ٤٦١ .

(٢) ينظر ٢٣ - ٣٨ هذه الدراسة .

(٣) المطول ، ٣٥٠ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ .

(٤) السابق ، ٦٩ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١٤٧ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ .

(٥) السابق ، ٣٨٢ .

(٦) أشعار الهذليين ، ٤/١ .

(٧) هامش كتاب ، بحوث ومقالات في البيان والنقد الأدبي للدكتور محمد بركات أبو علي ، دار البشير ، ١٩٨٩م ، ١٧٢ - ١٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونسب التفتازاني البيتين :

و لا زَوَرْدِيّة تزهو بزرقتها

بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنها فوق قامات ضَعُفْن بها

أوائل النار في أطراف كبريت

إلى أبي العتاهية (١) ، وفي " معاهد التنصيص " أنهما لابن الرومي(٢) ، وبعد العودة إلى دواوين الشاعرين تبيّن أنهم لم يردا في ديوان أبي العتاهية . ولم يردا في ديوان ابن الرومي إلاّ في الشعر المنسوب إليه .

---

(١) لم نعثر عليهما في :

- الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية للأب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ، ط٤ ، ١٩١٤ م .

- ديوان أبي العتاهية ، دار صادر - بيروت ، ١٩٨٠م .

- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، تحقيق الدكتور شكري فيصل ، مكتبة دار الملاّح - دمشق .

(٢) ديوان ابن الرومي ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، مطبعة دار الكتب - القاهرة ، ١٩٨٣م ، ٣٩٤/١ وفي الديوان وضعاف القضب تحملها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة والنتائج

بعد هذا التطواف مع التفتازاني في " المطول " نرجو أن نكون قد وفقنا في عرض آرائه وجهوده البلاغية ، وبيان مقدار الجهد الذي بذله في سبيل ايصال فكره البلاغي إلى المتلقي .

وقد حاولنا التعامل بموضوعية مع ما كتبه التفتازاني ، وقد توصلنا من خلال الاتصال المتعمّق " بالمطول " إلى ما يلي :

لم يكن التفتازاني مجرد ناقل لما قاله البلاغيون ، بل تبيّن أنه ذو شخصية مستقلة ومتميزة ، ظهر ذلك في ردوده وتوجيهاته لآراء عبدالقاهر والزمخشري والسكاكي والقزويني ، فهو كان يأخذ ما يرى أخذه واجبا ، ويعدل عما يراه بحاجة إلى تعديل ، ويخالف ما لا يعجبه وما لا يرتضيه .

وتجلّى ذلك أيضا في اضافاته ، وما تبنّاه من آراء بلاغية أثناء شرحه لكثير من القضايا البلاغية الواردة في كتابه ، وهذه الاضافات لم ترد عند السكاكي والقزويني ، وإن وردت عند غير التفتازاني من البلاغيين .

ولاحظنا اهتمام التفتازاني بالذوق الأدبي ، فقد وجدنا في "المطول " لفتات بلاغية ، واشارات ذوقية متناثرة في ثنايا "المطول " ، وبامكان الباحث بمزيد من الصبر والتأني أن يجمع ويستخرج مادة بلاغية جيدة .

وتبيّن كذلك أنّ استخدامه للفلسفة والمنطق كان لعرض قضاياه البلاغية ، ويعود أيضا لثقافته المتعمقة فيهما ، فما ورد في "المطول " كان نتيجة مباشرة لهذه الثقافة ، وهو لم يكن الوحيد الذي استلهم المنهج الفلسفي فيما كتبه .

وأكثر التفتازاني من الاستشهاد بالآيات القرآنية والنصوص الشعرية والأمثلة المصنوعة خلافا لما شاع بين الباحثين أنّ أتباع المدرسة الكلامية لا يهتمون بالنصوص والأمثلة فيما يكتبون .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واتضح أنّ التفتازاني اعتمد كثيرا على آراء عبدالقاهر في عرض قضاياه البلاغية وفي هذا بيان للصلة القوية بين المدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية في البلاغة .

وانتصف للسكاكي في أكثر من موضع ، وأخذ على القزويني أنه يخطىء في فهم مقصود عبدالقاهر من كلامه ، وإن كان هو نفسه قد وقع فيما أخذه على القزويني .

ونادى بتقليل الأقسام ، لأنّ في ذلك تسهيلا على القارىء ، ولهذا كان يتجنب الخوض في تفاصيل ما لا قيمة له بلاغيا .

وامتاز بسعة أفقه واطّلاعه ، ظهر ذلك من خلال تحقيقه لعدد من القضايا البلاغية التي كانت موضع خلاف بين البلاغيين ، وهو لم يكن يتعصب لرأي من الآراء ، وإنما كان يحاول التوفيق بينها ، وإذا لم يكن ذلك ممكنا يذكر الرأيين كما هما .

ولكل ما ذكر سابقا نرجو أن نكون قد وفقنا في انصاف التفتازاني واعطائه حقه الذي سلبه اياه كثير من الباحثين ، عندما كانوا يصنفونه ضمن فترة جمود البلاغة ، وكل ما توصّلنا إليه كان نتيجة للاتصال المباشر فيما كتبه التفتازاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : المصـــــــــادر

١ . أبو العتاهية أشعاره واخباره ، تحقيق الدكتور شكري فيصل ، مكتبة دار الملاح - دمشق .

٢ . أسـرار البلاغة ، عبدالقاهر الجرجاني (- ٤٧٤ هـ) تحقيق هـ - ريتر ، دار المسيرة - بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩م .

٣ . أنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (- ٨٥٢ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

٤ . الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية ، عني بطبعه الأب لويس شيخو اليسوعي ، نقلا عن رواية النمري ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ، ط٤ ، ١٩١٣م .

٥ . الايضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني الخطيب (- ٧٣٩ هـ) شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط٢ ، ١٩٨٤م .

٦ . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد علي الشوكاني (- ١٢٥٠ هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.

٧ . البديـــع ، أبـو العباس عبدالله بن محمد المعتز (- ٢٩٦ هـ) ، نشر وتعليق المقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار المسيرة - بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢م .

٨ . تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل بن حماد (-٣٩٣ هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٩٦٥م.

٩ . التلخيص في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني الخطيب (- ٧٣٩ هـ) ضبطه وشرحه عبدالرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط٢ ، ١٩٣٢م .

١٠ . الحـــلة السيرا في مدح خير الورى ، محمد بن أحمد بن علي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن جابر الاندلسي الهوّاري (- ٧٨٠ هـ) تحقيق علي أبو زيد ، عالم الكتب ، ط١ ، ١٩٨٥م .

١١ . خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، محمد أمين ابن فضل الله المحبيّ (- ١١١١ هـ) مكتبة خيّاط - بيروت .

١٢ . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (-٨٥٢هـ) حققه وقدم له محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة - القاهرة .

١٣ . دلائل الاعجاز، عبدالقاهر الجرجاني (- ٤٧٤هـ) تعليق محمود محمد شاكر مكتبة الخانجي - القاهرة .

١٤ . ديوان ابن رشيق القيرواني(- ٤٦٣ هـ) جمعة ورتبه الدكتور عبدالرحمن ياغي ، دار الثقافة - بيروت .

١٥ . ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج(- ٢٨٣هـ) تحقيق الدكتور حسين نصار ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٣م .

١٦ . ديوان ابن نباته السعدي أبو نصر عبدالعزيز بن عمر(- ٤٠٥هـ) دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي ، منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة - بغداد ، ١٩٧٧م .

١٧ . ديوان أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي (- ٢٣١ هـ) شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر .

١٨ . ديوان أبي دلامة الأسدي (- ١٦١ هـ) اعداد الدكتور رشدي حسن، مؤسسة الرسالة - بيروت ودار عمار - عمان ، ط١ ، ١٩٨٥م.

١٩ . ديوان أبي الطيب المتنبي، أحمد بن حسين (- ٣٥٤هـ) شرح أبي البقاء العكبري ، المسمى بالتبيان في شرح الديوان ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضبطه ووضع فهرسه مصطفى السقا وابراهيم الانباري وعبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة - بيروت ، ١٩٧٨م .

٢٠ . ديوان أبي العتاهية ، اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان (- ٢١٠ هـ) دار صادر - بيروت ، ١٩٨٠م .

٢١ . ديوان الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس ، شرح وتعليق الدكتور م.محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز .

٢٢ . ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط٣ .

٢٣ . ديوان البحتري، الوليد بن عبيد (- ٢٨٤ هـ) تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف بمصر .

٢٤ . ديوان بشار بن برد (- ١٦٨ هـ) تعليق محمد الطاهر بن عاشور ومحمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ، ١٩٠٤م .

٢٥ . ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (- ٥٠هـ) شرحه وكتب هوامشه وقدم له عبد مهنا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م .

٢٦ . ديوان حسان بن ثابت الأنصاري(- ٥٠هـ)، دار صادر - بيروت.

٢٧ . ديوان دعبل بن علي الخزاعي (- ٢٤٦ هـ) جمعه وحققه الدكتور محمد يوسف نجم ، دار الثقافة - بيروت ، ١٩٦٢م .

٢٨ . ديوان ديك الجن الحمصي، عبد السلام بن رغبان (- ٢٣٦هـ) حققه وأعدّ تكملته الدكتور أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري، دار الثقافة - بيروت .

٢٩ . ديوان ذي الرمة، غيلان بن عقبة العدوي (- ١١٧ هـ) شرح الامام ابي نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبدالقدوس أبو صالح ، مطبعة طربين - دمشق ، ١٩٧٢م.

٣٠ . ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري (- ٤٤٩ هـ) شرح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعليق الدكتور نهاد رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ، ١٩٦٥م.

٣١ . ديوان العباس بن الأحنف (- ١٩٢ هـ) شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٤م .

٣٢ . ديوان العجاج ، عبدالله بن رؤبة (- ٩٦ هـ) رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي ، شرحه وعني بتحقيقه الدكتور عزة حسن ، مكتبة دار الشروق - بيروت .

٣٣ . ديوان الفرزدق ، همام بن غالب بن مجاشع (- ١١٤ هـ) شرحه وضبطه وقدّم له علي فاعور ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م .

٣٤ . ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق وتعليق الدكتور ناصر الدين الأسد، مكتبة دار العروبة - القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٢م .

٣٥ . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي، دار المسيرة - بيروت ط٢، ١٩٧٩م .

٣٦ . شرح أشعار الهذليين ، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق عبدالستار أحمد فرّاج ، راجعه محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة - القاهرة .

٣٧ . شرح بائية علقمة " طحابك قلب " تأليف عبد الله الطيّب ،دار الفكر - بيروت والدار السودانية - الخرطوم ، ١٣٩٠م .

٣٨ . شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (- ٥٠ هـ) صححه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٩٨١م .

٣٩ . شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (- ٥٠ هـ) صححه عبدالرحمن البرقوقي ، طبعة دار الأندلس .

٤٠ . شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (- ٤٢١ هـ) نشره أحمد أمين وعبدالسلام هارون ، دار الجيل - بيروت ،ط١ ، ١٩٩١م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤١ . شرح ديوان الخنساء ، تماضر بنت عمرو بن الشريد شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ ، ١٩٨٥م .

٤٢ . شرح ديوان لبيد بن ربيعة حققه وقدم له الدكتور احسان عباس ، وزارة الارشاد والانماء في الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٢م .

٤٣ . شرح شعر زهير بن أبي سلمى ، أبو العباس ثعلب ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ، ١٩٨٢م .

٤٤ . شرح شواهد التلخيص المسمى بمعاهد التنصيص ، عبدالرحيم ابن عبد الرحمن بن أحمد العباس (- ٦٩٣ هـ) المطبعة البهية المصرية- القاهرة ، ١٣١٦ هـ .

٤٥ . شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (- ٩١١ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٣٩م .

٤٦ . شرح الفوائد الغياثية من علمي المعاني والبيان ، عصام الدين أحمد بن مصطفى الشهير بطاشكبري زادة (- ٩٦٨ هـ) مطبعة عامر عثمان حلمي قرة ، ١٣١٢ هـ .

٤٧ . صحيح البخاري ، محمد بن أبي الحسن اسماعيل بن ابراهيم (- ٢٥٦هـ) دار الجيل - بيروت .

٤٨ . صحيح مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (- ٢٦١هـ) حقق نصوصه وصححه ورقمه محمد فؤاد عبدالباقي . دار احياء الكتب العربية .

٤٩ . الفائق في غريب الحديث ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (- ٥٣٨ هـ) ضبطه وصححه محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد النجداوي ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٤٧م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٠ . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (- ٥٣٨ هـ) رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي . ١٩٨٦م .

٥١ . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة مصطفى بن عبدالله عني بتصحيحه وطبعه وتعليق حواشيه محمد شرف الدين يالتقايا، مطبعة وكالة المعارف - استنابول، ١٩٤١م .

٥٢ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير (- ٦٢٧ هـ) قدمه وحققه الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، ط١ .

٥٣ . مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي ، طبع ليبسنغ- برلين ، ١٩٠٣م .

٥٤ . مختصر المعاني وهو الشرح الصغير على متن تلخيص المفتاح، مسعود بن عمر الشهير بسعد الدين التفتازاني (-٧٩٢هـ)مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر ، ط٢ ، ١٣٥٩ هـ .

٥٥ . المطول على التلخيص، وهو الشرح الكبير على متن تلخيص المفتاح ، مسعود بن عمر الشهير بسعد الدين التفتازاني(- ٧٩٢ هـ) مطبعة أحمد بن كامل سلطان بايزيد استنابول، ١٣٣٠هـ .

٥٦ . مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لأحمد بن مصطفى طاشكبري زادة (- ٩٦٨ هـ) تحقيق كامل كامل بكري وعبدالوهاب أبو النور ، دار الكتب الحديثة - القاهرة .

٥٧ . مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (- ٦٢٦ هـ) ضبطه وشرحه نعيم زرزور ، دار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م .

٥٨ . المفصل، أبوالقاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (-٥٣٨هـ) شرح موفق الدين يعيش بن علي النحوي (-٦٤٣ هـ) عالم الكتب- بيروت .

٥٩ . نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، فخر الدين الرازي (-٦٠٦هـ) تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور محمد بركات أبو علي ، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان ، ١٩٨٥م .

٦٠ . هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، اسماعيل باشا البغدادي منشورات مكتبة المثنى - بغداد ، ١٩٥٥م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا المراجع :

٦١ . أثر النحاة في البحث البلاغي ، الدكتور عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة - القاهرة ، ١٩٧٥م .

٦٢ . أساليب بلاغية ، الدكتور أحمد مطلوب ، وكالة المطبوعات - الكويت .

٦٣ . الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٩م .

٦٤ . البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم ، الدكتور شفيع السيد، دار الفكر العربي - القاهرة .

٦٥ . بحوث ومقالات في البيان والنقد والأدبي ، الدكتور محمد بركات أبو علي ، دار البشير - عمان ، ١٩٨٩م .

٦٦ . البلاغة الاصطلاحية ، الدكتور عبده عبدالعزيز قلقيلة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٧م .

٦٧ . البلاغة تطور وتاريخ ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م .

٦٨ . البلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها ، الدكتور علي عشري زايد ، مكتبة الشباب ، ١٩٧٧م .

٦٩ . البلاغة عند السكاكي ، الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات مكتبة النهضة - بغداد ، ط١ ، ١٩٦٤م .

٧٠ . البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)، الدكتور فضل حسن عباس ، دار الفرقان - عمان ، ط١ ، ١٩٨٧م .

٧١ . البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، الدكتور فضل حسن عباس ، دار الفرقان - عمان ، ط١ ، ١٩٨٧م .

٧٢ . البلاغة والتطبيق ، الدكتور أحمد مطلوب والدكتور كامل حسن البصير ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الجمهورية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العراقية ، ط١ ، ١٩٨٢م .

٧٣ . البيان العربي ، الدكتور بدوي طبانة ، المكتبة الانجلو المصرية ، المطبعة الحديثة ، ط٤ ، ١٩٦٨م .

٧٤ . تأثير الفكر الديني عند العرب في البلاغة العربية ، الدكتور مهدي صالح السامرائي، المكتب الاسلامي، ط١ ، ١٩٧٧م.

٧٥ . تاريخ البلاغة العربية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٠م .

٧٦ . تيسير الايضاح ، الدكتور محمد بيلو أحمد أبو بكر ، مطبعة السعادة ، ١٩٨٢م .

٧٧ . دائرة المعارف الاسلامية ، لفنسنك وآخرين ترجمة محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، طهران ، طبعة القاهرة ، ١٩٣٣م .

٧٨ . دلالات التراكيب ، الدكتور محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٩م .

٧٩ . الزمخشري ، الدكتور أحمد محمد الحوفي ، دار الفكر العربي ، ط١ ، ١٩٦٦م .

٨٠ . الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي ، الدكتور محمد بركات أبو علي ، مكتبة الرسالة - عمان ، ١٩٧٩م .

٨١ . عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة ، عبدالكريم أحمد العبد السالم ،"مخطوط" ١٩٧٧م ، رسالة ماجستير ، مقدمة إلى قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الأردنية .

٨٢ . فخر الدين الرازي بلاغيا ، ماهر مهدي هلال ، دار الحرية للطباعة - بغداد ، ١٩٧٧م .

٨٣ . مجلة الفكر العربي ، حزيران ، ١٩٨٧م العدد السادس والأربعون، السنة الثانية - المحسنات البديعية محاولة لدراسة بعضها بين الصيغ والوظيفة، الدكتور قصي سالم علوان.

٨٤ . فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، الدكتور رجاء عيد ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منشأة المعارف بالاسكندرية ، ط٢ .

٨٥ . فن البديع . الدكتور عبد القادر حسين ، دار الشروق ، ط١ ، ١٩٨٣م .

٨٦ . في البنية والدلالة ، سعد أبو الرضا ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٧٧م .

٨٧ . القزويني وشروح التلخيص ، الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات مكتبة النهضة - بغداد ، ط١ ، ١٩٦٧م .

٨٨ . المجاز في البلاغة العربية ، الدكتور مهدي صالح السامرائي دار الدعوة - سوريا ، ١٩٧٤ م .

٨٩ . معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني ، الدكتور محمد بركات أبو علي ، دار الفكر - عمان ، ط١ ، ١٩٨٤م .

٩٠ . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الدكتور أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٧م .

٩١ . مناهج بلاغية ، الدكتور أحمد مطلوب ، وكالة المطبوعات - الكويت ، ط١ ، ١٩٧٣م .

٩٢ . مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، أمين الخولي ، دار المعرفة ، ط١ ، ١٩٦١م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخـــــــص

تتناول هذه الدراسة كتاب " المطول على التلخيص " لسعد الدين التفتازاني ، الذي هو شرح ل " تلخيص المفتاح " لجلال الدين القزويني .

وتتكون هذه الدراسة من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة . وتركز الحديث فيها عن الجهود البلاغية للتفتازاني من خلال قراءة " المطول " وتحليل ما ورد فيه من قضايا بلاغية ، حيث اتضح أنّ التفتازاني وإن سار على منهج أتباع المدرسة الكلامية ، إلاّ أنه تميّز في عرضه لبعض القضايا البلاغية كالمجاز العقلي ، والالتفات، والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية ، والطباق.

وتبرز جهود التفتازاني في ردوده على ما قاله السكاكي والقزويني ، حيث كان يرجح رأي أحدهما على الآخر بالدليل والبرهان. وفي اضافاته على ما ورد عند السكاكي والقزويني . وفي تحقيقه لبعض القضايا البلاغية التي كانت مثار خلاف بين البلاغيين.

وحاول التفتازاني الخروج عن الاطار التقليدي الذي رسمه السكاكي للبلاغة ، فقد أبدى اعجابه بعبد القاهر الذي قلّل من التقسيمات والتفريعات . ووجدنا انتقاده للسكاكي الذي أقحم الفلسفة والمنطق في البلاغة.

كما أنّ التفتازاني نجح في توظيف آراء البلاغيين الذين لا ينتمون للمدرسة الكلامية مثل : عبد القاهر وابن سنان وابن الأثير ، في عرض قضاياه البلاغية ، وهذا أضفى لمسة أدبية خففت من جفاف المادة البلاغية ، وقلّل من طغيان الفلسفة والمنطق في " المطول .

وأبرزنا الحديث عن استخدام التفتازاني للذوق الأدبي في أثناء الشرح . وفي هذا دفع لوهم ساد بين الدارسين وهو أنّ التفتازاني كغيره من أصحاب المدرسة الكلامية لا يهتمون بالتحليل الأدبي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للنصوص .

ولاحظنا استشهاد التفتازاني بالنصوص القرآنية، والأحاديث النبوية ، والأبيات الشعرية ، والأمثلة المصنوعة أثناء عرضه لقضية بلاغية ما ، وفي هذا دليل على اهتمامه بالنصوص خلافا لما شاع بين الدارسين .

وقد أثار " المطول " حركة نشطة في التأليف حيث كثرت الحواشي عليه ، وفي هذا دليل على قيمة هذا الكتاب ، ولم يقتصر تأثير التفتازاني في معاصريه بل نراه يترك صدى حسنا عند الباحثين المعاصرين ، "فالمطول" كان من الكتب التي كانت تدرس في الأزهر فترة من الزمن . وها هو الدكتور عبدالمنعم خفاجي . شارح ومنقح كتاب " الايضاح " يستند إلى آراء التفتازاني في شرحه " للايضاح".

ولهذا كله نرجو أن نكون قد وفقنا في عرض الجهود البلاغية للتفتازاني في " المطول " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

This study deals with the book entitled "Al-Mutawwal 'Ala Al-Talkhees" by Sa'ed Ad-Deen Al-Taftazani, which is an interpretation of Talkhees Al-Miftah by Jalal Ed-Deen Al-Qazweeni.

The study consists of a foreword, an introduction, three chapters and a conclusion. It is mainly concerned with Taftazani's efforts in the field of rhetoric and tries to highlight these efforts by going through "Al-Mutawwal" and analyzing its rhetorical issues. For it became apparent that, although Al-Taftazani adopted the approach of the followers of scholastic theology, he is especially noted for his exposition of certain rhetorical issues like mental metonymy, rhetorical shifting, allusive metaphor, imaginative metaphor and antithesis.

Taftazani's efforts stand out in his replies to the beliefs of Sakaki and Qazweeni. A judgement in favour of the opinion of either one was always supported with evidence and reason. He is also noted for what he added to the contributions of Sakaki and Qazweeni and for his verification of some rhetorical issues which were a subject of dispute among rhetoricians.

Taftazani attempted to deviate from the traditional framework of rhetoric drawn up by Sakaki. For he admired Abdul Qahir who cut the classifications and sub-divisions short, and criticized Sakaki who forced philosophy and logic onto rhetoric.

In exposing his rhetorical issues, Taftazani also succeeded in employing the views of the rhetoricians who did not follow the scholastic theology approach like Abdul Qahir, Ibn Sinan and Ibn Al-Atheer. This added a literary touch to al-Mutawwal, thus injecting some vividness into its dry rhetorical substance and curbing the dominance of philosophy and logic characterizing it.

We also highlighted Taftazani's usage of literary taste in his explanations; a fact that dismisses an illusion which was prevalent among the scholars that Taftazani, like the other followers of scholastic theology, took no interest in the literary analysis of texts.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

We have also cited Taftazani's use of illustrative quotations from Quran, the Prophet's Hadeeth and poetry, as well as the use of invented illustrations - a fact which testifies to his interest in the texts; contrary to what the scholars think of him.

Al-Mutawwal stirred an active movement in the field of writing as many annotations were made on it, a fact which attests to the value of this book. Taftazani's influence was not limited to his contemporary colleagues. In fact he enjoys a good reputation among our contemporary scholars; for al - Mutawwal was one of the text books taught at Azhar for a period of time. Also Dr. Abdul Mun'im Khafajy, the interpreter and revisor of "Al -Eedhah", depends on Taftazani's views in his interpretation of "Al-Eedhah".

For all of this we hope we have been successful in exposing Taftazani's rhetorical efforts in al-Mutawwal.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملاحـــــــــــق

ملحق (١)

أسماء الشعراء الذين استشهد التفتازاني بأبيات لهم

امرؤ القيس

العجّاج (عبدالله بن رُؤْبَة)

أبو النجم العجلي

أبو الطيب المتنبي (أحمد بن الحسين)

أبو تمام (حبيب بن أوس)

الفرزدق (همام بن غالب)

العباس بن الأحنف

أبو عطاء السِّنديّ

ابن بابك الخرمي

عبدالله بن المعتز

رُبَيِّعة بن نصر

الحارث بن وَعْلَة

حُجْل بن نَضْلَة

سَلْم بن ربيعة

الخنساء (تماضر بنت عمرو)

الصلتان العبدي

ابن المعذل

ابن طباطبا

أبو العلاء المعري

أبو نواس (الحسن بن هانىء)

عَبْدة بن الطبيب

ابن الرومي (علي بن العباس)

جعفر بن علبة

ابن أبي السمط

أوس بن حجر

النابغة الذبياني

الأحوص (عبدالله بن محمد)

الأخطل (غياث بن غوث)

ابن الراوندي (أحمد بن يحيى)

عبدالله بن الدمينة

رُؤْبَة بن العجّاج

بشار بن برد

علقمة الفحل

جرير بن عطية

ابن ميادة (الرماح بن أبرد)

القطامي (عمير بن شييم)

قطري بن الفجاءة

ضابىء بن الحارث البرجمي

قيس بن الخطيم

الأزرق بن طرفة

الحسين بن مُطَيْر

الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)

ضرار بن نهشل

طريف بن تميم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النضر بن جؤية
حسان بن ثابت
محمد بن وهيب
البحتري (الوليد بن عبيد)
الخريمي (اسحاق بن حسان)
علي بن أحمد الجوهري
ذو الرُّمَّة (غيلان بن عقبة)
أشجع السلمي
سعد بن ناشب
بَشَامة بن جزء النهشلي
مساور بن هند
عبدالله بن همام السلولي
مالك بن رفيع
شَهْل بن شيبان الزِّمّاني
الحارث بن حلزة
عدي بن زيد
زهير بن أبي سلمي
العرجي (عبدالله بن عمر بن عثمان
طرفة بن العبد
كعب بن سعد الغنوي
عوف بن محلم الشيباني
السَّمَوْأل بن عَادِيَا
القاضي التَّنُوخي (المحسّن بن علي)
المعذل بن غيلان
الصنوبري (محمد بن أحمد)
قيس بن الأسلت
الأخيطل الأهوازي

شقيق بن سليك الأسدي
لبيد بن ربيعة
أبو العتاهية (اسماعيل بن القاسم)
أبو اسحاق الصابي
المرقش الأكبر
الحريري (القاسم بن علي)
أبو المظفر الأبيوردي
رشيد الدين الوطواط
كثير عزة (كثير بن عبدالرحمن)
يزيد بن مسلمة بن عبدالملك
أبو ذؤيب الهذلي (خويلد بن خالد)

سَبْرَة بن عمرو الفَقْعسي
زياد الأعجم (زياد بن سلمان)
دِعبِل الخُزاعيّ
أبو دُلامة الأسدي
ابن رشيق القيرواني
ديك الجن الحمصي
عمرو بن معد يكرب
الأقيشر (المغيرة بن عبدالله)
القاضي أبو الفضيل عياض
ابن حيوس
معاوية بن مالك
المُتَلَمِّس (جرير بن عبد المسيح)
قتادة بن ملسمة الحنفي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاضي الأرَّجاني
عميرة بن الأهتم التغلبي
مسلم بن الوليد
الكميت بن زيد الأسدي
أبو الفرج القاسم بن حَنْبَل
بديع الزمان الهمذاني
ابن نباتة السعدي
ليلى بنت طريف الخارجية
الحسن بن عبدالله
أبو سعيد المخزومي
أبو الفتح البستي
الصمة بن عبدالله القشيري
الثعالبي (أبو الحسين بن أحمد)
ابن الحجاج البغدادي
عبيد بن الأبرص
عبدالله بن الزبير الأسدي
لقيط بن زرارة
معن بن أوس
الحُطيئة (جرول بن أوس)
معاذ راوية بشار

جار الله الزمخشري
الاعرابي أبو زياد
أبو الشيص (محمد بن عبدالله بن رزين)
الأفوه الأودي
عبدالقاهر بن الطاهر التميمي
أمية بن أبي الصلت
سُحَيْم بن وَثِيل
الامام الشافعي
عمرو بن كلثوم
السِّلِّمَّاح بن جهم السنبسي
ابن المقاتل الضرير
أبو محمد الخازن
أبو الفرج الساوي

* تحتوي هذه القائمة على أسماء الشعراء :
أ- الذين نسب التفتازاني الأبيات إليهم .
ب- الذين تسنى لنا نسبة الأبيات الواردة في " المطول " إليهم .

** لقد تم ترتيب هؤلاء الشعراء حسب ورود أسمائهم لأول مرة في "المطول" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق (٢)

أسماء الأعلام الذين استشهد التفتازاني بآراء لهم

جار الله الزمخشري

الكسائي (علي بن حمزة)

سيبويه (عمرو بن بحر)

السكاكي (يوسف بن أبي بكر)

جلال الدين القزويني

عبدالقاهر الجرجاني

الفرّاء (يحيى بن زياد)

ابن الأثير (نصر الله بن محمد)

عيسى بن عمر

الجَوْهَري (اسماعيل بن حماد)

الجاحظ (عمرو بن بحر)

أحمد بن فارس

الأخفش (سعيد بن مسعدة)

الصاحب بن عباد

ابن العميد (علي بن محمد)

النَظّام (ابراهيم بن سيار)

البُخاري (محمد بن اسماعيل)

المرزُوقي (أحمد بن محمد)

الرازي (محمد بن عمر)

المازني (بكر بن محمد)

عبدالله بن عباس

الأصمعي (عبدالملك بن قُرَيب)

ابن الحاجب (عثمان بن عمر)

المُبَرّد (محمد بن يزيد)

ابن سيناء (الحسين بن عبدالله)

الزجاج (ابراهيم بن السري)

علي بن أبي طالب

ابن جابر الأندلسي (محمد بن أحمد)

ابن السَرّاج (محمد بن السري)

أبوعلي الفارسي (الحسن بن أحمد)

ابن الدَهّان (سعيد بن المبارك)

الكُواشي (أحمد بن يوسف)

علي بن عيسى الربعي

السِّيرافي (الحسن بن عبدالله)

الجنزي

ابن ذَكْوان (عبدالرحمن بن أحمد)

أبو الحسن الأشعري

السخاوي (علي بن محمد)

الخليل بن أحمد

الواحدي (علي بن أحمد)

العباس بن عبد المطلب

ابن قُوَرجَة (محمد بن حمد)

* تم ترتيب هؤلاء الأعلام حسب ورود أسمائهم لأول مرة في "المطول"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة
أ- المقدمة	أ
ب- تمهيد	١
١- تعريف بالتفتازاني وكتابه	١
٢- مؤلفاتـــــه.....	٣
٣- المطول وسبب تأليفه.....	٤
٤- مصادر المطول	٦
٥- آراء في التفتازاني والمطول	٦
٦- منهجه	٩
٧- أسلوب القصر	١١
الفصـــــل الأول :	
أ- الروافد البلاغية	٢٣
١- أصول الشريعة	٢٣
٢- أثر علم النحو	٢٧
٣- أثر الفلسفة والمنطق	٣٣
٤- استخدام الذوق الأدبي أثناء الشرح	٣٩
٥- الاستشهاد بالنصوص الشعرية	٤٢
ب- أثر البلاغيين السابقين في التفتازاني	٤٦
١- المرزوقي	٤٦
٢- ابن سنان الخفاجي	٥٠
٣- الرازي	٥١
٤- ابن الأثير	٥٢
٥- ابن مالك	٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني :	
أ- موازنات	٦٣
١- بين التفتازاني وعبدالقاهر	٦٣
٢- بين التفتازاني والزمخشري	٧٧
٣- بين التفتازاني والسكاكي	٨٧
٤- بين التفتازاني والقزويني	١٠١
الفصل الثالث :	
أ- آراء التفتازاني	١١٤
١- اضافات للتفتازاني	١٢٩
ب- أثر التفتازاني في البلاغيين اللاحقين له	١٣٤
١- أثر التفتازاني في السيوطي.....	١٣٧
٢- أثر التفتازاني في طاشكبري زادة.....	١٤٢
٣- أثر التفتازاني في ابن يعقوب المغربي	١٥٢
الخاتمة :	
أ- تهم ودفاع	١٦٧
ب- المأخذ	١٧٣
١- مأخذ على أتباع المدرسة الكلامية	١٧٣
٢- مأخذ على منهج التفتازاني	١٧٧
ج- الخاتمة والنتائج	١٨٣
١- المصادر	١٨٥
٢- المراجع	١٩٢
٣- الملخص	١٩٥
٤- ABSTRACT	١٩٧
٥- الملاحق	١٩٩

٤١٦٣٧٧

All Rights Reserved - University of Jordan - Center of Thesis Deposit